MG 1.45

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

كلية الآداب و العلوم الإنسانية

و العلوم الاجتماعية

قسم الثقافة الشعبية

جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان

MAG-811-05/01

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الشعبي

العنوان

الخطاب الشعري عند بخالد كلكال

"جمع و دراسة"

إعداد الطالب : سيد احمد جماح

إشراف الدكتور : نور الدين صبار

AT1/824

06

السنة الجامعية : 2000–2001

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــــــــــداء

إلى الوالدين الكريمين

أمي التي ذقت الحياة على يديها ففاضت بالنعيم

إلى التي يسري حنانها في دمائي

إلى نبع الحب الذي ترتوي منه النفوس

إلى جمال الحياة و بهائها

والدي :

يا أجل قدر في الصدور و أكبره في العيون

أنت الذي لمست الآلام فابتسمت جراحها

بفضلكما صدري انشرح ، و قلبي رضي ، و روحي خفت ، و نفسي شفت ، و عقلي قوي، و اتسعت آمالي و انبسطت

اعترافا ببعض فضلكما ، و عرفانا بعطفكما و حنانكما

أهدي بحثي هذا ، فهل ستصفحان ؟

الشكر :

إذا كان من كمال الفضل أن أشكر ذويه ، فإنني أتقدم بأصدق الشكر و أعمق الامتنان لمشرفي الدكتور نور الدين صبار على ما بذله من جهد صادق و خالص في تقويم الرسالة ، و ما قدمه من آراء علمية قيمة جليلة ، كان لها دورها الفعال في ولادة البحث على ما هو عليه ، و إنني وجدت من لدنه كل رعاية و عناية ، و لمست فيه الصدق و الالتزام ، و سعة الصدر و الأناة ، و التضحية بوقته و راحته ، رغم ما ألم به من حزن و أسى على فقده لوالدته رحمها الله.

و إنني لأشعر بالفخر و الاعتزاز أن أكون ممن كتب الله لهم أن يتناولوا بالدراسة شاعرا من مدينة سيدي بلعباس ، بمساعدة الدكتور نور الدين صبار لما قدمه من صادق النصح و سديد التوجيه.

كما أرى أن أتقدم بصادق الشكر و عظيم الامتنان لكل من مدني بيد المساعدة لإعداد هذه الرسالة ، و إلى كل من علمني حرفا في مشواري الدراسي.

و الله الموفق للصواب و الهادي إلى الخير ، و هو حسبي عليه توكلت و إليه انيب.

سيد أحمد جماح

المقدمة :

إن الشعوب على اختلاف ثقافاتها و أجناسها تفتخر كل الافتخار بتراثها و تسعى جاهدة في جمعه مسخرة لذلك كل الوسائل كيفما كانت و ما ذلك إلا لأهمية التراث عند الأمم.

و لرغبتنا الأكيدة في تحقيق فكرة الحفاظ على التراث و تطويره ، انطلقنا بكل اقتناع بالفكرة ، لنتمكن من ملأ تلك الثغرات و الفجوات التي ما يزال التراث يعانيها ، مدركين ما علينا من التزود بالحيطة و الحذر الشديدين لما في هذا الميدان من صعاب و شوائب تحتم على الدارس إدراكها و معرفتها ، الأمر الذي يدفعنا إلى دعوة المهتمين بالتراث إلى ضرورة الاهتمام به أكثر فأكثر.

اعتبارا لهذه الخصوصية التي يتميز بها التراث ، و لمكانته الخالدة في أعماق الشعوب ، و بخاصة لدى الشعب الجزائري ، و الاحترام المطلق من كل من يعرف قيمة هذا التراث ، أردت أن أقدم عنه بعض الأعمال التي تؤدي اعترافي له بالجميل .

هكذا جاءت الخطوة الأولى في الدراسات المعمقة ، تتضمن جانبا من جوانب التراث الشعبي ، إنه الشعر الشعبي الجزائري ، و هي محاولة منا لفتح الآفاق الواسعة امام المهتمين باحثين كانوا أم دارسين ، و الدفع بأقلامهم إلى مواصلة الدراسات في هذا الموضوع.

لأننا نعتبر الموضوع " الخطاب الشعري عند بخالد كلكال، موضوعا ثريا يقبل اكثر من دراسة و تحليل ، فهو بمثابة الحديقة الغناء الفيحاء ، التي لم تمتد إليها الأيدي بعد لتنضيد و رعاية زهورها ، و لا حتى الأنوف الحساسة لاستنشاق عبير عطرها ، و رفع الستار عن مكنونها الغني الجميل .

و نحن نعترف بالصعوبات الجمة التي تحف بكل باحث في ميدان التراث الشعبي ، التي تفرض علينا تضافر جهودنا في ميدان البحث و بإسهام أهل الاختصاص ، و تقدير كل محاولة فردية لكونها ثمرة تضاف إلى المجهود فتدعمه ، لأن البحث في ميدان الأدب الشعبي –مقارنة بالأدب الرسمي– ما يزال في بداية مشواره ، و هو بأمس الحاجة إلى الصرامة و الفعالية.

و إننا نرجو ان نكون مسهمين بواسطة هذا البحث في تذليل هذه العراقيل و الحواجز ، و تدعيم المكتبة العربية بهذا المجهود ، فإني أتقدم ببحثي هذا المتواضع و موضوعه :

"الخطاب الشعري عند كلكال بخالد (جمع و دراسة)" ، معتمدا في ذلك على الوسائل التي تعتمد عليها الدراسات الشعبية بصفة عامة ، والدراسات الأدبية الرسمية بخاصة ، و نظرا لأن

الموضوع جديد ، فإن انعدام المصادر و المراجع التي تناولت شعر كلكال لا من قريب و لا من بعيد ، حيث نعتقد أن هذه الدراسة هي الأولى التي تخصصت في هذا الموضوع.

ضف إلى ذلك عدم وجود تلك المراجع المهتمة بالجانب الفني للشعر الشعبي ، فلا يكاد يجدها الباحث ، إما لنقصها أو لندرتها في مكتباتنا .

و الجدير بالذكر هنا و نحن نتحدث عن المراجع أن المصدر الوحيد الذي اعتمدت عليه كثيرا هو الشاعر كلكال بخالد نفسه ، و قد كان كذلك لغرضين أساسين :

أولهما : كونه أهم مصدر في نظري ، لأنه يتوفر على النصوص الشعرية .

ثانيهما : كونه أهم مصدر يلم بحياة الشاعر ، و لعل هذا لا يتعارض تماما مع دلالة النص ، و هو الذي يعرض أخباره بغير تناقض مراجعي فضلا على ذلك كله ، غنية الجوانب و متنوعة، منها البلاغي و منها النحوي و منها الاجتماعي و منها النقدي و منها الثقافي .

و قد دفعني إلى اختيار موضوعي هذا ، عوامل عدة ، منها عوامل موضوعية و أخرى ذاتية ، و إنني أجملها فيما يلي :

1. القناعة الأكيدة لإحياء التراث الأدبي الشعبي الوطني ،و بخاصة الشعري منه ، و ذلك لأهميته، فهو لا يقل أهمية عن الشعر الفصيح ، في كونه لسان الانسان الشعبي و ديوان أيامه ، و أخذ على عاتقه تسجيل الكثير من الأحداث لأمتنا شأنه في ذلك شأن الأدب الرسمي.
2. محاولة الكشف عن بعض الحقائق التاريخية و الثقافية ، و خصوصا أن الشاعر و انتاجه يدل على حقبة تاريخية كشفت عن الوجود الاستعماري و خلفياته.
3. إعطاء هذا الشاعر حقَّه ، الذي حكم عليه بالفناء و هو حي يرزق -في عالمه الفني- و ما بحوزته من زاد و إبداع فني في مجال التراث الشعبي بالجزائر.
4. إعجابي الشديد بهذا الشاعر لأنه حسب نظري ، شاعر لا يقل شأنا عن اولئك الذين استطاعوا رفع لواء الشعر الشعبي الجزائري إلى المستوى الذي يجعلنا نعتز به.

إن أملنا من هذا البحث هو أن نغتنم دراسة حياة الشاعر لأنها جديدة في الوجود ، و أيضا أن نقدم حلقة زاهية في تاريخ ثقافتنا الجزائرية.

و الحمد لله الذي وفقنا و سدد خطانا و ثبتنا حتى تحقق هذا المولود ، و قد تطلب منا البحث أن لا تقف قراءتنا عند جدارية النص أو المعنى الظاهر ، بل تتعدى ذلك إلى أعماق النص و سبر أغواره رغبة في إظهار الجوانب الفنية.

و قد سلكنا عبر هذه الجولة في موضوعنا ما نطمئن إلي تسميته بالمنهج التكاملي لأننا كلما احتجنا إلى منهج لجأنا إليه و اعتمدناه.

إن المنهج التكاملي المعتمد فرضته طبيعة الموضوع التي أملت علينا ضرورة الأخذ من كل منهج بطرف إذ أخذنا من التاريخ ، و من الفن ، و الاجتماع ، و الاستقراء ، دون ترك الغلبة لمنهج حتى يظهر عن باقي المناهج.

و قد ارتأينا تقسيم البحث إلى ثلاثة أقسام مع ملحق خاص بالمناسبات و النماذج الشعرية.

فالفصل الأول : خصصناه للسيرة الذاتية للشاعر، و عصره وما بينهما من تأثير و تأثر بالاضافة إلى مكانة الشاعر في منطقته.

و أما الفصل الثاني : فقد خصصناه للدراسة الموضوعاتية ، أشرنا فيها لأهم الأغراض الشعرية التي حضيت بالعناية من شاعرنا و الدوافع التي أدت إلى وجودها في إبداع الشاعر.

و أما الفصل الأخير : فتطرقنا فيه إلى الجوانب الفنية لكل النماذج الشعرية حتى نكشف من خلالها على تأهيل الشعر الشعبي لتضمن الجماليات الفنية ، و كانت الدراسة من ثلاثة مستويات مختلفة :

المستوى التركيبي : حاولنا فيه تعريف لغة هذه النصوص و الكشف عن العلاقة و القابلية التي يتمتع بها النص الشعري الشعبي بالنسبة للصورة في مفهومها القديم و الحديث .

و المستوى الدلالي : كان وجها آخر للجماليات الخفية للشعر الشعبي و بالخصوص تلك الصور البيانية على اختلاف أغراضها.

و في المستوى الإيقاعي : ركزنا فيه على الموسيقى الداخلية و الخارجية للنصوص ، أما الداخلية فإنها أضفت على النص جرسا موسيقيا رائعا ، و أريدَ بها في توظيفها " إما قصدا أو عفويا" ، تقوية المعنى و توضيحه مع تأكيده.

أما الموسيقى الخارجية فكانت لنا فيها وقفة في أصل أوزان القصائد مع الإشارة إلى تلك الآراء المختلفة في هذا الموضوع ، و فيما يخص القافية فقد بينا ذلك التباين الموجود بين قصائد كلكال.

و بعد فإنني أعتبر هذا مجهودا متواضعا ، قطعته من عمري كي أعده ، إنها فترة أعتبرها من أخصب فترات حياتي ، لكونها نقلتني إلى عالم الابداع و الكشف و المعاناة ، ذلك ما نأمله من هذا البحث ، أن نكون وُفقنا في تقديم حلقة توصل بها حلقات البحوث الثقافية في بلادنا.

لا أدعي من خلال عملي هذا الكمال ، بل إنني أدعو استثمار الثراء و الغنـــى اللذيـن توفرعليهما النص الشعري لدى كلكال ، لأنه يصلح لأكثر من دراسة ، فإن المجال هنا لا يزال مفتوحا أمام الباحثين لاستكشاف أغواره.

فإن وفقت فذلك بعون الله ، و إن قصرت فمن نفسي ، فالفضل كل الفضل لله تعالى ، و سبحان من لا يسهو و لا ينام و الحمد لله هو ولي في الدنيا و في الآخرة ، عليـــه توكلـت و إليه أنيب.

الفصل الأول :

حياة كلكال داخل بلدة مسار[1]:

اسمه : هو كلكال بخالد بن محمد بن العربي بن الحبيب بن الزناغي

نسبه : و هو كما يروي عن نفسه جيد من الأجواد ، أولاد إبراهيم الذين ينتهي نسبهم عند سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه منذ أن فتح عينيه بخالد ، وجد أهله و أسرته في منطقة مسّار ، و هي المنطقة التي سكنوها منذ عهد طويل لا يذكره شاعرنا ، وعن سبب تواجد أجداده بهذه البلدة ، فإن الشاعر يفسر ذلك بحكم الحرفة و المهنة التي كانت تحترفها في مجال الفلاحة و الزراعة بصفة خاصة ، و قد اكتسب أبوه هذه المهنة ، ليتولاها هو أيضا ، و هو جد مرتبط بهذه المهنة و بهذه الأرض رغم ترحله عنها بعد أن هجر معظم السكان لينتهي به المقام ببلدية بوخنيفيس و كان أبوه حينها قد بلغ قرنا و أربع سنوات.

مولده : في صائفة سنة 1926 ولد الشاعر كلكال بدوار البوازيد ببلدة مسار.[2] ، نشأ و تربى و ترعرع في أحضان أسرة متواضعة من حيث المال و الجاه و العلم ، إلا أنها غنية من حيث النفس (فهي أسرة كريمة و ذات نسب و حسب) .

لم يسعف بخالد أن يتمدرس باللغة العربية ، على الرغم من حبه الشديد لها ، و كغيره من شبان الجزائر ، اضطر إلى تعلم اللغة الفرنسية التي كانت فرضا محتوما على أبناء الجزائر ، فشاء القدر لكلكال أن ينال قسطا وافرا من اللغة الفرنسية ، و هو يتقنها نطقا و كتابة ، إلا أنه لا يتكلم بها إلا عند الضرورة .

تأثره ببيئته :

مسار منطقة قريبة من الجبال و هي غابة كثيفة الأشجار متنوعة الثمار ، ذات مياه مدرارة متدفقة ، توحي كلها بإبداع خالقها ، فقد جمعت بين جمال الطبيعة و جمال نفسية أهلها الذين سبغ الله عليهم بنعمة الكرم و طيبة النفس ، و صفاء السريرة ، و نقاء القلب .

وسط هذه البيئة ولد و نشأ و ترعرع الشاعر ، فكانت حياته الجبلية البدوية أنموذجا لتلك الفطرة التي جبل عليها شاعرنا ، و هو صورة عاكسة لبيئته ، هذه البيئة التي امتزج بها طبعه ، و حساسيته المرهفة ، و انسجمت لها شاعريته الوقادة منذ

[1] – بلدية بوخنفيس بضواحي مدينة سيدي بلعباس (جنوب غرب) انظر الخريطة .

[2] – نسخة مستخرجة من سجل الميلاد ببلدية بوخنفيس.

نعومة أظافره ، حيث هيأته فطرته من جهة و إفراط حساسيته من جهة ثانية ، و بيئته الشاعرية من جهة أخرى على نضج قريحته و تفاعلها مع معطيات الواقع .

فكلكال ليس بالشاعر الرومانسي الذي تغرقه أحاسيسه في كيان الطبيعة فيذوب في ذاتيته و ينغمس في أناه ، و ليس بشاعر الرمزية الذي ينسخ من الطبيعة ألفاظا غامضة مبهمة ليؤلف صورة شعرية باهتة قاتمة ، بل هو شاعر تغلبه العاطفة ، فينساق وراء وجدانه لكن ليجسد وقائع و حوادث توالت و تجلت في واقعه المعيش ، فهو واقعي بخياله و صوره .

نحن لا ننكر ما للبيئة من أثر في حياة الأديب بصفة عامة ، فحظ هذه البيئة في حياة الشاعر حظ وافر ، إذ إن بلدة مسار هي صقع جميل مخصاب جدير بأن يمتلك القلوب و يستهويها . بالأخص قلوب الشعراء ، فإنها أسرع من غيرها إلى تعشق الجمال و الخضوع لسلطانه و استشفاف سحره ، و الفناء في مادته و روحانيته، و قد استحدثت بلدة مسار قريحة شاعرنا بوحي طبيعتها و غذتها أفضل غذاء ، و حبتها بخيال جميل لم يظفر بمثله من شعراء الشعر الشعبي في زمانه إلا الأقلون ، فإن مسار كانت أبلغ أثرا في مخيلات الشاعر الشعبي ، فإذا هو و الطبيعة إلفان لا يفترقان و روحان متصلان و إذا الطبيعة لديه نفس هيولانية تقبل جميع الصور و تتقمص جميع الأجسام ، لا يخلو عنها نظره ، و لا يتخلى منها خاطر من خواطره .

إن مسار بلدة تلفها أشجار الغابة من كل جانب و أطرافها مترامية في قلب الجبال ، مما جعلها تكون أيام الاحتلال الفرنسي مركزا من مراكز المجاهدين بكل المرافق الضرورية (مأوى ، مستشفى)[1].

أسرته :

أ. **عائلته:** إننا أدرجنا في البحث عائلة شاعرنا كلكال ، لأنها المهد الذي نبغ فيه هذا الأخير ، و لأن الصلة المباشرة بين العائلة و أي شاعر لها أثرها الفعال في شاعريته و استعداده الفطري في نشأة الشاعر ، أليست الأسرة بيئة ؟ ألم يقولوا إن الشاعر ابن بيئته ؟ و هو وليد هذا المهد قبل كل شيء .

ينتمي كلكال إلى عائلة بسيطة و متواضعة في جوهرها و ظاهرها و هي تعيش

---

[1] تم كشف هذا المركز (دوار البوازيد) ، و تم سجن جميع شبان الدوار ، و قتل بعضهم ، و دمرت الدوار بالمدفعية ، و ذلك بسبب الكمين الذي نصبه الجيش التحريري لفرقة الدرك الفرنسي و قتل فيه العديد من رجال الدرك و فيهم ضباط سامون ، فكان ما حدث انتقاما لهذا الحادث دون التمييز بين فئات الأعمار لأهل الدوار — ما تزال الآثار باقية في هذه المنطقة إلى يومنا هذا.

على طابعها البدوي الذي فرضته عليها البيئة و الظروف السياسية ، أسرة تمركزت في إحدى المناطق الفلاحية ، بمزارعها الشاسعة المتنوعة الحبوب ، بجناتها الغناء الخضراء المتباينة الفاكهة و الحب ، و وديانها المنحدرة على أطراف الجبال و التلال ، عوامل متكاملة جعلت الأسرة تنصهر في بوتقتها و يكون الكرم و الجود من خصالها ، فأشجار التين المغروسة هنا و هناك هي صدقة جارية أوجدها والد الشاعر لكل مخلوق على الأرض ، فللطير حقه و للإنسان حقه و لغارسها الفضل و الأجر.

و أسرة كلكال بخالد تتكون من الأفراد الذين على التوالي :

أمه : هي تومي فاطمة بنت قادة الخالدية ، وهي امرأة عجوز توفيت في السنين الأخيرة في سن متقدم ، و أمُ شاعرنا على قدر وافر من النسب و الشرف ، لا تملك من الزاد الثقافي إلا تلك الرواسب و المعتقدات و التقاليد العتيقة التي ترسبت في عقيدتها و تأصلت في حياتها ، و كأنها دم يجري في عروق الجسم ، و هي الزوجة الثانية لأب الشاعر و قد أنجبت منه عشرة بطون ، و لم يبق منهم سوى ثلاثة على قيد الحياة ، منهم الشاعر كلكال بخالد .

أبوه : هو كلكال محمد بن العربي بن الحبيب بن الزناغي ، عمر طويلا و حسب ما ذكره الشاعر لنا ، أنه عاش قرنا و أربع سنوات ، و هو كذلك على حظ وافر من النسب و الشرف إذ إنه من أولاد إبراهيم الذين يعدون من الأجواد ، لينتهي نسبهم إلى سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

و محمد (والد الشاعر) إنسان عادي ليس له من الثقافة و العلم عدا ما كسبه من ممارسة و معايشة و اختلاط بالأهالي ، فكان لطول السنين التي عاشها أبوه أثرها البيِّن في حياته و أسرته . لقد تزوج مرتين ، فكان زواجه الأول من داسي معزوزة ، و قد أنجبت منه إحدى عشر بطنا ، إلا أنهم توفوا و لم يبق على قيد الحياة إلا اثنان ، و هما أخوا الشاعر بخالد من أبيه (عبد القادر– مختار) . أما الثانية فهي أم الشاعر التي ذكرناها سالفا و قد بقي من الذرية التي أنجبتها (بخالد، الطيب ، و أخت تسمى الضاوية).

و الملاحظ في زواج والد الشاعر أنه أنجب ذرية كثيرة بلغت العدد الواحد و العشرين (21) معظمهم ذكور، و لم يبق منهم على قيد الحياة إلا خمسة منهم امرأة ، و لعل سبب الوفاة تعود إلى تلك الحالات العصيبة التي عايشها الشعب الجزائري و الأسر الفقيرة و الجاهلة و كانت بسبب الفقر و البؤس و الحرمان المادي و المعنوي.

ما يمكن الإشارة إليه في حياة والد شاعرنا أنه رجل كريم محب للخير و اليمن، بلغ من أمره أنه غرس أكثر من ستين شجرة تين و أقسم بالله ألا يبيع منها حبة و جعلها ملكا مشاعا لكل مخلوق على الأرض ، و قد أوصى أبناءه بذلك و وعدوه بأن يكون له ما طلب، ما يزال الخير وافراً في جنة هذا الرجل حتى بعد وفاته.

أخوته : لقد نتج عن زواج والد شاعرنا من امرأتين ، أن يكون لبخالد اخوة من أبيه ، و أخوة من أبيه و أمه ، إلا أن هذا التصنيف لا يعني أبدا أن بخالد يميز بينهم ، أو على الأقل أن بينهما ثمة شحنة و فرقة تجعل الاخوة في نزاع أو عراك فيما بينهم ، بل بالعكس يقول بخالد :" إن اخوتي من أبي و أمي تربطهم صلة وثيقة باخوتي من أبي، بل إننا ما شعرنا يوما أن ثمة دافع أو نزعة تجعلنا نحس و نشعر بأن لا نمت بصلة لبعضنا البعض بل إن رابطة الأخوة أقوى بكثير من هذا ... ".[1]

و إن من اخوة الشاعر من أبيه و أمه ، أخاه الأصغر الطيب و هو ما يزال على قيد الحياة يسكن مدينة سيدي بلعباس ، و أخته الضاوية ، و هي الوحيدة من الأخوات ، و هي أيضا مقيمة في مدينة سيدي بلعباس .

أما عن اخوته من أبيه فقط ، هما عبد القادر و يلقب بالصقال ، و المختار و هما يعيشان أيضا في مدينة سيدي بلعباس.

و لكل واحد من الاخوة أسرته المستقلة اليوم عن أخيه ..

1- المقابلة للشاعر كاملا .

زواجه:

حينما بلغ بخالد السن الرابع و العشرين ، و كان حينذاك عاملا عند المعمر الفرنسي فرنسوا سردون François serdon بمزرعة كانت تحمل اسم انسالمون موريس enssselement morris في غابة شباتا ، و هي بقرب الجبال بمنطقة مسار ، و كان بخالد عاملا مخلصا و متفانيا في عمله ، مما جعل المعمر الفرنسي (صاحب المزرعة) يأخذه معه للعمل في مزارع أخرى بفرنسا ، وقد تكرر ذلك كثيرا .

و خوفا على أن يتزوج بخالد من امرأة مهاجرة و يبقى في المهجر ، اقترح عليه والده الزواج من إحدى فتيات المنطقة ، فكان له ما شاء ، فتزوج بخالد من يمينة بنت أحمد بن ماحي ، وهي من بني وكيل ، و كان عمرها آنذاك 18 سنة فأنجبت منه أربعة بطون و لم يبق سوى ولد واحد و هو الابن الكبر لبخالد سماه محمد ، و كان زواجه في سنة 1954 ، و بسبب عدم اعتناء زوجته (يمينة) بأمه و تقصيرها في القيام بواجبها نحوها ، اضطر لتطليقها ، لأن في نظره الأم أولى من الزوجة ، و ما فائدة الزوجة إذا أهملنا الأم.

ظل على هذا الحال (وحيدا) إلى أن حدث أمر بسجنه و قضى في السجن سنة و نصف بسبب تعامله مع المجاهدين في منطقة مسار ، غير أنه قرر الزواج حينما بلغ عمره 42 سنة ، بالمرأة الثانية التي ما تزال تربطه بها الحياة الزوجية إنها خيرة قبان بنت محمد و هي من البوازيد . وكان عمرها حينها عشرين سنة (20 سنة) ،و هي على خلاف الزوجة الأولى في نظر بخالد لأنها اعتنت كثيرا بأمه حتى آخر لحظة من رمقها، فأحبتها كثيرا ، و دعت الله أن يرزقها الأولاد و الذرية تكون صالحة ، فنتج من الزواج أن رزق بخالد أربعة أولاد، أكبرهم العربي سبعة و عشرين سنة ، ثم عمر خمسة و عشرين سنة ، و بعده بغداد أربع و عشرين سنة ، و أصغرهم اليماني تسعة عشر سنة .

و ما يمكن الإشارة إليه أن بخالد محب لزوجته و سعيد بحياته مع أبنائه و يتمنى دوما الخير لهم ولكافة شباب الوطن .

ثقافته :

لا أحد ينكر بأن المستعمر الفرنسي حتم على الشعب الجزائري الجهل و أجبره على تعلم اللغة الفرنسية من خلال ما أوجده من مدارس و كنائس من جهة ، و من جهة أخرى غلق الزوايا و المدارس الوطنية و حتى بعض المساجد إلا برخص في بعض الحالات .

لم يكن غرضنا من الإشارة بهذه المقدمة إلى الوجود الاستعماري و ما خلفه من مخلفات سلبية في الجانب الثقافي و العلمي بخاصة ، بل الغرض من هذا هو أن نربط وجود شاعرنا في تلك الحقبة التي كانت اللغة العربية حلما بعيد المنال و مطمعاً صعباً الأخذ به ، فبحكم وجود بخالد بالمزرعة المترامية الأطراف بين الجبال ، فقد اضطره الأمر إلى التنقل إلى إحدى القرى المجاورة لنيل قسط من تعلم تلك اللغة التي فرضها المستعمر في المدارس ، فكان يقطع يوميا الكيلومتر و النصف للوصول إلى المدرسة بأولاد بن ديدة ، فنهل منها بخالد زادا لا بأس به من اللغة الفرنسية لأن مدة دراسته دامت أكثر من ست سنوات ، فهو يتقنها إلى يومنا هذا على الرغم من تقدمه في السن ، و هو جد متحسر على فوات العمر من دون دراسة اللغة العربية و أصولها ، لأنها حسب رأيه لغة القرآن الكريم و الرسول (ص) و الدين ، و هي أيضا لغة العرب و الوطن.

و قد كان لوجود بخالد في السجن أيام الاستعمار فرصة لحفظ بعض الآيات القرآنية بفضل وجود بعض المشايخ و أصحاب الزوايا داخل السجن ، فاحتك بهم بخالد، و على الرغم من أنه أمي في اللغة العربية لكن فطرته و قوة بداهته و قدرته على الاستيعاب كان لهنّ الفضل الكامل في حفظ الآيات القرآنية ، فكان كلكال ما التقط شيئا يسمعه إلا حفظه ، و كأن الله عوضه عن القراءة و اللسان قدرة السمع و الحفظ و قد ادهش هذا كل من كان يحيط به من فقهاء و المشايخ و الحكماء و الناس البسطاء.

و يمكن أن نحصر ثقافة شاعرنا كلكال في تلك المحن و المصائب التي توالت عليه حين كان شابا ، و كثرة مراسه لصروف الدهر ، مع رحلاته و تنقلاته التي انطلقت من الدوار إلى المدينة ثم إلى فرنسا و أخيرا بين السجن في مدن عديدة من الوطن (سيدي بلعباس ، وهران ، شلف) علاوة على استعداده الفطري و قوة بداهته في التقاط السمع و الحفظ ، و الحكمة المتقدة من رأيه السديد و معاشرته الأهالي .

حياة كلكال خارج بلدة مسار:

حفل عصر كلكال بخالد بالحروب و الثورات المندلعة و الأمر يظهر جليا في أغراضه الشعرية ، و هو الدافع الركين الذي أدى بنا إلى تناول حياة كلكال داخل مختلف السجون ، مادام كان لها الأثر المباشر في شحذ قريحته و نبوغ شاعريته ، و قصائده في هذا الشأن تعد بحق صورة صادقة على معاناة الشعب الجزائري إبان الوجود الاستعماري ، هذه الصورة التي تمثلت في التقتيل و التعذيب و التغريب و غيرها ، هي صورة خالدة دونها الشعر الشعبي حق التدوين ، ليس المجال مفتوحا للحديث عن هذه السمة و الميزة للشعر الشعبي .

غير أن الحق يفرض علينا أن نفسر بأن هذا الجانب –حياة الشاعر كلكال داخل السجن – هو حلقة مفقودة في أحداث التاريخ قد غفل عنها بعض المؤرخين ، الأمر الذي حتم علينا تحري الصدق أكثر و نقل الحقيقة التي عايشها بكل نزاهة و إخلاص ، و كلكال يتحدث عن هذه الحقائق و تلك المرحلة و عيناه قد اغرورقتا دموعا و علامات التحسر و التأسف بادية على محياه ، و هو يؤكد و يقول :"اليقين أن هذه المرحلة هي حلقة من التاريخ لا بد أن يقف عندها المؤرخون وقفة مستطيلة يعيدون فيها النظر و الدقة و يكتبون عنها بكل حزم و صرامة[1]...

لقد شاء القدر لكلكال أن يتنقل بين سجون المستعمر في وطنه ، و هي الحالة التي مكنته من إدراك حقيقة السجن ، هذه الحقيقة التي لا تختلف عن غيرها بل كلها اختصت في التعذيب و التقتيل ، و غرس البؤس و الشقاء و الحرمان في نفسية الشعب الجزائري حتى تنال منه عزيمته و قوة إرادته الفولاذية التي لا تقهر مهما كان الأمر من الصعوبة بل تزداد عزما و حزما كلما نابت الخطوب و اشتدت و ادلهمت ،

لا بد قبل أن نعرض حياة كلكال داخل السجن أن نشير إلى السبب المباشر في سجنه ، و كنا قد أشرنا إلى ذلك فيما سبق ، لكن لا بأس أن نشير إليها في هذا المقام حتى نربط حلقات البحث ببعضها .

كان كلكال يجمع الأموال و المؤونة من الأهالي ليدعم بها صفوف الجيش الوطني في منطقة مسار ، و ظل على هذا العمل مدة من الزمن ، إلى أن وشى به جماعة من الناس عند المستعمر ، و تم القبض عليه بتهمة التعامل مع جيش التحرير

[1] – المقولة للشاعر كلكال.

الوطني ، بعد أن شهد على ذلك جماعة من الأهالي و قدموا الدليل على ذلك ، الأمر الذي دفع بالسلطات الفرنسية أن تجعله تحت التحقيق و الاستنطاق ردحا من الزمن ، و من هنا كانت رحالات كلكال بين السجون و بدأت مغامراته و غربته الذاتية :

1. سجن بوخنفيس :[1]

هو أول سجن دخله كلكال لأنه أقرب لبلدة مسار و لأن فرقة الدرك الفرنسي في هذه البلدية هي المسؤولة عن مسار و ضواحيها ، و هي التي قامت بالتحقيق مع كلكال و إتمام الإجراءات الإدارية للسجين ، و دام التحقيق مع كلكال مدة أربعة أشهر ، كانت الظروف داخل السجن مقبولة عموما بخاصة و أن كلكال كان رفقة أحد أصدقائه ، و لقد أرجع سبب وجود ظروف ملائمة داخل السجن لتخوف فرقة الدرك الفرنسي من هجمات جيش التحرير الذي كان متمركزا بالمنطقة ، لأنها منطقة جبلية وعرة المسالك، و هي لا تبعد كثيرا عن بلدة مسار .

غير أن كلكال كان يرى بأن وجوده في سجن بوخنيفيس أحسن من ابتعاده عن بلدته ، أو بالأحرى خير من السجون الواسعة الكبيرة المتواجدة في المناطق الأخرى ، فهو على الأقل يرى أهله من مناسبة لأخرى ، أو هو يشعر بقربه منهم و هذا يخفف من شوقه إلى أهله بخاصة ابنه الأصغر (محمد) . كان عمره ثلاث سنوات ، إذ إن ما أصابه قد مكنه من تقدير حياته السابقة كل التقدير ، هذه الحياة الفاخرة التي عاشها سابقا في جو مفعم بالحب و التعاطف و الانصهار داخلها ، إنها تتراءى له مزدانة بأبدع الألوان و يزيد في روعة إكليلها بعد الزمان و المكان ، و التلهف على فقدانها للأبد .

لم يكن كلكال الوحيد في سجن بوخنيفيس بل كان يرافقه سجناء آخرون لكن لكل واحد منهم سببا في دخوله السجن ، الأمر الذي هون عليه غربة الأهل و فراقهم .

2. سجن سيدي بلعباس :

بعد انتهاء فترة التحقيق و الإجراءات الإدارية من السلطات الاستعمارية ، قررت نقل كلكال إلى سجن سيدي بلعباس ، و ذلك حتى تصدر في حقه حكما ، هذا الحكم الذي كان يراه كلكال تعسفيا و أن السلطات الفرنسية لن تحكم له بالبراءة و الإفراج ، و صدق حدسه ، فقد حضر يوم الحكم ، فكان أن حكم عليه بسنة و نصف

---

[1] -بوخنفيس بلدية تقع جنوب غرب مدينة سيدي بلعباس (إنظر الخريطة)

سجنا و خمس سنوات بدون حق مدني ، غير أن كلكال قبل بهذا الحكم ، لأن المستعمر آنذاك إذا ما ناقش السجين الحكمَ نتج عن ذلك مضاعفة الحكم .

انتهى الأمر أخيرا بالحكم عليه بالسجن لمدة سنة و نصف ، مع حرمانه من الحقوق المدنية ، إلى هنا كان الأمر عاديا و مقبولا ، لأن هذه الحالة خير من غيرها لا سيما و أن درجات الحكم و التعسف من السلطات الفرنسية لا تحد و لا توصف و لأتفه الأسباب.

و شاء القدر أن يجد كلكال داخل السجن تكاملا بين السجناء ، و لم يلق داخل السجن تعذيبا و لا استنطاقا ، و كانت ظروف السجناء تبدو حسنة ، لكن حدث ما لم يكن في حسبان كلكال إذ تم نقله بعد قضاء مدة ثلاثة أشهر في سجن بلعباس إلى سجن وهران ، الأمر الذي لم يبتلعه كلكال بسهولة ، بل كان بمثابة المرارة الشديدة على حلقه ، و الألم الحاد على قلبه ، لا لأنه فضل سجن سيدي بلعباس لما لقيه فيه من معاملة حسنة بين السجناء ، و حتى ظروفه المقبولة ، بل لأن تنقله إلى سجن آخر بمدينة أخرى يعني ابتعاده عن الأهل و الأقارب و هي الصورة التي ظلت تلاحق طيفه طيلة وجوده في سجن سيدي بلعباس ، فكيف ستكون حدتها و وقعها على قلبه ؟

إذا أقبل أوان نقله من سجن لآخر ، كان الشاعر في استعداد و لم يغير شيئا من أحواله ، فلم تكن هناك شدة أو كآبة إلا وقد عهدها من قبل ، زمن إقامته في الغربة [1]، لقد مرنه القدر على تجرع مرارة الغربة إلا أن طيف ابنه الأصغر و جو عائلته الدافئ كان الجرح الذي لم يندمل و لم يلتئم كلما زاره طيف أسرته ، و مر به شريط ذكرياته الزاهية .

3. سجن وهران :

في فجر من أيام الصيف من سنة 1957 ، نقلت السلطات الاستعمارية السجناء من سيدي بلعباس إلى سجن وهران ، و هم مقيدون بالسلاسل و الأغلال مرتبطة فيما بينها، و على أكتافهم أغطيتهم داخل عربات لا يرى منها نور ، حينما وصل كلكال إلى سجن وهران وجد نساء كثيرات ، منهن الباكية و منهن الصارخة و منهن المتجلدة لأمر الله ؟، يردن رؤية أهلهن داخل السجن .

---

[1] – حين كان يأخذه المعمر الفرنسي إلى مزارعه الفلاحية بفرنسا .

إن هذه الحالة تدل على صعوبة هذا السجن ، و معاناة السجناء و أهلهم ، حقا إن حدس كلكال كان في موضعه ، إذ الأمور داخل السجن و حتى خارجه كانت أصعب بكثير من تلك التي عايشها في سجن سيدي بلعباس ، فالأكل و الشرب لا تكون لهما نكهة و لذة إلا و الجلاد بسوطه يجلد به السجناء ، إنه تعسف و ظلم و قهر ما شهد لهم الإنسان مثيلا.

و يروي لنا كلكال حادثة[1] حدثت داخل السجن كان هو ضحيتها ، إذ تعرض للضرب أثناء الأكل ، فنظر إلى الجلاد الإسباني الأصل اسمه كاستيلو CASTILLO فرماه بمفتاح على وجهه فأدماه ، و حينما أراد الدفاع عن نفسه بالقول ، ثارت حمية المعمر الظالمة ، فساقه إلى الزنزانة المخصصة للعقوبات ، فكانت المعاناة الحقة و العذاب الشديد ، إذ ظل كلكال تحت سيطرة الجلادين مدة أسبوع كامل ، فأصيب بمرض خطير كاد يودي بحياته و ينتهي أمره ، لولا تدخل و توسط بعض السجناء عند مسيري السجن ، ليصفح عنه في الأخير.

و بما أنّه لم يرض لنفسه هذا النصيب الحقير ، و لا تمكن من احتمال الفراق عن الأهل و الأبناء ، و توالي النكبات شرع يبكي ، وهو يعلم أن البكاء لا يرد لصاحبه ما ضاع منه ، و لا يجدي نفعا ، و لا يغير الأمور التي هو عليها ، ربما تعزى بالرفاق و الخلان أمامه ، إلا أن ذلك ، إنما هو قبس زائل في السجن و في حالة غربة ، و مع ذلك ظل متمسكا و متشبثا بالأمل و بمصداقية قضية وطنه و شعبه ، و أن الاستقلال لا محالة قادم و النصر لا بد قائم ، و أن بعد العسر يأتي اليسر ، هذا الوطن الذي أفلض عليه عبارات الجمال ، ما جعله يحتل المكانة المرموقة في قلبه و كيانه .

قضى كلكال ستة أشهر كلها ظلم و قهر و حرمان ، صور بشعة لمستعمر غاشم نكل أيما تنكيل بشعب ضعيف محروم ، تظل شاهدة على ما فعله المستعمر إبان وجوده في الجزائر .

و بعد قضاء المدة السالفة الذكر ، قررت السلطات الفرنسية بسجن وهران ، نقل بعض السجناء إلى سجن آخر ، نظرا لكثرة السجناء بوهران من جهة ، و من جهة أخرى نتيجة خطورة الملف المحقق فيه للسجناء ، و شاءت الأقدار أن يكون من بين هؤلاء كلكال ، و أن يكون السجن بمدينة شلف (الأصنام سابقا) .

---

[1] – لقد صور الشاعر هذه الحادثة في قصيدته الأولى التي قالها في سجن وهران .

4. سجن شلف (الأصنام) :

بنفس الحالة التي نقل بها السجناء من سجن سيدي بلعباس إلى سجن وهران ، كانت الصورة و المشهد هي نفسها ، بالغلائل و السلاسل و أغطيتهم على أكتافهم ، غير أن سجن الأصنام بدا أحسن بكثير من حالة سجن وهران حيث وجد كلكال تفاهما تاما بين السجناء ، مع تنظيم جيد لهم ، و مساعدة بعضهم البعض في كل الأحوال و الظروف بل و الأكثر من ذلك فهناك شبه تساهل من مسؤولي السجن مع السجناء ، حيث غضوا الطرف في كثير من الأحيان عن كثير من التصرفات .

هذه المعطيات المتواجدة في غيابات السجن ، أدت ببعض السجناء الذين يتقنون اللغة العربية ، و بعض أمور الدين الإسلامي ، إلى تعليمها إلى السجناء الأميين ، بعلم من المسؤولين الفرنسيين عن إدارة السجن ، وكان لكلكال الحظ الوافر في حفظ بعض الآيات القرآنية و الحروف الهجائية ، لأنه لم يكن قد درس اللغة العربية إطلاقا ، و ما عرف عنها سوى تلك العادات و التقاليد التي اكتسبها من مجتمعه. و ساعده في الحفظ قوة بداهته و قدرته على الاستيعاب ، و في فترة تواجده بسجن الشلف ، حفظ قصيد لخضر بن خلوف في مدح الرسول (ص) و أخرى بالحروف الهجائية ضمنها أدعية مختلفة و ابتهالات .[1]

و مع اقتراب موعد خروج كلكال من السجن (ثلاثة أشهر) بدا عليه تخوف كبير من مصيره ، لأن السلطات الفرنسية كانت تقضي أوامر بقتل بعض السجناء حين خروجهم من السجن و في طريقهم إلى أهلهم الأمر الذي حتم على الكثير من السجناء أخذ الحيطة و الحذر حين تقرر السلطات الاستعمارية إنهاء مدة سجنهم ، و يمكن لهم الرجوع إلى ذويهم ، هي نفسها الوضعية و الشعور الذي أقلق كلكال و زاد من تخوفه كلما قرب موعد خروجه من السجن ، و جاءت الساعات الأخيرة و نودي على كلكال للخروج من السجن و توديع أصحابه و خلانه ، و الدعاء لهم بالحفظ و الخير ، كما أوصوه و غيره من السجناء بالحيطة و الحذر لكل نية سيئة من تدبير السلطات الفرنسية .

برعاية الله و قضائه ، شاء لكلكال أن يخرج سالما و أن يبلغ أهله في سلامة و عافية جسدية لكن بمعاناة و آلام روحية نفسية لا توصف كان سببها حالة الوطن

---

[1] – القصيدة للخضر بن خلوف في الشعر التصوفي .

المزرية و حالة السجناء القاسية و حالته بعد الخروج الضائعة و التائهة ، كل هذه الأحاسيس نقلها كلكال في أروع قصائده ، فكان سجن شلف آخر محطة من عذاب و آلام الشاعر .

ما يمكن الإشارة إليه أن سجن شلف لم يكن فقط مخصصا للشعب الجزائري ، بل كان ثمة جناح خصص للفرنسيين ، فكان فيه حوالي 800 سجين فرنسي ، تتفاوت عقوباتهم و الأحكام الصادرة في حقهم .

نظمه الشعر :

إنشـ قال دارسو الأدب و النقاد، إن لكل شاعر وجدان ، و قال بعضهم بل لكل شاعر شيطان يوحي إليه بإلهام ما يقول ، و قال الآخرون الشاعر ابن بيئته فهو وليد ظاهرة اجتماعية مباشرة ، غير أن شاعرنا يقص علينا حادثة قد تبدو غريبة شيئا ما لدى الكثير من النقاد و المهتمين بالأدب ، و قد يتنكر لها الكثيرون منهم لكونها تنافي الواقع، كما نجد البعض منهم يقف موقف الصامت لما يرويه لنا هذا الشاعر ، و قد ارتأيت أن أنقل القصة كما هي لإلحاح الشاعر على أثرها المباشر في شاعريته حين كان غلاما .

لقد نهض كلكال باكرا متوجها إلى العمل الفلاحي بإحدى مزارع البلدة ، فمر بأطراف مقام أحد الأولياء الصالحين (سيدي محمد يلقب ذلك المقام ب " مول العلامات" فوجد نعجة غير عادية من الوزن و المنظر ، فحملها على كتفيه ، و سار بها بعض الأمتار ، فشعر بأن وزن النعجة قد أثقل عليه و أن الشيء الذي فوق كتفيه يتحرك بأعجوبة ، فإذا به يرى أمامه امرأة جميلة ، فتحاوره و هو جد مندهش من الأمر و اقترحت عليه الزواج منها و وعدته برزق لا ينفد مهما طال الزمن و كان الرفض البات لهذه الفكرة كيفما كان الأمر ، لتغادره في سرعة مذهلة ، و يشعر هو بثقل جسمه ، و تفكك أوصاله ، ما إن يبلغ بيته ، بعد أن عاد أدراجه حتى وقع في الفراش مريضا ، لا يتكلم و لا يأكل شيئا سوى الحليب و التمر و الحمام المشوي بغير ملح ، و ظل على هذا الحال مدة ثلاثة أشهر ، إلى أن عاده شيخ فقيه مغربي الأصل (سي الميلود) و أعاد الكرة فتعافى كلكال ، و لكنه لم يدرك بأنه كان مريضا إلا حينما وجد نفسه نحيلا جدا ، و اكتشف أن التين قد أورق فعرف أن المدة كانت طويلة شيئا ما و بأنه فعلا كان مريضا . و بعد مدة زمنية وجيزة وجد نفسه مهيئا لقول كلام

ملحون فيه معان عميقة ، فأدرك بأنه شاعر بخاصة حينما قال قصيدا في الهجاء لأهلى دوار بوحريز[1]، و قال مدحا في رجل جار لهم كان كريما.

هكذا بدأ الذوق الشعري يتولد في كلكال و هو حدث كان يعرض قصائده على أبيه ، و أصحابه ، و كان كلكال بسذاجة المتعلم الناشئ يشير عليه أبوه بتصحيح أو تغيير المفردات غير اللائقة و حذف ما يجب حذفه ، فتحدث الناس بذكاء و نبوغ و براعة الشاعر ، فكانت هذه الشهادة من الأسباب التي حفزت شاعرنا على الاعتناء أكثر بهذا الفن و الإبداع فيه .

و حينما سألناه عن كيف بدأ نظم الشعر ؟ فقال : " نظمت الشعر و أنا طفل ، و كنت يومئذ أخطئ و أهذي و أتعثر ككل صاحب خيال طفل ، و لكنني لم ألبث أن تعلمت الشعر من كثرة ما كنت أسمع من الشعراء الشعبيين الذين كانوا يتجولون في الأسواق و الحفلات و المناسبات ، و ما كان يحفظه غيري عن الأسلاف و الأخيار ، و إن أهم شاعر تأثرت له هو الشيخ لخضر بن خلوف الذي أعتبره فقيها و شيخا و شاعرا ، و قد حفظت له قصيدة في الإسلاميات يتعلق بشعر الحروف ، و منها تعلمت الحروف[2] العربية و حفظتها.

و يضيف قائلا : حتى استقام لي ميزان الشعر و أنا ابن الأقل من العشرين و عرفني الناس به في هذه السن فرددوا لي بعض القصائد "[3]

و كان كلكال يقول شعرا في كل زمان و مكان ، جالسا أو ماشيا ، وحده أو مع الناس ، و أشد ما يكون ارتياحا إلى النظم حين تأمله و غفلته عما حوله ، فيأتي القصيد منسابا بفضل بديهة شاعرنا المطاوعة ، فهو شاعر سريع الخاطر ، كما أنه قوي الذاكرة ، يحفظ شعره و لا يمليه على كاتب غير ناس شيئا منها ، و لو أن السنين الأخيرة هذه كان لها أثر في تقدمه في السن و نسيان جزء من هذا الموروث الشعبي ، فهو هادئ البال و مطمئن مرتاح السريرة.

لقد اتخذ الشعر ذائدا عن الوطنية ، و مصلحا اجتماعيا ، و مهذبا خلقيا فارتفعت منزلته في عيون الناس ، و لمسوا بنفثاته ما يعبر عن شعورهم و إحساسهم و آلامهم و آمالهم ، وكان كلما ابتعد عن التملق و الاستجداء تزداد منزلته علوا ، و أقواله

---

[1] -القصة حدثت للشاعر لما كان عمره 19 سنة .

[2] - شعر ألفه سيدي لخضر بن خلوف بحروف اللغة العربية و ضمن كل حرف دعاء و تذكار و استغفار .

[3] - حوار مع كلكال

سيرورة فخطا خطوة محمودة بالشعر الشعبي إلى شاطئ الأمان.

هكذا قد وقف كلكال من الشعر وقفة المستطيل على فنونه ،المتصرف في أغراضه و شؤونه ، الضارب في سهوله و حزونه ، وأوتي شاعرية خصبة تمدها تجربة و ممارسة خاضها الشاعر ، و ترفدها مخيلة قوية دعمت بالاحتكاك و غذيت بالأسفار ، و يحفزها طموح شديد إلى بلوغ أعلى ذروة في الشعر ، يجدد بها عهد لخضر بن خلوف و مصطفى بن إبراهيم و عبد الله بن كريو و غيرهم .

فإلى هؤلاء الشعراء خصوصا و إلى أمثالهم عموما كان ينظر طامعا في محاكاتهم ، و الارتقاع إلى منازلهم ، فتتلمذ لهم ، و استقى من منابعهم ثم انبرى يجاريهم ، و يعارضهم ، و ينافسهم ، فكان له منهم عناصر قوية مختلفة اختلطت اختلاطا عجيبا ، فأخرجت شخصية مركبة تذكرك دائما بغيره ، و إن يكن لها طابع لا يخفى في شتى طرقه ، و ألفاظه و تعابيره ، و هذا ما نعنى بإظهاره في دراستنا لأغراضه الشعرية .

أخلاقه و صفاته[1] :

الشاعر كلكال بخالد يقر له كل من تعرف عليه أو عاشره أو جمعته به الظروف، بأنه رضي الطبع ، هادئ البوادر ، رزين متوقر ، على شيء من نقص السمع ، رقيق الفؤاد ، كريم و سخي ، يتألم للمآسي البشرية ، و يعطف على البائسين و الفقراء ، شديد التعلق ببلدته و أبنائه و أهل بيته ، تتوقد من عينيه نظرة حادة قاطعة، تنم على علو همته و شموخ هيبته .

الشاعر كلكال جزائري وطني يكره الاستعمار بكل أشكاله لا سيما الاستعمار الفرنسي ، وفدي يحازب جبهة التحرير الوطني ، بعد أن كان-سابقا- جنديا مخلصا في ثورة التحرير الجزائرية الكبرى .

و هو أصيل محافظ على أصالته و تقاليده العربية التي تأصل عليها منذ نعومة أظافره و المكتسبة من آبائه و أجداده ، الذين يفتخر بهم كثيرا و بانتمائه إلى الأصل العلوي الشريف.

و هو أيضا ذلك الرجل المسلم المتعصب لدينه ، الغيور على عقيدته ، الحريص كل الحرص على لم شمل أبناء وطنه و جمع شتاته ، معجب بشباب وطنه ، و مدافع

---

[1] و ذلك بشهادة الأهالي .

بكل حساسية عن قضايا وطنه و أمته و دينه .

كما تتجلى شهامته الجبلية واضحة في كل تصرفاته و منطقه و أعماله ، أجل إنه سهل المراس ، لين الجانب ، طيب المعاشرة ، يعرف حق المعرفة كيف يهتدي إلى معاملة الناس ، و مع ذلك لم يسلم طبعه من حدة المزاج ، و سرعة الغضب كما هو شأن غالب الشعراء.

ميزته :

إني لا أحاول أن أستشف ميزة الشاعر كلكال من شعره ، فإنه أكبر من هذا في شخصيته و لا من ترجمته و فصول حياته ، فإنها حوادث صنعتها الظروف و لا تمت إليه بغير تجربة إنسانية ، و إن تكن قد ولدت له التجربة الفنية ، و أنا أريد أن يكون الكلام فيه شاملا خياله و تفكيره و تعبيره ، و هذا في اعتقادي لا يتأتى لنا إلا إذا درسنا رؤاه و نظراته التي هي من نسجه و فهمه بل و عمق تصوره ، ليكون بذلك حكمنا عليه أصلح و أعدل و سيتضح ذلك جليا في قصائده المتنوعة الأغراض ، إلا أننا يمكن القول بأنه الشاعر الذي غلبت عليه بعض المميزات التي تشفع له بالانفراد و السبق في ميدان الشعر الشعبي ، و هي كونه قوي الفطرة ، سريع البداهة ، ذكي و حر التفكير بالإضافة إلى أنه حفاظ لكل ما يقع تحت سمعه على الرغم من أنه لا يعي من أركان اللغة العربية إلا حروفها التي التقطها عن طريق السمع أيضا.

و تتجلى أهمية ميزة عند شاعرنا كلكال في كونه يشعر بكرامته إلى حد بعيد يخشى عليها الانحطاط و السفاهة ، سريع الانفعال ، شديد الإحساس بكل ما يمس شرفه ، على الرغم من أن بعض الشعراء المحترفين يغمرهم شيء من الازدراء عند الناس .

فكلكال بخالد شاعر يتمتع بكامل الاحترام عند العامة ، و يرجع ذلك لحرية طبعه ، و سعة حاله في العيش من أسرة ميسورة الحال . و مكانته بين أفراده مجتمعه، فهذه الدواعي كلها جعلته لا يخضع لضرورة الارتزاق بشعره ، و يصدق كل هذا ، ما أخذه من مواقف صارمة في عدم رواية شعره إلى أي كان ، بل كان جد متحفظ في بداية الحال حينما عرضنا عليه فكرة جمع و دراسة ما جادت به قريحته من بدائع و فنون ، و لم يتسن لنا ذلك إلا بعد تدخل أبنائه من جهة ، و من جهة ثانية ثقته التي وضعها في بعد تردد و جلسات متتالية قربت بين القلوب ، و زادت من الروابط ،

أغراضه و خصائصه :

تشتمل رؤى و مفاهيم الشاعر كلكال على قصائد مطولة و أخرى قصيرة متعددة الأغراض أملتها عليه الظروف حينا ، و أوجدها خياله الخصب و البديع حينا آخر.

فإننا نجد من بين هذه الأغراض الشعرية ما يتعلق بالوطن ، أو ما يسمى بالوطنيات ، و هي مقطوعات تغنى فيها الشاعر بجمال الوطن و شساعة أرضه و كثرة خيراتها و تنوعها ، و توفره على طاقة سحرية قوية تتمثل في سواعد الشباب و إرادته التي لا تحدوها حدود و لا صعاب.

نضيف إلى هذا النوع من الشعر ما هو اجتماعي و هو نسج ضمنه الشاعر جملة من القضايا و المشاكل التي انتشرت بين أوساط المجتمع ، و هي ظواهر تألم لها الشاعر كثيرا و عرضها عرضا تحليليا و شخص في بعض الحالات أعراضها ومسبباتها ، و اقترح في نهايتها بعض الحلول و الأدواء المناسبة لكل ظاهرة أو معظلة، كما سنرى في قصائده المدرجة في كل ما جمع من شعر شاعرنا.

أما غرض الوصف و الافتخار فإن الشاعر خصصه للحديث عن حالين ، حال وجوده في السجون ، أسيرا عند المستعمر ، الذي نكل به و بغيره من المساجين ، فيستطرد شاعرنا في هذا المجال و هو الغرض الذي أخذ القسط الوافر من أغراضه الشعرية ، أما الحال الثاني فخصصه لافتخاره بوطنه بل بشدة حبه للوطن و الوطنيين (المجاهدين) . فنجده يعرض لهم الصور الجميلة و البطولات الخالدة من قصيدة لأخرى ، و لعل تفسير هذا -كما ذكرنا سابقا- يعود لكونه وطنيا مخلصا .

لا يمكن القول إن الشاعر كلكال اكتفى بهذه الأغراض الشعرية دون سواها بل نجد من الأغراض الشعرية ما يخص مجال الهجاء و المدح و الرثاء و الحكمة و غيرها أغراض تواجدت بكثرة أو بقلة تعكس بصورة جلية القدرة الفنية وسعة التجربة و خصوبة الخيال لدى الشاعر الشعبي بصفة عامة ، و عند الشاعر كلكال بصفة خاصة ، على عكس ما نقرأه أو نسمع به عند بعض الدارسين أو النقاد بأن الشاعر الشعبي شاعر غير موهوب ، سطحي الخيال ، محدود التجربة الفنية .

و ما يمكن الإشارة إليه أن هذه الأغراض السالفة الذكر و غيرها كلها مجتمعة في شعره الملحون المخزن في ذاكرة كاد أن يطويها النسيان و تقضي عليها حوادث

الدهر و نكباته.

و ما أكثر هؤلاء الشعراء الشعبيون الذين قضوا نحبهم و خبا أوارهم و انطفأ نورهم دون أن تلتفت إليهم الأقلام لتنصف حقهم من الوجود و تخلد أسماءهم كما خلدت أسماء غيرهم و ليسوا أقل شأنا منهم في ميدان الشعر و مجال الفحولة ، ما قيل عن هؤلاء الغابرين ، يقال عن الذين ينتظرون نحبهم ، ما دام موتهم حكرا عليهم و جنازتهم صمت و هدوء بل نسيان و تجاهل و نكران.

منزلة الشاعر :

بحوزة كلكال قصائد جميلة هي من نسج خياله الخصب تارة ، و واقعه المعيش في كثير من الأحيان ، و هي قصائد تناول فيها الحياة الاجتماعية في بؤسها و مرض أخلاقها إلى اختلاف أزمنتها و آثر فيها الحق و العدل على الظلم و الاضطهاد و الاستغلال كما آثر حب السلم على العنف و التفرقة ، و نقر على الوتر الوطني الحساس في الدعوة إلى الإصلاح و استعادة المجد المفقود ، و إعادة بناء صرح الوطن بفضل قوة سواعد شبابه و خبرة شيوخه و اتحاد الكل في معركة التشييد و البناء.

فإن لأقواله أثرا في نفوس الشبان بخاصة لأن حديث الحب و الشقاء و الموت و التفرقة يثير عاطفتهم الملتهبة و في نفوس المسلمين عامة ، لأن حديث الإصلاح و المجد القديم هو النغم الحلو الذي تستخف نبراته مشاعر كل مسلم .

و أعجب الناس بجمال إنشائه و سهولة تعبيره [1]، فجلسوا إليه يطالعون شعره فكانت الشهرة في حياته لا تنكر ، لأن قصائده الحقيقية بالخلود و أحدثت في حينها تأثيرا إلى يومنا هذا .

و إن كان للشاعر كلكال من فضل فإنه يعود على تلطيفه أذواق الشعراء الشعبيين الذين ينهلون من نبعه و يرتوون من زلال مائه العذب ، و على خروج شعره من الجزالة القديمة إلى النعومة الحديثة و من السجع الموضوع إلى المرسل المطبوع و من القوالب التليدة إلى التعابير الطارقة ، و إن لم يبلغ في تفننه و تنميقه طبقة الشعراء المجيدين ، لقد ارتفع بحسن إنشائه إلى المنزلة الأولى بين الوطنيين و أهل الحكمة.

---

[1] – هذا الكلام راجع لشهادة أهالي بلدية بوحنيفيس .

الفصل الثاني :

أغراضه الشعرية :

• الوطنيات :

إن الجزائر دفعت الثمن باهضا من أجل الحرية و الاستقلال ، و إنها راهنت على ذلك بالنفس و النفيس ، فالتحق بالثورة في الجبال و المغارات و الأحراش و الصحاري العديد من أبناء الجزائر الأبرار فواجهوا القوات الاستعمارية بكل عزيمة و إيمان بالنصر على الرغم من المواجهة غير المتكافئة في كثير من الأحيان من حيث العدة و العتاد إلا أن أبناء هذا الوطن كانوا يتدفقون بالروح الوطنية التي زادتهم عزيمة و إرادة على تحقيق النصر ، و قد ذكر لنا الشعر الشعبي هذه الأحداث و سايرها في مسيرتها ليصبح بذلك خير شاهد على ملحمة شعب بأكمله ، ذلك ما يشير إليه العربي دحو في قوله :

" إن الشعر الملحون كان يصور دائما رد الفعل الشعبي الذي أثارته الوقائع السياسية الهامة مما أصبح شاهدا على مأساة الشعب الحقيقية و أثار المقاومة العنيفة من طرف القوى الوطنية و في قلبها نداء الشاعر إلى النضال المسلح " [1]

فكان طبيعيا أن يواكب الشعر الشعبي الثورات الجزائرية المتعاقبة هنا و هناك و أن يحفل بتسجيل كل الانتصارات العظيمة و كله حماس كبير ، كما حزن و تألم للهزائم التي أصابت تلك الثورة ، و لم يكن كلكال ليسلم من هذه المواصفات أو يستثنى من هذه الميزة التي طبعت الشعر الشعبي إبان الوجود الاستعماري ، فكان له أيضا موقفه الوطني ، و إن كان مفعما بالتحدي العارم و المواجهة الصارمة ضد الظلم و الاستبداد ، حيث هاجت مشاعره بمعظم الاحداث الجليلة التي عايشها الشعب الجزائري لكونه شاعرا و مناضلا في صفوف جيش التحرير الوطني شهد المشاهد الحية فعبر عنها شعرا و شارك فيها جنديا و حفظها تاريخا و نضالا .

علاوة على هذا فإن كلكال عرف حياة الخصاصة و الحرمان و البؤس و هي حالة معظم الشعب الجزائري آنذاك أضف إلى هذا الفقر و الجهل و الاضطهاد ، و لم يكن ليخشى على وظيفة يشغلها فيحرم منها أو له من الأملاك و الأموال ما يقلق عليها الاحتكار و المصادرة إذا ما تمرد على السلطة.

[1] –ينظر كتاب " الشعر الشعبي و دوره في الثورة التحريرية الكبرى" العربي دحو ص118

لقد كان لهذه المعطيات الأثر البالغ في شحذ عزيمته و إفاضة مشاعره و جعله ينطلق من ذاتية و إيمانت بحب الوطن و الاخلاص له ، يمليه عليه واجبه الوطني و ولاؤه لشعبه ، كما أن الحالة المزرية العامة ، تعني الضياع و حياة بلا معنى ، فالأمل الوحيد المتبقي أمامه هو تحقيق ذاته في الثورة الجزائرية ، و يرى نفسه في الواقع الجديد الذي يعيد للانسان الجزائري كل كرامته و عزته.

و هكذا تولد لدى شاعرنا التمرد و الثورة و الرغبة في التعبير و المواجهة لسلطات الاحتلال ، و ساهم في كراهيته للاستعمار :

يقول :

لجبال تـنادي و تقـول أرواحـوا * و طلعوا لجبال في غاشيهم سمحوا
يحاربوا لستعـمار كل واحد بسلاحو * كان لازم علـيهم باه يكافحـوا
و يجمعوا المجاهدين وقعدوا يشرحوا * لستـقلال لازم يـجي باه نفـرحوا
واعطاوا القـرار في يوم و صفحوا * و دخلوا لجبـل من و مـن راحوا[1]

يسجل الشاعر مآثر شعبه و ثورته و نضاله ، و صور لنا مشاهد مختلفة بأبطال وجدوا في الواقع ليحققوا واقعا جديدا و يصنعوا الملحمة على الرغم من قوة العدو ، كل هذا و غيره لم ينقص من عزيمة شاعرنا و المجاهدين ، بل إننا نلمس أن الحرب جزء من حياتهم مما جعله يخصها بجانب هام من أشعاره مثلما خص موضوعات حياته الأخرى بشعره طالما كانت الثورة الجزائرية الكبرى هي القاسم المشترك بين كل الشعب الجزائري ، فلا غرو أن نجد الشاعر كلكال يعبر عن رفضه الشديد للوجود الاستعماري في وطنه ، بل لفكرة الاستعمار أصلا ، فدعا الشعب الجزائري كاملا إلى معاداته و الثورة ضده ، شحذ النفوس و أثار الهمم من أجل الثورة .

يخلد كلكال في قصائده الوطنية ملحمة شعبه ، هذه الملحمة التي ركنها في مكان أمين هو القلب ، الذي نحافظ فيه على كل عزيز علينا ، طالما القضية الوطنية كانت أبرز اهتمامات شاعرنا الشعبي ، باعتباره شاعرا و قبل كل هذا مناضلا " فليس من باب الافتراض القول بأن بعض الشعراء الشعبيين كانوا جنودا في تلك الثورة فعبروا عنها شعرا و شاركوا فيها جنودا و حفظوها تاريخا و نضالا "[2] لنسمع إلى قوله :

---

[1] من قصيدته " ثمن الاستقلال " سنة 1962

[2] منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري التلي بن الشيخ ص44

سمحنا في لولاد قطعة من   لكباد على الوطن و الحريسة
كثرة لمحان شعلت النيران   راهي لخوان تخلف في الدنيا[1]

يعرض كلكال الصورة التي فرضها الواقع و حتمها عليهم المستعمر بكل سذاجة ، و في سرد واضح يتخذ موقفا صريحا يستهدف من ورائه الثورة و التمرد علــى الواقــع و الدعــوة الصارمة إلى تحقيق وضع جديد هدفه المجتمع و مصلحته و سعادة الطبقات الشعبية .

و لم يكتف كلكال في وطنيته بالدعوة إلى الثورة و سرد أحداثها و أهم وقائعها بل تفوه الشاعر بكلمات دالة على الحرية و الاستقلال و ق تقرير المصير لشعبه و فك الاغلال التي كمم بهـــا المستعمر الاصوات الداعية الى التحرر ، كما نلمس لدى شاعرنا في وطنياته ما يشير إلى ذلك النضج السياسي و الوعي الشبه عميق بما يدور حول وطنه من احداث و الواقع المعيش ، مما جعل فكرة الاستقلال ترسخ في ذهنه بل تسري في روحه مجرى الدم في العـــروق ، و هــذا الاتجاه يعد جديدا التصق بالشعر الشعبي الجزائري في الفترة الأخــيرة مــن فــترات الثــورة التحريرية ، ذلك ما يؤكده التلي بن الشيخ "و ما نعنيه بالجديد ان الشاعر الشعبي قد نظر إلـــى القضية الجزائرية نظرة لم تكن مطروحة من قبل ، و أهم ما يميز النظرة الجديدة في الشـــعر أن كلمة الاستقلال و الحرية و العدالة قد أصبحت هدفا من أهداف الشعر الشعبي »[2]

و عليه نخلص إلى القول إن الاستقلال أصبح حلما تحلم به كل الفئات داخل الجزائــر ، و بات إصرار إعادة الحق لأهله أكيدا ، إنه الواقع الجديد الذي يرى فيه كلكال إعادة الاعتبار و والكرامة و العزة للوطن و الشعب على حد السواء .

الاجتماعيات[3] :

يظهر كلكال في اجتماعياته شديد الكره للمستعمر و ما تبعه من مدنية غربيـــة ، و مـــا حملته إلى العرب من أخلاق و عادات لا ينفك يحفل عليها ، و يشوه محاسنها و ينظر منها إلى ناحية العيوب و الرذائل ، فالشرور و الأضرار و أمـــراض الأخـــلاق و الأبـــدان و تجـــارة

[1] من قصيدته السجن 1957

[2] ينظر كتابه : منطلقات التفكير في الدب الشعبي الجزائري ص 8

[3] يرى علماء الاجتماع ان المجتمع يقوم كنسق من العلاقات المتبادلة بين الأفراد ن و لهذا لا يمكن أن نعزل الفرد عـــن مجتمعه ن و ثقافته ، لأنه لا يصبح إنسانا إلا من خلال تفاعله مع الآخرين في الجماعة ، و هذا التفاعل في حـــد ذاتـــه يخضع لقيود الثقافة و ضغوطها .يُراجع كتاب : الثقافة و الشخصية (بحث في علم الاجتماع الثقافي) د.سامية حســـن الساعاتي دار النهضة العربية للطباعة و النشر س 1983 بيروت ص117

الأعراض و انتهاك الحرمات ، كلها بضاعة أجنبية ، صدرها الغرب إلى العرب عامة ، كـان المجتمع الجزائري سيسلم من هذه الآفات لولا المدنية الغربية ، فلا خيار لهذا المجتمع في نظر كلكال إلا أن يبتعد عنها كل الابتعاد ، و لا ينال منها إلا العلوم ، بل خير له أن يبقى جاهلا من أن يغوص في عمقها ، فتكون النتيجة ان يقذفه التيار ، لأن هذه الافات الاجتماعية هي حليفة المدنيات في كل الأحوال و الظروف و لا تخص الجزائر دون سواها .

هكذا يتضح دور الشاعر كلكال في لقف كل ما تضمنه المجتمع الجزائري من عقليـات و عادات و تقاليد بالأخص الأجيال التي جاءت بعد الاستقلال حيث كانت أثر المستعمر لا تزال باقية على الذهنيات بالدرجة الأولى و قد أشار إلى هذه الحقيقة السيد مولود قاسم نايت بلقاسم[1] في قوله : " في مقال سابق تعريب الأمخاخ و القلوب ، قلنا إن الاستعمار قد نجح لدينا إلى حد كبير في المجالين العقلي و العاطفي ، و إن علينا قبـل تعريـب الألسـنة تعريـب الأمخـاخ و القلوب"[2] .

الأمر الذي لم يفوته كلكال مادام هو في المجتمع الذي تركه المستعمر يعاني ما يعـاني من الجهل و الفقر و التخريب لثقافته و عقيدته فكان لزاما عليه ان يشير إلى مخلفاته لأنه ابـن هذه البيئة التي يقول عنها التلي بن الشيخ :

" ذلك ان الشاعر الشعبي ابن بيئة شعبية تفسر التكيف و التوافـق مـع التغـيرات بـالانحلال و الانحراف و التخلي عن القيم التي تؤمن الطبقات الشعبية بشأنها »[3]

و لعل هذا هو تفسير استمادة الشاعر لأفكاره و أخباره من الواقع و من أحاديث النـاس و تعليقاتهم ، فلا غرو أن يكون صدى لما يسمع من سخطهم على المدنية الغربيـة ، و إسـناد جميع المصائب إليها. و أن يردد أقوالهم في مجال الانحلال الخلقي و التهتك و الخمر و الغني و الفقير و الضعيف و القوي فيصيب مرة و يخطئ مرة أخرى ، ذلك ما يؤكده الشيخ بن التلي: "منطلقات الشعر تنبع من واقع الحياة التي يعيشها الشاعر ، ذلك أن القضايا التي تحظى باهتمام الشاعر الشعبي ذات ارتباط وثيق بهموم المجتمع و آلامه و جراحه ، كما تعبر نصوص الشعر عن تصور الحياة التي يريدها الشاعر"[4]

هذا الوقت الصاعب راني نقـــول * عليه هذا الكلام الشاعر كلامو معبر

---

[1] وزير التعليم و الشؤون الدينية السابق .

[2] مجلة الأصالة قيمة اللغة عند الأمم ع 24 س77 ص2

[3] منطلقات التفكير في الأدب الشعبي ص 45

[4] المرجع نفسه ص11

هذا الجيل الصاعد يا ربي لطف بيه * مقابل النميمة و شـــــرب الخمر[1]

و اجتماعيات كلكال في الغالب لا تتعدى البيئة الجزائرية و الرجل الجزائـــري المســلم و المرأة السلمة ، إن غايته التي يرمي إليها هي إصلاح المجتمع ، و قد تنــاول الموضوعــات الحساسة التي استفحلت داخل مجتمعه و انتشرت انتشارا مذهلا ، كظاهرة الانحلال الخلقـــي ، الصحبة و الصداقة ، تربية الأبناء ، البخل و الشح ، إنها ظواهر خصص لها كلكـــال قصـــائد كاملة [2] ، أو عرضها في مقطوعات متنوعة داخل القصائد المتفرقة :

لابسة لك السيفيليزي و السباط الفنطازي
تشرب معاه الروزي في وسط الحلحال
كتشور لباباها يزيد هو يفرح بــــــيها
بنتي ما نبغيش عليها فيها القتل حلال

و قوله :

تقوله راني متقدم ماشي للبيرو نخدم
بالحمير تنوض ترقم قبل يبان الحـــــال
تقوله رانـــــي حرية أبا و ما يحكـــمش فيا
لابسه كسوة روميـــة و تقرى فلجرنال [3]

يمكن القول إن كلكال شاعر عني عناية شبه خاصة بالمباحث الاجتماعيـــــة يريـد بهـــا إصلاح الأخلاق و تطهير المجتمع من المفاسد و أغري بتمثيل الانحلال الخلقي و إهمال التربية و الرعاية للأبناء و الفقر و الشقاء فتكاد لا تقرأ مقطعا من المقطوعات من القصـــــائد الســـالفة الذكر إلا وقفت على خبر فتاة خرجت عن طاعة والديها بحجة الحرية او شــــاب غـــارق فـــي

---

[1] من قصيدة "هذا الجيل"

[2] ينظر قصائده في الملحق " بخل دويعيسى ، الصحبة ، فارحة ميمته " .

[3] ينظر قصيدة "الدميا انقلبت "

مشاكله و غير ذلك[1] .

و الشاعر في اجتماعياته يبدو ناقما تارة على ما آلت إليه شرائح المجتمع لا سيما الشريحة المحرومة ذات الدخل المحدود ، و تارة أخرى نجده يرى المستقبل بمنظار المتفائل لغد مشرق ، يخوض غماره الشباب المثقف المتعلم الحريص على تقدم مجتمعه و أمته ، و رغبة الشاعر في كل الأحوال هي معالجة ما يمكن معالجته حتى لا يبلغ اليأس منه مبلغه .

◊حظ الاجتماعيات في شعر كلكال :

إن عناية كلكال بالاجتماع تبدو جلية في شعره ، إذ نلمس من وراء ذلك رغبة أكيدة يريد بها إصلاح الأخلاق و تطهير المجتمع مما يشوبه من مفاسد فلم يكن من العبث أن يتجاوز كلكال هذه المحن دون ان تترك بصماتها الجلية في شخصه و بالتالي في صور الغربة و هي ثمرة الاحتكاك و المعايشة و الممارسة الطويلة لصروف الدهر و تقلباته.

◊ الأخلاق :

إن لكلكال من شعر في التربية و التهذيب الاجتماعي على الرغم من أننا لا نلمس في قصائده إشارة مباشرة إلى استعمال لفظة "الأخلاق" بهذا المعنى و ترددها في منظوماته إلا أننا نقع على ما يعني ذلك و يفسره.

و قد خصص لهذا الموضوع قصائد منفردة تطول أنفاسه فيها أحيانا ، و أخرى قصيرة عبرت عن زفرة من زفرات الأحاسيس العارمة لما آلت إليه أخلاق مجتمعه بالأخص تلك التي تخص "الجيل الصاعد" أو "فتاة اليوم". و ما كان لسوء التربية و الاهمال من أثر في سلوك هذه الشريحة من المجتمع ن و ما جنته المدنية الغربية على الشعب الجزائري ، إذ إنها غمرته برذائلها و سلبياتها ، فكانت السبب في مرض أخلاق الشباب (ذكورا و إناثا).

قوله :

راها انقلبت لامودة لبنات ولاو قرودة	**عبايتها بشبر مرفودة شادي في لجبال**
الراجل يحسن عونه بن عمي ليه تلوموه	**تتمشى و تتموج قباله اللفعى القتال**
استر ربي في البادية و ما المدن ما كان حيا	**باش تفرز العربية زادت السروال[2]**

---

[1] ينظر قصيدته الشباب و العمل.

[2] من قصيدته "الدنيا انقلبت" انظر الملحق

◊شكوى الحياة الاجتماعية :

لا يخلو مجتمع من المجتمعات من المشاكل كيفما كانت نوعيتها و درجاتها إلا ان المجتمع المتخلف تزداد مشاكله حدة و تفاقما ، و ما دام الشاعر ابن مجتمعه ، فلا بد أن يكون له موقف من هذه الحالة و أن يتفاعل مع تلك المعطيات و ينظر إليها نظرة المتحسر تارة وتارة أخرى نظرة المصلح الداعي إلى الخير ، فلا غرابة أن يصور لنا كلكال ما عاشه في الحياة من بؤس و شقاء و ما تعانيه الطبقات الشعبية المحرومة .

هذه الشريحة التي ينتمي إليها كلكال يعاني ما تعانيه و يؤلمه ما يؤلمها ن فيتعجب للتناقض القائم في هذه الحياة و تقلبات الأحوال ، المر الذي جعله يكابد في حياته مرارة الهم و الضيق ، فكان بؤس المجتمع و شقاؤه يتراكمان في قلبه ، مما جعل شاعريته تتوقد امام مثل هذه التفاعلات الاجتماعية داخل بيئته و بين أفراد مجتمعه ، يسجل لنا كلكال الكثير من الظواهر الاجتماعية في كثير من القصائد ، فمنها ما هي قصائد منفردة بهذه الظواهر الاجتماعية ، و منها ما هو مبثوث في شكل مقطوعات بين ثنايا القصائد الأخرى ، و منها ما هو خاص بحالته الاجتماعية .

هذا الشاعر كل يوم يجيب قصية — و قصيته اليوم في بلاده مرمية
مع ولاده عايش و زيد الأهلية — يخمم غير لبعيد يخمم بشوية
ما اعظمها على ذا الشاعر معظمها قصية — على التخمام و الهم اللي شت بعينيه[1]

◊ أما عن التناقض الاجتماعي ، يقول :

وين ما كان السارح اليوم راه — فارح راه ولى مسؤول و عندو قدر
يلغوله سي شرايين المرسي و من بعد — كان يساسي و كاتلو الشر[2]

كما تناول العلاقات الاجتماعية كظاهرة الصحبة و الصداقة و ما ينتابها و يشوبها من شوائب تكون سببا في فصم العرى و قطع حبل التواصل بسبب المال و غير ذلك ، يقول :

واش هو اللي نساك علينا — راك اقلعت على روحك ضيقة الغبينة
وليت مولى مال و نسيت صحبتنا — المال يبدل و ما يديش للجنة[3]

[1] من قصيدته " واش صرا بيا" انظر الملحق

[2] من قصيدته "فارحة ميمته" انظر الملحق.

[3] من قصيدته " الصحبة" انظر الملحق

◊الهجاء :

يكون خطر الشاعر أعظم على الناس ، إذا تناول أعراضهم بالهجاء • و كلما توقد لهيب الخطر عند الشاعر لقي من مجتمعه كل الاحترام و التقدير و السيادة الأرفع فكلكال لم يخل من هذه الميزة و لا من ذلك الخطر المحدق بالمجتمع إذا تهجم الشاعر شعور النقمة و السخط و عدم الرضا ، فقد شاهدنا هذا السخط و الرفض في قصائده الوطنية التي أنشدها في شأن المستعمر و بشاعة سياسته و ما ارتكبه في حق الشعب الجزائري فكانت صرخة جد مدوية كما بدت لهجته في هذا الموضوع صاخبة للغاية.

لستعمار أطردناه اهرب — و مستقبل أولادنا كجانا زين
لستعمار فيكم اتخرب — اليوم هنا و غدا في لخرين
احنا مسلمين و اللغة تجلب — أقروا ما قال رب العالمين[1]

أو تلك التي أنشدها في شأن أصحاب بوحريز الذين عاثوا في الأرض فسادا و تخريبا ، بسبب خشونة طبعهم و تفاقم جهلهم و ما صنعوه بالطبيعة الخضراء من قطع للأشجار الناضرة الاخضرار و استعمالها كوقود في بيوتهم:

يقول :

هذا الناس ما يعرفوش — قاع قولة الله اكبر
مين ينشق الفجر — يبكروا للصنوبر لخضر
يا ليعطيهم التيفيس — يركبلهم على الصدر[2]

و بعد الاستقلال لم تقم في أغراض كلكال الشعرية رائجة في الهجاء إلا ما كان له من قصيد أنشده في شأن بخل أحد المزارعين بدوار دويعيسى حينما قصدهم عاملا فلم يلق منهم الحضوة اللائقة ، الأمر الذي أثار سخطه على هذه الظاهرة الاجتماعية التي ينبذها المشاعر و لا وجود لها في قاموسه و يكره أن تتفشى في أوساط المجتمع الجزائري الذي يرى فيه موطن الجود و الكرم .

أخاوتي ما حتاها قصة — واش اداني لدويعيسى
ربعة في خبزة كسرة — طوماطيس و معها بصلة[3]

[1] من قصيدته "يا شباب" ينظر الملحق

[2] من قصيدته "اصحاب بوحريز " ينظر الملحق

[3] من قصيدته « بخل دويعيسى » ينظر الملحق .

ما يمكن الاشارة إليه أن غرض الهجاء يفيض سخطا و لوما و وجد فيه الشاعر كلكال إذكاء لناره المتأججة بين ضلوعه و في قلبه فأظهر خطر شخصيته كشاعر على من يجهلون مكانة شاعر بينهم .

الاسلاميات :

إننا لا نعتبر كلكال في هذا الجانب ذلك الشاعر المتصوف المتعبد القانت ، و لا هو من الذين يصرفون النفس عن متع الحياة و ملذاتها ، و لا يجدون مشقة في التشبث بأحكام الدين و فروضه و اتباع أوامره و نواهيه ، بل إن كلكال ابتلي بالمعاصي شأنه في ذلك شأن غيره من الشعراء و الناس ، فبحكم جهله للدين و تعاليمه نتيجة ما ساد الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي من سوء نية هذا الأخير في العمل على القضاء على المقومات الأساسية للشعب الجزائري (الدين ، اللغة و العادات) فشرب الخمر و لها و عبث كما فعل باقي الشباب في زمانه .على أن كلكال لم يكن مغمور العقيدة و لا فاتر الإيمان ، و إنما هو من أولئك الذين عظمت ثقتهم بعفو الله و سعة رحمته ، فما حرم النفس شهواتها ، و لا أحرجها بالغوص في المحرمات و الأضرار .

كان للدين أثره القوي في شعره إذ اصطبغت به شتى قصائده سيما تلك القصائد التي أنشدها في شأن سجنه و معاناته القاسية بين السجون ، أو تلك التي تولدت عن سوء الأحوال و ما غمر البلاد من مظاهر اجتماعية تقشعر لها الأبدان و ترتعش لها الأوصال ، فلا تفتر له عزيمة و لا يضمحل له صبر و لا يغيب له فيها إيمان بقدر الله و قضائه ، و كذا الأمر بشأن حياته المعيشة مع أسرته و ما ناله من جراء تقلبات الأيام و عدم احترام المنطق ، ما ورد في نصوص كلكال هو سمة انماز بها الشعر الشعبي عبر مختلف مراحله بالأخص في فترة الاحتلال و ما بعدها ذلك ما يؤكده العربي دحو في قوله : " النص الديني لا يختفي عند الشعراء الشعبيين فهو يسري في عروقهم في مختلف مراحل حياتهم ، حتى في أحلك أيامهم كأيام الثورة التحريرية"[1]

ما يمكن الاشارة إليه أن كلكال يعرب في نصوصه عن إيمانه المطلق بالله و رسوله (ص) و يذكر غيره بذلك ، فيوجه الانسان إلى الحقيقة و إلى ما ينتظره من ثواب أو عقاب ،

[1] دور الشعر االشعبي في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس ج1 ص63

مثلما ذكره القرآن الكريم و السنة الشريفة .

تمتع و ازهى الخير من مــــولانا   العلي العظيــــم هو اللي يغــــنينا
هــو اللي يفـــقرنا من غيره ما كان   اللي يرزقنا عالم الدرجات سيدي مولانا[1]

و الشاعر كلكال يبدو مولعا بذكر الجنة و خيراتها ، و هو مولع بالتلميح بذكر انتصـــار الحق على الباطل ، و ان الله قادر على كل شيء و لا بد من يوم يكون فيه القصاص و العدل ، إنه يوم الميعاد كقوله :

نطلب من خالــقي يقــبــلي أمنية   يهدينـــي و يدخلــني جنـــة الأولــيه[2]

و كقوله :

الله تعــالى يعـــطي و يقلـــع   للخير يعطــي و للـــشــر يــمــنــع
شا بقى ما تقول وشا قدك تسمـــع   مكتوب ربي هكذاك ملي بديت ترضع[3]

ما يمكن الإشارة إليه في هذا الموضوع ، إن كلكال قد وقف غير موقف فهـــو مصلـــح غيور على دينه ، يرى أن ما دخل عليه من أمور ليست منه ، فأفسدته فيذرف دمعة على مـــا شاب الدين من عادات سيئة و هو دين التوحيد بين الشعوب و الأمم ، و يتأسف إلى ما آل إليـــه المجتمع الجزائري من سوء حال و انفصام بين أفراده بسبب تخليهم عن الدين الحقيقـــي الـــذي يدعو أكثر ما يدعو إلى المحبة و الوحدة و العمل ، و يذكر المسلم الجزائري و غيره بالماضي العزيز ، و مجد تليد حين كانت الشعوب العربية أمة واحدة بفضـــل الديـــن و اللغـــة العربيـــة و المصير المشترك.

حنا مسلمين و اللغة تجلب   أقروا ما قال رب العالمين[4]

هذه النظرة التأملية في الواقع المعيش ، هي وليدة القيم الدينية التي تشبع يها شـــاعرنا ، فحتمت عليه أن يحافظ على العقيدة و الايمان ، حسب ما يؤكده العربي دحو في قوله :

---

[1] ينظر قصيدته الصحبة

[2] ينظر قصيدة واش صرا بيا

[3] ينظر قصيدة الشباب و العمل.

[4] ينظر قصيدة "يا شباب "

" كان لقيم الاسلام و مثله الخالدة و تغلغلها في أعماقهم (الشعراء الشعبيين) هي التي جعلتهم يحافظون على النص الديني في أوساطهم، و هكذا أعطوه مكانة عظيمة جدا..."كما أننا نشير إلى أن بعض القصائد تبدأ بالبسملة و الصلاة على النبي ثم بعدها يعرض الشاعر الموضوع الذي يرغب فيه[2]، و هذا يعود للمكانة العظيمة التي يعطيها كلكال لقيم الاسلام ، فنجد قصائد يفتتحها بالبسملة و الصلاة على نبينا الكريم محمد ، و أخرى يختمها بالدعاء و التبتل و الرجاء مت الله العلي القدير أن يتقبل امنيته و دعواته مثلا :

بسم اللـــه و الشاعـــر يكتب   و الصلاة على أشرف المرسلين[3]

و قوله:

بســـــم الله ننظم هذا النشد   في يوم لـــثنين قلـتها عشية[4]

و قوله :

بسم الله و الشـــاعر يـــبدع   ما زالــه يقول و ما زاله يصنع[5]

و قوله :

نطلب من خالقي يقبلي أمنـــية   يهديني و يدخـلني لجنة الأوليه [6]

و قوله :

نطلب م الرحمان ما الصحبة يهنينا   نقعد غير وحدي صاحبي غير أنا[7]

و حين يفتتح كلكال نصه بالبسملة و الصلاة و السلام على النبي الكريم ، فإنه يفصح فيهما عن إيمانه المطلق بالله و رسوله (ص) ، و يذكر حتى الحاضرين السامعين بذلك ، يعني بها أيضا أن لا موقف إلا الله و أن هذا النشيد الذي يلقيه سيبارك فيه و في السامعين بذكره الله سبحانه و تعالى و صلاته و سلامه على رسوله الكريم ، أما النهاية التي يذكرها الشاعر في النشد ، فإنها كذلك تنم عن رغبة الشاعر فالتماس العفو و المغفرة و الرحمة من

[1] الشعر الشعبي و دوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس ج1 ص64

[2] ينظر القصائد في الملحق.

[3] من قصيدته " يا شباب " ينظر الملحق

[4] من قصيدته "سجن 1957" ينظر الملحق

[5] من قصيدته " الشباب و العمل" ينظر الملحق

[6] من قصيدته " واش صرا بيا" ينظر الملحق

[7] من قصيدته " الصحبة" ينظر الملحق

الخالق ، و هي دعاء يتضمن نظرة إلى حقيقة موجودة تتمثل في العقاب او الثواب ، و يوجهون الناس إلى حقيقتهم من خلال ما نص على ذلك القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة.

•التاريخ :

حين تتبعنا لنظم شاعرنا لاحظنا ولوع كلكال بالنظم فتوفر عليه ، و يبدو بارعا، و عني بالأخص بتاريخ الوطن ، و تاريخ الثورة بحوادثها خاصة الشخصية منهـا ، فكـان لـه أداة صالحة لأغراضه الشعرية ، و تتبع الحوادث الجارية في عصره ، فدونهـا فـي منظوماتـه السياسية و الاجتماعية ، فانتظم له منها قصائد مطولة في الوطنيات و الخلقيات .

و كان تاريخ الثورة الجزائرية المعاصرة مجسدا في قصائده ، ذلك الينبوع الثري الذي استسقاه شاعرنا على ظمأ ، فتدفق له بالمخصب الخير من شعره ، ليتخـذه عـبرة و ذكـرى للجزائريين و الوطنيين ، يذكرهم بأمجاد أسلافهم و يحض الهمم القاعدة على التألق و النهوض، فيسرد ما كان للجزائر من عظائم و ازدهار ، و يربي به الأطفال و الشباب على البأس و طلب المجد المفقود .

"و التأريخ أصل في النص الشعري العربي ، و في بيئته و محيطـه إذ كـان العـرب يؤرخون أحداثهم الكبار بأيام معينة مضافا إليها الحدث"[1]

و حين كان المستعمر يفرض على الشعب الجزائري من الظلم و التجهيل و التجويـع ، أرخ كلكال بعض حوادثها بأعوامها و بمصائبها التي لا تنسى و لا تتمحـي ن كمـا ورد فـي قصيدته عام البون [2]

نلقى القهوى و الفنجال	**قالت كـرانـي هـجال**
آويلي ما صبت رجال	**وين روح السـكر غيب**
قالت كـراني مغبون	**نبكي على زعاف البون**

إنه عام من الأعوام العجاف التي عاشتها الجزائر ، لقد عانى الشعب ويـلات الجـوع و الفقر فوق ويلات الظلم و الذل ، إنه عام مشهود ، و بذلك يكون الشاعر كلكال قد أشار إلـى حادثة تاريخية بل عايشها في واقعها ، و عاشها في نصه.

---

[1] الشعر الشعبي و دوره في الثورة التحريرية الكبرى العربي دحو ص138

[2] القصيدة قالها في سنة 1942 حينما أصاب الجزائر من المجاعة و الفقر ما أصابها.

و قد تطول قصائد كلكال التاريخية ، فيكون منها شعرا قصصيا رائعا كتلك الروائع التي وصف فيها المعركة و قدمها للمستعمر الفرنسي ، و ما حدث له و لأصحابه داخل السجون في سنوات الجمر و العذاب ما بين1957 و 1959 التي تعد قصائدها نسخة تاريخية سياسية و اجتماعية لكل ما حدث في الفترة التي ذكرها شاعرنا ، و أحيانا تخونه الروعة الأدبية فيقتصر على سرد الحوادث و هي صبغة نجدها في شعره الخاص بالوطنيات بسبب تلك الصور التي أوردها كلكال في شعره عن السجون باختلاف أزمنتها و امكنتها ، و أوجده المستعمر من معتقلات عديدة عبر مختلف بقع الجزائر ، تعتبر وثيقة تاريخية زاخرة بالأحداث و الشواهد لا يمكن ان يتجاهلها أصحاب الميدان ، من أجل تقصي حقائق تاريخية لطالما اغفلتها عيون أهل البحث في ميدان التاريخ الجزائري إبان الثورة التحريرية الكبرى .

بسم الله ننظم هذا النشد　　في يوم لثنين قلتها عشيه[1]

نهدر يا ناس و نزيد نأكد　　سبعة و الخميس واش صر بيه

أشار الشاعر إلى يوم من أيام الاسبوع الذي قال فيه هذا القصيد دون أن ينسى الوقت المحدد لذلك كما أشار إلى السنة التي حدثت فيها حادثة السجن ، إنها لحظات تاريخية لا تنسى إطلاقا حيث التصقت أحداثها بالأزمنة و الأماكن و حتى الأشخاص و الوسائل الأخرى و الطريقة و الكيفية و ذلك أمر طبيعي حسب ما يؤكده العربي دحو :

"و حين كانت الثورة التحريرية أرخوا (الشعراء الشعبيون) للمظاهرات بأيامها من الاسبوع كما أرخوا للحوادث الكبرى بأسماء الجبال"[2]

فشعر كلكال لا يخلو من ذكر الحوادث ، كما لا يخلو من الإشارات التاريخية ، فإنها مبثوثة في شتى منظوماته ، و فيها الجميل المستملح ، و فيها المتكلف و المفرط في تكراره ، على نحو ما نرى في قصيدته السجن ، فإنها تلفتنا إلى تلك السجون و ظروفها القاسية التي ما تزال خير شاهد على تعنت و جبروت المستعمر ، و المعاملات اللاإنسانية للجزائري أو ما ورد في قصيدته"عام البون" من إشارات إلى التجويع من جهة و انتشار الخمر و تعاطيه بين أوساط الشعب الجزائري .

و مهما تكن قيمة هذه المنظومات ، فإنها كشفت عن حقيقة تاريخية تمثلت في الوجود الاستعماري و ما خلفه من أحداث تركت صداها العميق في نفوس شعب الجزائر ، و هي كذلك

---

[1] من قصيدته السجن 1957

[2] الشعر الشعبي و دوره في الثورة التحريرية الكبرى ج1 ص138

ذكرى راسخة في أذهان هذا الشعب و الشاعر لا تمّحي مهما طال الزمن و تبدل الحال و تعاقبت الأجيال ، لذلك فإننا نعتبر هذه القصائد سجلات تاريخية ، و اجتماعية و حتى سياسية طالما هي الكاشف عن حقبة زمنية في الوجود الجزائري عبر التاريخ.

•الغزل :

كانت المرأة و ستظل دوما تثير اهتمام الشاعر ، و تلهم قريحته بفيض من الأحاسيس الشعرية ، و إن كان الشعر العربي (الرسمي) خلد لنا أعلاما تغزلت بالمرأة ، و نالت هذه الأخيرة من حظ الاهتمام ما لم ينله أي موضوع آخر ، فنذكر على سبيل التمثيل لا الحصر (عمرو بن كلثوم ، امرؤ القيس ، قيس بن الملوح ، جميل بن معمر ، و غيرهم) فإننا في المقابل نجد من الشعراء الشعبيين الجزائريين أعلاما قالوا في المرأة شعرا لا يقل شأنا مثل (مصطفى بن إبراهيم ، محمد بن قيطون، عبد الله بن كريو و غيرهم) بل إن " الحديث عن المرأة في الشعر الشعبي يمثل غرضا من أوسع أغراض الشعر و أكثرها تداولا بين الشعراء ، و أبعدها في حياة الطبقات الشعبية"[1]لأن المرأة ملهمة الشعر و فيض الخاطر الذي يتدفق بالاحاسيس و المشاعر ، تعتبر لغة الجمال الذي يشترك فيه الشعر عبر العصور ، و لو أن لكل عصر نظرته للمرأة.

و يعد كلكال من هؤلاء الذين وجدوا في غرض الغزل تلك الأرض الخصبة و ذلك المرتع الناضر ، لأن هذا الغرض المتكأ الوحيد الذي يلقي في عمقه و قراراته ما ألم به من عاطفة و أحاسيس و قد منحه شاعرنا من الحظ حينما كان شابا مغامرا يقتحم لذات المشاعر و الحب ، فنال به المكانة الرفيعة و درجة التقدير و ربما كان سببا في ذيوع صيته بين الأهالي و ليس ذلك بغريب ففي نظر التلي بن الشيخ احد المهتمين بهذا الموضوع :

"و لعل من نالوا الحظوة و الشهرة بين الناس ، كان لهم ذلك حينما عبروا عن وجدانهم و عواطفهم نحو المرأة ، و ربما قد انصرفوا عن الشاعر الذي لا يقول في هذا الموضوع."[2]

كان لكلكال الحظ الوافر في شعر الغزل ، و لكنه لم يبرع في هذا الفن براعته في غيره من الأغراض ، لأن الغزل من الوجدانيات التي ينبغي للشاعر أن يحس تأثيرها في نفسه ، فإن لم يكن لألم الحب من سلطان على قلبه ، فهيهات أن يأتي بغزل عاطفي صادق اللوعة ،

[1] منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري : التلي بن الشيخ ص87

[2] المرجع نفسه و الصفحة نفسها

متواصل الحنين .

و الشاعر كان من المتيمين المتألمين[1] ، من العشاق الروحانيين ، و هو صاحب لذة يتتبعها في موطنها ، فما تحرمه سعة يده الوصول إليها ، فإنه يشعر بذلك الألم الذي يشعر به من يغرى بشيء و يصعب عليه نيله ، فيأسف عليه و يأسى ، و تثور عاطفته وجدا و كمدا ، فيلفظها لسانه شظايا متناثرة دامية من أفلاذ كبده قوله:

كندير أنا القلب هنـــا حامـق ما بغاش يتهنى[2]

يعشق لي غيـــر لزينه سلبـــاته واك يمينه

شوفوا خاوتي الزهر هنا من بعد حتى تعـاشقنا[3]

غير أن كلكال لم يكن مجاهرا بلذته فيستر عجزه عن بث لواعجه بغشاء من القصص الغرامي ، لأن البيئة التي وجد فيها قضت عليه بالترصن و التستر ، و الحبيبة في شعر كلكال بخالد امرأة ليست بغريبة عنه ، و مسكنها قريب من مسكنه ، لأنها بنت البلدة ترعرعت فيها و شبت بين أحضانها ثم ترحل بعيدا لأسباب مرتبطة بالعادات و التقاليد أو العرف الذي يجعل أسرة الحبيبة تتحرك بعيدا عن أعين الناس خوفا من العار و الفضيحة و النعوت ، الأمر الذي يضطرالشاعر أن يلاحقها و يترك أهله يبحثون عنها أو أن يرسل إليها رسولا يبلغها لوعته ، و حرقته ثم يأتيه بأخبارها ، و المرسول هو إنسان يجده الشاعر جالسا صافي المزاج هادئ البال من مناوشات الحب و الهوى قد لا يفقه في لغة الحب شيئا، يقول:

أنا ما نيش هاني قلبي كبير و صبار أحضيت في وطنها براني و ناسي دواري

وقوله :

نخبرك يا القاعد تروح لي مرســول قولها من عند الشاعر بخالد راه مثل المهبول

و يبدو الشاعر في قصائده الغزلية مولعا بذكر الأوصاف المادية للمحبـوب ، و ذكر لواعج نفسه ، على نحو ما نجد عند غيره من الشعراء الشعبيين[4] ، يترسم البهاء و الجمال في سهولة ألفاظه ، و لين في تعابيره مع التبسط في شرح أحواله بخفة أوزانه و معانيه ، فيحاول

1 .ينظر قصيدته (حب الزهرة) في الملحق.

2 من قصيدته " العاشق" في الملحق.

3 – كندير : كيف أفعل . حامق : جن من حبه ليمينة . شوفو : انظروا

4 مثل مصطفى بن ابراهيم ، عبد الله بن كريو ...

أن يحذو حذو شعراء الأدب الرسمي ، لكنه يقصر عن هؤلاء في الكثير من الجوانب لا سيما في جمال القصص و الحوار ، فلا يكون من ذلك إلا التقليد و هي سمة أخرى تميز بها الشعر الشعبي الجزائري كما يشير إلى ذلك التلي بن الشيخ " ما من شك أن الشعر الشعبي الجزائري يمثل صورة من صور التقليد للشعر العربي في كل الأغراض الشعرية ، مع اختلاف في أساليب التعبير و تباين في درجة الرؤيا و تغاير في النظرة العامة لوظيفة المرأة " [1]

و يظهر تقليد شاعرنا في هذا الغرض حين يصف محبوبه و يعنيه كثيرا أن ينعت شعره و عينيه و ثغره و رضابه و قوامه ، و يخصه بالتشبيه دون أن يلتفت إلى وصف ما يتركه الجمال الطبيعي في النفس من أثر و اهتزازات ، فراح يصف من المحاسن الخارجية كالعين السوداء الدعجاء و تلك الخال التي زادت الوجه جاذبية و نضارة ، و العوارض البيضاء الناصعة و ما وراء كل ذلك من أناقة و اعتدال قد ، كلها محاسن خارجية ذات تأثير فعال في نظر الشاعر على كل ناظر إليها .

و قلما يلتفت كلكال إلى وصف العواطف و الأهواء ، و ما يعتري النفس من الشوق و الصبابة و الغيرة و الحرقة ، و خوف و أمن ، و يأس و رجاء ، إلى تصوير طباع محبوبه و ما يتلفظه من حركات و سكنات و غنجه و دلاله ، بيد أننا نجده يتحدث إلى الحمام و يشكو و يئن و يتظلم متشبها بالشعراء الأقدمين ، قوله :

**و من عاهد الزينة	راني لقيت حمام أمينة**[2]

أما الصورة التي رسمها الشاعر للمرأة في شعره تبدو باهتة شيئا ما ، و هي صورة مغايرة لما نعرف عن المرأة الجزائرية (قديما) لا سيما البدوية منها، لأنها تظهر كالمحرك للغرائز و الضغائن ، فلا تحب في الرجل عقله و ذكاءه ، إنما تحب ماله و حاله فإن حدث و فقد هذه المؤهلات تخلت عنه المرأة ، فتكون النتيجة أن توصف بالمواصفات السلبية كالخداعة ، و البدالة و غيرها قوله :

**ثم تسال اليا كان صابته بماله	اتجي قباله و تعوج الفورارات**
**تبقى توكد الناقص مع الزايد	ذاك ولد قايد زيدي لخوك لحافات**[3]

---

[1] منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري ص87

[2] من قصيدته "العشق" ينظر الملحق

[3] من قصيدته "مكر النسا" ينظر الملحق .

بالاضافة إلى ما ذكرنا التي تنتج عن العلاقة بين الرجل و المرأة غائبة تماما و هي موضوع حساس لما له من الأهمية في الحياة الاجتماعية فلا نجد له إشارة لا تصريحا و لا تلميحا .

لكن هذا لا يعني أن شعر الغزل عند كلكال يخلو من جمال الفن و حسن الصناعة مثلما لا يخلو من صدق العاطفة ، مع المحاولة في تجديد المعنى ، و قد تخضع له أبكار المعاني ، و تستسلم له بنات العواطف حينما يطالعنا كلكال بصورة من صور الغزل العفيف حيث يصور لنا حبه العفيف القوي ، حيث تظهر تلك الصلة الروحية القوية ، إذ هوز محب لفتاة واحدة " الزهرة " و يلقى منها ما يلقى من صد و هجران و تنكر و قسوة الأهل إلا أنه يفضل الإخلاص لمحبوبه على أي شئ آخر.

و تظهر لنا في المقابل صورة أخرى من صور الغزل الإباحي ، حينما يكون كلكال مجاهرا فيها بلذته، و يظهر بمظهر الفتى الجذاب الذي يسعى إلى كسب قلوب العديد من النساء فنجد أسماءهن في قصيدته " العشق" (الزهرة ، مامة ، يمينة) ، و لكل واحدة شأن و قصة في حياة الشاعر، يقول :

مامة ها الغيضانه   زهرة لبده زعفانه

يمينة ها البستانه   مامة و اتقول ادخل

•الحكمة :

تناول كلكال الحكمة فجاءت قطعا متناثرة في قصائده المختلفة ، و هناك قصائد كاملة خصصها للحكمة ، مما يشير إلى مدى ولوعه بذكر الحكم و ضرب الأمثال مثلما ولع بتجسيد عصارة حياته و خلاصة تجاربه و تقديمها للقارئ باكورة ناضجة يستفيد منها في حياته ، ذلك ان كلكال خبر الحياة و تمرس فيها فأكسبته معرفة و دراية بشؤونها المر الذي جعله في مرتبة الصفوة من الشعبيين بشهادة الأهالي ، بفضل ما انتجه في شعر الحكمة على الرغم من سذاجة تفكيره بسبب بساطة الحياة الاجتماعية و يظهر هذا جليا في قصيدته يا سايلني التي خصصها للحكم و الأمثال :

ليلة بنوارها و ليلة مدموسة   ليلة بغيامها غير الى الصيف صحات

لا تامنشي فالزمان فضة و نحاسه   شوك الضربان هاكذاك ليامات[1]

---

[1] ينظر قصيدة "يا سايلني" في الملحق .

أتهلى في عدوك عمرك لا تنســـى لازم ربي يحوجه و يجيـــك يبــات
نوبة ضيف للطعام ، نوبة للهربه و اك الضيفة خيام يعلرف لنـــعات[1]

"إن أهل المغرب الكبير من أشد الناس ميلا إلى الحكمـــة و الأمثـــال و القصـــص ذات المغزى ..و من هنا نعلم كيف أن آداب الحكمة بلغت من الغزارة حظا عجيبا في نواحي سيدي أبي العباس بالخصوص و الناس في محادثتهم الجارية يفرطون في استعمالها..."[2]

و كلكال واحد من سكان مدينة سيدي بلعباس التي يشهد لها بالتفوق في الحكمة و براعة أهلها في نسج خيوطها المحكمة ، فقد سن كلكال دستورا للحياة وضع فيـــه عصـــارة معارفـــه و خلاصة خبرته و أقام البرهان على ما ذكر ، فقد استخدم في تعبيراته صورا منتزعة مـــن الحياة التي يعيش فيها مما يدلنا على صدقه و تأثره بمظاهر البيئة البدوية الجزائرية ، فسجل لنا الشاعرنا العديد من الظواهر الاجتماعية ، و قد ساعده في كل ذلـــك طـــول عمـــره، و كـــثرة تجاربه،و رجاحة عقله ، على معرفة بواطن الأمور و اختبار الحياة فاستخلص منها هذه الحكم الخالدة التي تأثر بها كثير من الناس من حوله .

و حكم كلكال ليست كلها مخصصة في قصائد منفردة لوحدها ، بل هي متناثرة هنـــا وهناك في قصائده ، و تبدو في نسج محكم ، و هي لا تخلو من كل روعة أدبية، و لا تخلو مـــن معرفة عميقة لأخلاق الناس و طبائعها و لأحوال الدنيا و أحداثها .

فالحياة في نظر كلكال قصيرة و إن طالت ، و الموت أمر محتوم، فسبيل العاقل أن يلزم جانب الرصانة ، و يتمعن جيدا في عاقبة كل شيء متذرعا بالايمان ، و أن يتسلح بالبســـاطة و القناعة ، فلا تبطره نعمة و لا تغره ابتسامة، يقول:

هذا وقت اليوم اللي راه غير يسرع وين راه اللي يدوم وين راه اللي يخلع
الدار الدايـــمة الهيه فيـــها تتمـــتع اخدم بالنـــــية كالشـــــمس مين تطلع
و ليا شرقت عليك تشقى و تـــجمع لازم يجـــي نهـــــار اللـــي فيه تودع[3]

إن كلكال ليس شاعرا فيلسوفا صاحب مذهب خاص يشيد به ، و يدعو إليه ، و إنمـــا هو شاعر مثقف مجرب ، و مطلع على طرف صالح من الحياة الاجتماعية ، فكانت لـــه آراء

---

[1] – لا تامنشي : لا تأمن غدر الزمان .شوك الضربان : حيوان يكسو جسده الشوك . يحوجه : يكون بحاجة إليه.

[2] مصطفى بن ابراهيم شاعر بني عامر و مداح القبائل الوهرانية . دعبد القادر عزة ص42

[3] من قصيدته " الشباب و العمل" ينظر الملحق

في الحياة و الاجتماع ، توكأ في أكثرها على تجاربه الشخصية العامرة بالأحداث و المفعمة بالممارسة .

و يبدو كلكال كثير الاحتفال بالحكمة و ضرب المثل ، يحذو حذو غيره من الشعراء الشعبيين الذين سبقوه ، و لعل هذا ما جعل حكمته غير ناضجة في كثرتها ، و هي قائمة على شكوى الدهر و تقلبات أحواله بين رخاء و شدة .

و الحكمة لدى كلكال ظاهرة تميل نحو تقليد في مضمونها لما سبق ذكره من الشعراء الأقدمين على نحو ما ورد في البيتين السابقين ، اللذين يدور مضمونهما حول تقلبات الأيام و تغير الأحوال و هذا قريب من قولهم : الدهر يومان .

غير أن هذه الحكم ، تسير في سلاسة و سهولة عجيبين ، و إن فيها من الأبيات ما يدور على ألسنة الناس و صار نموذجا من نماذج الحكمة البشرية التي تعبر عن الحقائق العميقة في ظاهر من البساطة يروق و يعجب بغير تصنع و لا تكلف ، و في استطراد بعيد عن حشو في الكلام[1] .

و هكذا جاءت حكمةُ كلكال حكمةً مفعمة بالإتزان و الرصانة ، موسومة بالسمة الدينية ، و مصطبغة بصبغة التفاؤل و الواقعية .

فالحكمة هي من نسج كلكال بنفسه ، و هو ذو خاطر من هذا القبيل ، يصور فيها ما تنهبه عيناه و يحرك مشاعره و يرضي خاطره .

الوصف[2] :

إن غرض الوصف مجال آخر من المجالات التي فتح بها كلكال بابا رحبا في شعره ، فتناول كلكال الموصوفات على اختلاف أنواعها.

يبدو كلكال بارعا في ذكر الأوصاف المادية أكثر منه في الأوصاف الروحانية ، فهو يجيد نعت ما للمرأة من أعضاء و حسن صورتها ، غير أننا نجد الشاعر قد يضيق بوصف

---

[1] ينظر قصيدة "يا سايلني" و" الصحبة" في الملحق

[2] الوصف : يعتمد في المقام الأول على التشبيه و الاستعارة ، و الوصف نوعان : خيالي و حسي

الخيالي : يعتمد على التشبيه و يستعين بالذكريات و هو على صلة بالوجدان .

الحسي : تصوير بالألفاظ ، و هو يتناول المحسوسات فيصورها بصورة رائعة.

الوصف الخيالي و الحسي بأتيان دائما معا ، إلا أنه قد يغلب أحدهما على الآخر.

ينظر كتاب المنهاج في الأدب العربي عمر فروخ ط2 منشورات المكتبة العصرية بيروت صيدا 1974 ص187-186

لواعج الحب ، و ما يختلج في نفسه من حرقة الهوى و نيران الجوى ، و أثر الغيرة في النفس، و تصوير طبائع المرأة المعقدة في أغلب الأحيان .

و يحسن نعت الطبيعة الناضرة الباسمة ، و عرض مفاتنها و اتساق ألوانها ، لكنه يقصّر في تصوير إحساسه بها ، و امتزاج روحه بروحه ، و يمعن في ذكره المحسوسات و يدقق في نعتها و يبحث عن ما وراء وجودها و إظهار مواطن الجمال و السر فيه على نحو ما ورد في وصف سفينة " المنصور " التي كانت تنقل المهاجرين الجزائريين من وهران نحو فرنسا ، فكان له هذه الأبيات :

بابور المنصور ركبنا فيه   و من وهران دار الديبار
حديد موثق حرنا فيه   رافد كذا من قنطار
كل ما تنظر بالعين الا فيه   هذي المصيبة جايب دوار[1]

فإذا أردنا أن نلتمس إبداع شاعر كلكال و افتتانه ، و دقة وصفه ، و جمال تصويره ، وحلاوة معانيه ، و خصب خياله ، و هو يصف حالته النفسية حينما كان في السجن :

راني عند لاستعمار نخلص في الثار   هذا هم كبير راه فات عليا
داوني من بلعباس واك يشيب الراس   كذا من عساس السلاسل في يديا
السنسلة بالفيس مخدومة بالقيس   ويلا جبت صاحبك تزير هيا[2]

يصف الشاعر السجون التي قضى فيها الأيام الحالكة ، و هي خير ما جادت به قريحته في غرض الوصف ، و هي نظرة واقعية تمخضت عن معايشة مريرة و في شأن السجون يقول العربي دحو : " كانت نظرة الشاعر الشعبي إلى الأماكن نظرة واقعية منطلقة من منظور عملي تجريبي ."ملاحظة ، اطلاع و معاينة"[3] .

و يظهر الوصف الواقعي[4] للأماكن في وصف اشتياقه و حنينه لأهله و هو سجين . في قصيدته قمري ولد الحمام حيث الوقوف على الأماكن المحيطة ببلدته (مسار) ، و هي قصيدة

---

[1] ينظر قصيدته "الرحيل إلى فرنسا"

[2] ينظر قصيدته "السجن"

[3] الشعر الشعبي و دوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس ج1 ص101

[4] وصف حسي : (السجون ، الحالة الاجتماعية ، بابور المنصور)

نجد فيها من التشابه بينها و بين قصيدة مصطفى بن ابراهيم : "القمري"[1] ما نجد.

و أوصاف كلكال منها قديمة ينسحب بها على أذيال الذين سبقوه من الشعراء الشـــعبيين كوصف المرأة ، و منها الجديد كوصف البابور و التطور الذي حققته الأمم بهـذا الاخـتراع ، و منها القديم و الحديث كوصف الحالة الشخصية (حالة بين السـجون ، حالتـه عنـد رحيـل المحبوبة أو ما دار من معارك بين جيش التحرير و المستعمر[2]، أو مـا حـدث مـن حـوادث اجتماعية مثلما هو الحال في قصيدته عام البون ، الدنيا انقلبت ، حب الزهرة ، حيث في كـل هذا نجده ينطلق به الخيال جميلا مجنحا[3] ، يطير إلى صور المخدرّة فيهتك حجالها و يمســحها بشتى الالوان و يجسمها كوصف حالته العاطفية.

---

[1] مصطفى بن ابراهيم شاعر بني عامر و مداح القبائل الوهرانية د عبد القادر عزة ص242

[2] ينظر قصيدته " ثمن الاستقلال "

[3] وصف خيالي : (وصف الحالة النفسية و هو عاشق يعالج لواعج نفسه ، وصفه للحبيبة الزهرة)

الفصل الثالث :

المستوى التركيبي:

اللغة[1] :

إن لغة كلكال من خلال نصوصه ، ذات أصول عربية في مجملها ، لكنها لا تحافظ على خاصية الكلمة العربية الفصحى ليس على مستوى القواعد النحوية فحسب ، بل على مستوى النطق بالحروف المكونة للكلمة أيضا ، إلى جانب عدم مراعاة القواعد النحوية و الصرفية و اللغوية بصورة مجملة عند النطق بها و عند كتابتها أيضا.

كما أن الكلمة الشعبية عند توظيفها في الجملة يدخل عليها التغيير و هذا التغيير يمسها من وجود شتى منها رسمها ، النطق بها و مراعاة القواعد النحوية و الصرفية التي لا تلتزم فيها.

الأمر الذي يعني لنا بأننا أقام لغة أصول مفرداتها في الغالب عربية ، غير أن استخدام هذه المفردات في تراكيب تعبيرية مختلفة تسقط عنها و تنزع عنها الكثير من الخصائص التي تخص المفردة العربية في الاستعمال الفصيح ، ذلك لما نعرفه عن الفصحى من الكثير من المزايا و الخصائص.

كما أننا نصادف في ثنايا النصوص الشعرية المفردات (الألفاظ) و حتى العبارات التي لا نجد لها أصلا في اللغة الفصحى ، لكونها تختص ببيئة دون الأخرى و جماعة من الناس دون سواهم أو عصر دون الآخر .

أضف إلى ما سبق من ملاحظات ، تلك الكلمات الأجنبية التي وظفها كلكال نتيجة العصر الذي عاش فيه ، و هي مرحلة تزامنت مع الوجود الاستعماري و ما فرضه هذا الأخير على الأهالي من تعلم اللغة الفرنسية و إبعاد اللغة العربية عن المدارس و الإدارات و غير ذلك، كما أن للوسائل المتطورة التي جلبها المستعمر الفرنسي (الصناعية)كان لها يد في التطور الاجتماعي ، الأمر الذي جعل الشاعر يحافظ لها على أسمائها بلغتها الأصلية لا سيما ما يخص أسماء الأسلحة و الأماكن و الآلات و غير ذلك.

و الأمر نفسه فيما يخص العسكريين الفرنسيين و أسمائهم و رتبهم و نوع الفرق المكونة لهم ، و حتى فيما يخص العمليات العسكرية التي التصق اسمها بصاحبها المخطط أو المنفذ لها.

---

[1] " هي تلك الصورة التي تعطي محتواها لونا و شكلا و قواما ، فهي ذلك التيار الذي يبعث الروح في جميع أركان الكيان الوطني ، و ذلك الاسمنت الذي يضمن وحدة البنيان القومي و الذي بدون تلاحمه لا يمكن أن يكون أي كيان لمة من الأمم" مجلة الصالة مولود قاسم نايت بلقاسم العدد 24 ص 2 قسمة اللغة عند الأمم س 77

بذلك و من خلال ما سبق سرده من السمات الغالبة على لغة شاعرنا ، فإننا نخلص إلى الرأي القائل بأنه أقام لغة ليست بفصيحة قطعا ، و ليست ببعيدة نهائيا عن الفصحى ، و هذا راجع بالدرجة الأولى إلى ما امتلكه شاعرنا كلكال من معارف لغوية في المدارس الفرنسية من جهة ، و في ظروف السجن (اللغة العربية) و في المحيط لغة أخرى .

إن معظم المهمتين باللغة و مجالها في الأدب الشعبي[1] يخلصون إلى ما سبق الاشارة إليها و لعل الشاعر كلكال ليس بعيدا عن ما يخص جميع الأدباء الشعبيين بخاصة شعراءهم .

غير أننا نعلل ما جاء في شعر شاعرنا بهذه اللغة ، بالعلل التالية:

1 اهتمام الشاعر كلكال بالأفكار المتلاحقة على إلهامه الشعري و محاولة إيصالها إلى الجماهير الشعبية.

2 تمدرسه باللغة الفرنسية (الاجبارية) و خدمة الفلاحة في مزرعة المعمر الفرنسي (فرانسوا ساردون) و المرء بالقرين يقارن .

3 البيئة البدوية ذات الصلة الوثيقة بالمعتقدات و البساطة و الخشونة في الطبع.

4 عدم التحاق كلكال بالكتاتيب و المدارس القرآنية، إلا ما أخذه عن غيره من السجناء حين زج به في السجن.

على كل إنها الظروف التي عانها غالبية الشعب الجزائري ، الأمر الذي جعله يضيع آنذاك في دوامة عميقة من الجهل و التخلف و الأمية ، و شاعرنا كلكال واحد من هؤلاء و من هذه الشريحة التي مسها كيد المعمر ، الأمر الذي يحتم علينا القول بأن مهمة الايصال (الفكرة) ، التي اعتنى بها الشاعر أكثر من غيرها هي التي أبعدت عنه الصنعة التي تتطلب الاختيار و الانتقاء للألفاظ و العبارات.

كما أنّ العبارات المستعملة عند الشاعر كلكال هي من النوع المتداول بكثرة و المستهلك بأكثر في الحياة اليومية ، و بما ان الشاعر واحد من الأهالي و لغته هي لغتهم ، فلا غرابة في وجودها بين حنايا النصوص الشعرية ، سيما تلك التي وجدت إبان الاحتلال الاستعماري.

و كان أيضا للعفوية و التلقائية[2] حظها الوافر في شاعرية كلكال و الأفنان الجميلة و بالتالي يؤثر في عواطف السامع ، لكنّ الظروف السياسية بخاصة أفرزت ما أفرزته ،

---

[1] العربي دحو ، عبد العزيز مقالح ، إبراهيم انيس و غيرهم

[2] و الشاعر الشعبي لم يكن أديبا صناعيا في اختيار القوالب الجميلة لكي يؤثر في عواطف الناس، و إنما كان يقول الشعر بطريقة تلقائية و عفوية "

ينظر المرجع : التلي بن شيخ دور الشعر الشعبي في الثورة بين 1830 –1945 ص 57

و الشاعر كان يئن تحت وطئة الاستعمار ، و ذلك كان كافيا أن يحتم على الشاعر أن يستخدم ما هو موجود و بحوزته من زاد لغوي يفي بحق المشاهد و يصورها حق التصوير المهم أن يقوم الشاعر بمهمته (الايصال) و نقل كل ما وقعت عليه ناظريه، و لعلها كانت اللغة تلك كافية لدغدغة مشاعر الشعب ويضرم بها نيران عواطفه و لهيب عنفوانه و تمرده.

و مهما يكن فإننا نخلص من خلال ما سلف ذكره ، و على ضوء ما تقدم الاشارة إليه بأن الشاعر كلكال لم يكن وحيد اللغة و لا غريبها و لا مبتذلها ن فهو بعبارة أخرى لم يأخذ من لغة الحياة اليومية فقط بل أخذ كذلك من لغة المعاجم ، و أخذ من لغة الشعراء الذين سبقوه في الميدان.

الأمر الذي يَدُلُّ على أن لغة كلكال تخضع و تتألف من ثلاث مستويات متماسكة فيما بينها كونت الزاد اللغوي للشاعر ، و كانت سمة قصائده الشعرية على اختلاف أغراضها و أزمنتها و ظروفها ، و هذه المستويات الثلاثة[1] هي : المستوى الفصيح ، المستوى العامي ، المستوى الدخيل.

•المستوى الفصيح :

و هي في مجملها لغة اكتسبها الشاعر كلكال من خلال ما حفظه من آيات قرآنية كريمة، و ما تشبع به من ثقافة دينية بسيطة ، حين شاءت الأقدار بأن يكون كلكال من أهل السجن ، فصادف رعيل من السجناء يتقنون حفظ القرآن الكريم جزه ، فأعجب بذلك و كان سريع البديهة و الحفظ ، الأمر الذي مكنه من حفظ ما كتبه الله له من الآيات الكريمة ، و تعلم منهم أيضا الألفاظ الفصيحة و معانيها ، فأصبحت بمثابة زاد آخريضاف إلى ما بحوزته من لغة و معارف.

• المستوى العامي :

إنه الزاد اللغوي و المعرفي الذي نهل منه الشاعر منذ أن فتح عينيه على العالم شأنه في ذلك في ذلك شأن كل واحد من أبناء البيئة ، فهو يتعلم ما ينطق به أهل البيت ثم الشارع ، فإن كانت الثقافة في هذه الأسر مرموقة و لغتها راقية ، كان نصيب المرء منها أكثر حظا و أوفر نصيبا.و العكس صحيح ، و لعل حظ كلكال أنه وجد في بيئة بسيطة اللغة و الفكر نتيجة

---

[1] و قد تقدمت الإشارة إلى أن اللغة في شعر العامية تتألف من ثلاث مستويات : مستوى فصيح و مستوى عامي أو دارج و مستوى دخيل .
،يراجع عبد العزيز مقالح شعر العامية في اليمن ص218

الظروف القاسية (الاستعمار و مخلفاته) الأمر الذي جعله يتشبع بما جادت به جعبة المجتمع من لغة و علم.

•**المستوى الدخيل :**

كنا قد أشرنا إلى الوجود الاستعماري و ما خلفه على الشعب الجزائري من مخلفات سلبية تراكمت و ازدحمت نتائجها ، فلم يكن كلكال لينجو من هذه المؤثرات ، فتأثر بما فرضه عليه عصره و ظروفه ، بالأخص لما تمدرس في المدارس الفرنسية (إجباريا) ، فكان طبيعيا أن ترسخ تلك اللغة و ثقافتها في ذهن الشاعر لا سيما و أن المجتمع نفسه كان يوظفها في كلامه اليومي و حديثه العادي ، و لعل لتلك الحياة المتغيرة التي عاشها كلكال أثرها الفعال فيما يخص التطور الصناعي (الطائرات، الأسلحة ، الآلات الصناعية...).

1. فلا غرابة أن تفرض هذه المعطيات نفسها في شعر كلكال و أن تظهر جلية فيه.
2. **الحذف :**

يغلب في الحذف عند الشاعر كلكال حذف أداة النداء قبل المنادى ، و يعود سبب حذف الأداة إلى قرب المنادى الحسي و المعنوي منه و ذلك ما بينه الأبيات التالية:

قوله في قصيدة (البخلاء):

خاوتي ما احتاها قصة ، واش أداني لدويعيسى ، ربع في خبزة كسره

فنلاحظ أن الأداة حذفت لقرب المنادى .(الاخوة) و هنا يقصد أصحابه الذين رافقوه في عمله عند دويعيسى، و هو قرب معنوي.

و قال أيضا

قمري ولد الحمام كونك خويا * نكتب لك عنوان تعزم بيه

تقرير الكلام (قمري) ، فالأداة للنداء حذفت لقرب المنادى (قمري) الحسي من الشاعر و قلبه و شبيه بذلك :

ما قاله أيضا في قصيدة (السجن) :

محمد لعزيز ولدي وين امشيت * جتني أصغير يا ولدي خويه.

حذف الشاعر الأداة للنداء من المنادى محمد (و تقدير الكلام أمحمد) نظرا لقرب مكانة الابن من قلب الأب و هنا قرب حسي دلت عليه الصلة الوثيقة بين الشاعر و ابنه.

و قال أيضا في نفس القصيدة :

بمالم الدرجات نطلب فالممات * خير م الحياة و لا زعاف الخليه.

حذف الشاعر حرف النداء (الهمزة أ) و تقدير الكلام (أ عالم الدرجات) و ذلك لقرب المنادى الحسي من المنادى .

و قوله أيضا في قصيدته الشباب :

شعب الجزائر كونو في مضرب * أبنو ساسكم الأرض أمتين

نلاحظ أن الشاعر حذف الأداة الخاصة بالنداء قبل المنادى و تقدير الكلام (يا شعب الجزائر) و هنا يمكن أن نستعمل الأداة للقرب من المنادى و لبعده ، أما حين حذفها ، دلت على قرب المنادى الحسي من قلب الشاعر.

كثيرة هي الأمثلة في هذا المضرب ، و قد اكتفينا بذكر البعض على سبيل الذكر لا الحصر.

و قال كلكال في قصيدة "العشق" :

أو هاذو أحبابي الكل * واحصراه ذيك القانة.

لقد حذف حرف الجر (على) قبل اسم المجرور (نيك) و تقدير الكلام (على نيك القانة) غير أن هذا الحذف لم يعب سياق الكلام ، بل إننا نلمس فيه تمام المعنى و لعل ذلك يعود إلى التلهف على المقصود بالكلام.

و أما في قصيدته السجن قوله :

قالت يا شبان الصبر و الايمان * مول الصبر ينال ساعة في الدنيا

نلمس في الشطر الأول حذفا للفعل "الزموا" و هو فعل أمر ، الذي دل عليه المصدران المشتقان من الفعل (الصبر و الايمان) ، و هنا يفيد الاغراء لأمر محمود يجب الوقوف عنده ، و هو التمسك بالصبر و الايمان، لأنهما عزاء و قوة المؤمن المظلوم.

أما في قصيدته : حب الزهرة.

أنا ما نيش هاني قلبي أكبير و صبار أحضيت في اوطنها براني و ناسي دوار

في الشطر الأول من هذا البيت نلاحظ حذفاً لحرف الاستدراك "لكن" فالشاعر يعرض شكواه للسامع ، إلا أنه بتفطن لحاله و حتى لا يكون في موقف ضعف و رحمة و استعطاف ، استدرك قوله بحذف حرف الاستدراك "لكن" قلبي اكبير أو صبار ، ليثبت لغيره مدى صموده و تماسكه أمام النكبات المتوالية عليه.

و في قصيدته "فارحته ميمته"

فارحة ميمته ، و ليدي أربيه * ما داريش بالعلة مين يكبر.

عمد الشاعر إلى حذف الفعل الدال على مقولة القول : (قالت) في الشطر الأول و تقدير الكلام (قالت : وليدي أربيه) ، غير أننا في هذا الحذف لا نشعر به في سياق الكـــلام و ذلـك لوجود ما يدل عليه في المعنى ، و هي جملة مقولة القول.

و في قصيدته حب الزهرة قوله :

تبكي واشفك حالي * عوض ألي فالنار.

نلمس حذف المصدر (بكاء) بعد الفعل (تبكي) ، الذي يدل على النوع و وصف الحالـــة أثناء البكاء ، فالبكاء يكون بغزارة ، أو بدموع فياضة و همعت العين نتيجة حالة الحبيبة السيئة التي هي عليها من حراسة شديدة و فراق عن المحب.

و في قصيدته الصحبة ، يقول :

وليت مولى مال أو نسيت صحبتنا * و المال يبدل و ما يديش للجنة

حذف الشاعر الصفة عن الموصوف (مال جم و كثير) على سبيل اجتزاء الصفة مـــن الموصوف و هذا كثير الاستعمال في كلامنا العامي و حتى في اللغة الفصحى .غـــير أن هـــذا الحذف لا ينقص من سياق الكلام و لا من معناه بل هو لطيفة بلاغية حميدة.

أما في قصيدته (الوقت اتبدل)

راها انقلبت لا موده لبنات ولاو اقروده * عبايتها بشبر مرفوده شادي في الجبال

نلمس في الشطر الثاني من البيت حذفا لأداة التشبيه،(كأنها) ، و تقدير الكـــلام (كأنهـــا شادي في الجبال) ، و دليل الحذف هو أركان التشبيه (المشبه البنت) و المشبه به شادي فـــي الجبال) ، فالحذف هنا يدل على بلاغة جميلة ، لأننا في التشبيه خاصة كلما حذفنا ركنـــا مـــن أركانه كان المعنى أوضح و التعبير أروع.

و في قصيدته (يمينة) :

راني نمشي أنزور لذي * أمعيا الزهور لقبر الزينة

يحذف الشاعر في الشطر الأول المفعول به الدال على الذي يتجه إليه أثناء الزيـــارة و هو (قبر الحبيبة يمينة) ، و دل على الحذف الفعل أزور، و هنا الحذف كان بسبب عدم التكرار للمكان (القبر) الذي ورد في الشطر الثاني من البيت.

و في قصيدته (أصحابه بوحيرز)

قاعدين غير اقبال التشوطين * من ذاك قوم ملقطين

حذف الشاعر الضمير المنفصل الدال على المبتدأ في الشطر الثاني (أنتم قوم ملقطين) ، و ذلك لوجود ما دل على ذلك (قوم) و هي تخص الضمير المخاطب للجمع و إن حذف الضمير هنا تفاديا للثقل و تجنب المواجهة للذين تعرض لهم الشاعر بالهجاء.

و في قصيدته نفسها ، يقول :

العباية أمشركه حتى للكرعين * أتحوسوا على الكف بألفين

الشاعر يحذف الفعل (مرتدين لابسين) الذي دلت عليه كلمة (العباية) لاهتمامه بالمقصود بالذكر و كذلك البراعة في التعبير ، و هذا كثير في كلامنا اليومي ، و هي تدل على لطيفة بلاغية.

التوكيد :[1]

يقول كلكال في قصيدته "العشق:

كندير أنا القلب أهنا * حامق ما بغاش يتهنى

عمد الشاعر إلى استعمال الضمير المنفصل و إبرازه بعد الفعل و ذلك قصد توكيده معنويا و تقوية المعنى للفعل الذي قبله ، و الغرض من كل هذا هو إبراز الشاعر حالته التي توحي بالضياع و عدم الاستقرار على حال أو رأي بسبب ما يعانيه من عشق و هيام و لوعة سببها القلب الولهان المتيم بيمينة.

و أيضا قوله في القصيدة نفسها :

يعشق لي غير ألي زينة * سلباته واك يمينة

يؤكد الشاعر في قلبه " سلباته واك يمينة" على المعنى الدال على الاقناع للسامع باستعماله حرف الجواب "واك" و هذا كثير الاستعمال في كلامنا اليومي ، و هو وارد في السياق الكلامي دون قصد او شعور لكن يدل على التوكيد للكلام الموجه إلى السامع ، و في نماذج الشعر عند كلكال الكثير من هذا النمط التعبيري نتيجة شدة ارتباط الشاعر ببيئته.

و قوله أيضا في القصيدة نفسها :

أو هاذو أحبابي الكل * واحصراه ذيك القانة

---

[1] التوكيد هو تابع يذكر لتثبيت ما يريد المتكلم في ذهن السامع و إزالة ما يتوهم من احتمالات .

و هو نوعان : لفظي (تكرار اللفظة ذاتها أو مرادفها) ، معنوي (يكون بألفاظ معينة" نفس ، عين ، كل ، جميع ، عامة ، كلا ، كلتا) ، إنظر ابن هشام الأنصاري قطر الندى و بل الصدى دط دت دار الهدى الجزائر 135

نلمس توكيدا معنويا في قوله "أحبابي الكل" و هذا للدلالة على أن ما ذكر من أسماء الحبيبات (يمينة ، الزهرة ،مامة) ، فإنهن يحضين بمرتبة مرموقة في قلب الشاعر ، و أنه كان يقضي برفقتهن أحلى أيامه أجمل أوقاته فعمد إلى استعمال لفظة (الكل) التي دلت على التوكيد لما سبقها من الحكم.

أما في قوله : القصيدة نفسها :

و الله ما انزيد أعليك * ساعة ربي أيلاقينا

القسم دلالة على التوكيد لمل أريد القسم له أو عليه ، و هو يدل على عظمة الشيء ، لاحظ قوله "و الله" فهو يؤكد بغرض الاقناع و الاستمالة للحبيب ، و من جهة أخرى يسعى بالقسم هذا إلى تبرير نفسه و على مدى نزاهته إزاء الحبيبة.

أما في قصيدته "القمري" التي يقول فيها :

بين لحزان و قبر الدنيا * حكم الله راني لسرد فيه.

استعمل الشاعر في الشطر الثاني من البيت ، توكيدا في قوله "راني" ، التي تعني في اللغة الفصحى "إني" ، و هي من الظروف التي تفيد التوكيد على ما يستقبل من الزمن ، و هي نفسها في اللغة الشعبية ، "راني" المتكونة من "إن" حرف النصب و التوكيد و الاستقبال ، و نون الوقاية ، و ياء المتكلم، و هذه الكلمة كثيرة الاستعمال في اللغة العامية و قد أدرجها الشاعر كلكال في شعره.

و أيضا قوله في القصيدة نفسها :

يا القمري كونك خوي * أحديثي أنت تلرميه

يؤكد الشاعر على كلامه في الشطر الثاني من البيت باستعمال الضمير المنفصل "أنت" قبل الفعل ، و هو توكيد يراد من ورائه التنبيه إلى هام ، خشي الشاعر أن يكون القمري قد أغفل الكلام الذي وجه إليه ، فيضيع أمله و يتبدد حلمه ، فأردف في سياق الكلام الضمير المنفصل "أنت" للفت الانتباه.

و في قصيدته "السجن" يقول :

نهدر يا ناس و نزيد انأكد * سبعة و الخمسين واش صرا بيا

أورد الشاعر في الشطر الأول من البيت قوله "نهدر" التي تعني "أتحدث" ثم أردفها بلفظة أخرى دلت على أن الشاعر يريد من كلامه أن يثبت و يرسخ في ذهن السامع ، و دلت على أنه خاف من عدم انتباه السامع لما سيقول من كلام مهم فعمد إلى استعمال كلمة مهم فعمد إلى استعمال كلمة "انأكد" الدالة لفظا على معنى التوكيد لما سبق ذكره من الكلام.

و قوله أيضا في القصيدة نفسها :

خالق الأرض و السما هو الغفار * الله تعالى ما أخفاتو خفيه

يؤكد الشاعر في الشطر الأول من البيت باستعماله للضمير المنفصل ،الدال على الغائب المفرد (يعود على الله) ، و هو ضمير الفصل و العماد افاد التوكيد لما قبله بما بعده ، فالشاعر يؤكد بهذا الضمير على أن الله هو الغفور و الخالق، فيها لمحة إلى غيمان الشاعر ، و مثل هذا التوكيد كثير الاستعمال في كلام الشاعر ، كقوله في قصيدته : حب الزهرة .

ماشي أنزول الوالي سيدي مروان * أنخبركم ابطالي أنا بيا صار

ففي الشطر الثاني من البيت يستعمل الشاعر الضمير المنفصل "أنا" بعد النداء و المنادي و لم يستعمله بعد الفصل "أنخبركم" مباشرة ، و ذلك دالة على أنه خشي من فوات فرصة عدم الاستماع له، فاستدرك ذلك بعد المنادى لشد الانتباه أكثر ، و التوكيد على ما يريد أن يخبرهم به من كلام و أحداث متتالية ، و أيضا في قوله و في القصيدة نفسها :

لكلموها لي أنا بغيت فيها لنظار * الزين الخالي او منها طبت بلا نار

. الشطر الأول : "الضمير المنفصل أنا" الدال على المتكلم المفرد ، فقد ورد قبل الفعل "ابغيت" و المفعول به "لنظار" و ذلك بغرض الأكيد على المعنى و إبرازه أكثر ، فكان بإمكانه حذفه لوجود الضمير المتصل " تاء المتكلم" في الفعل "ابغيت" الدالة على الفاعل . لكن الشاعر يبدو انه يخشى ان لا يلقى كلامه في ذهن السامع حقه فيعمد إلى إظهار الضمير قبل الفعل أو بعده تأكيدا لما يبتغيه الشاعر من المعنى و شد الانتباه.

ما يمكن أن نشير إليه هو أن مثل هذا الأسلوب كثير الاستعمال في شعر كلكال ، و سنذكر هذه الأمثلة على سبيل التمثيل لا الحصر ، و هي في كل معانيها تفيد التأكيد و التنبيه لأمر محمود :

ففي قصيدته "مكر النسا" نأخذقوله "

أيقول بصح و أيزيد هو يفرح * أنقوله أطرح و أيعمد على الشتات

لو كان جيت حاكم أنا لنمجيكم * مشي سواهم راني على الشمتات

تأمل الشطر الأول من البيت الول ، فإنك تلاحظ استعمال الضمير المنفصل[4] الدال على الغائب المفرد "هو" فقد أبرزه و أظهره الشاعر قبل الفعل بغرض التوكيد على القول و الوصف.

و في الشطر الأول من البيت الثاني ، توكيد باستعمال الضمير المنفصل الدال على المتكلم المفرد "أنا" بعد الفعل "جيت" و المفعول به "حاكم" و هو توكيد معنوي ، أفاد به الشاعر إبرازا للمعنى و توضيحا.

4- هو ضمير رفع منفصل يفصل بين ركني الجملة الاسمية ليفيد أن ما بعده خبر لا نعت و ليؤكد المعنى و يقويه. ينظر صبحي التميمي إرشاد السالك إلى ألفية ابن مالك ج1 دار الشهاب الجزائر ص50

هناك نوع آخر من التوكيد ، استعمله الشاعر في القصيدة التي القاها في شأن حالته و لأحداث التي تتالت عليه قصيدته"واش صرا بيا"

شوف بالعين انظر صحح فالدنيا * أو قول فيها هموم قوية

يستعمل الشاعر في الشطر الأول من البيت ، المرادفات المتتالية و هي تعني نفس المعنى ، بتفاوت نسبي في درجة المعنى المستعمل لكل واحدة منها: "فالشوف" تعني "النظر" و تعني "صحح" بمعنى دقيق النظر، و إن استعمال الشاعر لهذه المرادفات لم يكن اعتباطا أو عبثا ، بل عن قصد و حاجة ، لا سيما و أنها مستعملة في صيغة الأمر الذي يفيد الوجوب فاللفظتان المستعملتان بعد الفعل الأول "انظر" أفادتا التأكيد على الطلب بغرض التنبيه إلى أمر محمود يرجى فعله.

لقد اكتفينا بذكر بعض النماذج في التأكيد كما قلنا على سبيل الذكر لا الحصر ، و يمكن أن نذكر ما تبقى من الأمثلة و موردها بغير شرح و تحليل لأن معناها يتشابه إلى حد بعيد بما نكرناه في الأمثلة المحللة سابقا.

التقديم و التأخير :[1]

حينما نتأمل القصائد المختلفة التي جمعناها للشاعر كلكال ، فإننا نتوقف عند نقاط تركيبية مختلفة تضمنتها هذه النماذج الشعرية، و التقديم و التأخير واحد من هذه الآليات التي استخدمها الشاعر لما لها من أثر بليغ في جمال الكلام و التعبير خاصة و أن الشعر الشعبي هو شفاهي أكثر منه كتابي، كل هذا سنقف عنده فيما اخترناه من نماذج عن سبيل الذكر فقط و ليس الحصر.

قصيدته ثمن الاستقلال

لجبال تنادي و اتقول ارواحوا * اوطلعوا لجبال في غاشيهم سمحوا

نلاحظ في الشطر الثاني من البيت تقدم الجار و المجرور "في غاشيهم" على الفعل و الفاعل ، و ذلك بغرض الاشارة إلىأن المتأخر مختص و مقصور على المتقدم ، و قد أضفى

[1] أما تقديم ما حقه التأخير فإنه يفيد القصر بطريق النظم ."
و هو ينير السبيل أمام الأديب شاعرا كان أو ناثرا لدقة الاستعمال و التفنن فيه."
ينظر كتاب مدخل إلى دراسة البلاغة العربية ص191-192

هذا التعبير سرا جميلا يكمن في تحقيق إثارة الانتباه ، و هي لطيفة بلاغية محببة في الكلام و التعبير.

و أيضا قوله في القصيدة نفسها :

و اعطاوا القرار في يوم أوصفحوا * أو دخلوا لجبال من او من راحوا

في الشطر الثاني تقدم الظرف "من او من" على الفعل و الفاعل "راحوا" و ذلك لنفس الغرض يعني تخصيص المتأخر بالمتقدم ، و نلاحظ جمالا في مثل هذا التعبير لا يخلو بنظم الكلام.

و أيضا قوله في القصيدة :

جابوا لاستقلال و من بعد راحو * كاين الي بقا منهم في قلوبهم أنجرحوا

نلاحظ تقديم الظرف "من بعد" على الفعل و الفاعل (راحو) في الشطر الأول ، و في الشطر الثاني تقديم الجار و المجرور (في قلوبهم) على الفعل و الفاعل "انجرحو" و في هذا التقديم تخصيص المتأخر بالمتقدم و قصره.

و في قصيدته" ساعة الرحيل"

ما كان احبيب لي نوريه * انخبره بيا ما صرا

في الشطر الثاني تقديم الجار و المجرور "بيا" على الفعل و الفاعل "صار"و ذلك بغرض تخصيص المتأخر بالمتقدم.

و قوله أيضا :

من كل ابلاد جايب غاشيه * فيه الشبان و فيه كبار.

في الشطر الثاني من البيت تقديم الجار و المجرور "فيه" الخبر ، على المبتدأ "الشبان ،كبار" فقد تقدم المسند "الخبر" على المسند إليه "المبتدأ" اهتماما بأمر المتقدم ، و اعتناء به لكونه محط القصر نلاحظ نفس الغاية في قوله من قصيدته "واش صرا بيا"

شوف بالعين و انظر صحح فالدنيا * و قول فيها هموم قوية

في الشطر الثاني تقديم الجار و المجرور "فيها " الخبر (المسند)على المبتدأ" هموم" المسند إليه و ذلك اهتماما بأمر المتقدم و اعتناء به لكونه محط القصد و الغاية.

و هذا واضح أيضا في قصيدته "الدنيا انقلبت" إذ يقول :

كنتشور للباها أيزيد هو يفرح بها * بنتي ما نبغيش عليها فيها القتل أحلال

تقدم في الشطر الثاني الخبر"فيها" الجار و المجرور(المسند) على المبتدأ " القتل حلال" المسند إليه، اهتماما بأمر المتقدم و اعتناء به.

و أيضا قوله في قصيدته "مكر النسا"

في كل بلدة من حبي لفرندة * قالوا سعيدة فيها المحنة أرسات

تقدم الخبر (الجار و المجرور، فيها المسند على المبتدأ "المحنة" المسند إليه ، اهتماما بأمر المتقدم و اعتناء به لكونه محط القصد و الاهتمام.

أما في قوله من قصيدته يا شباب

الجزائر واعيه و الشهيد بدمه اكتب * أحنا مع الناس المظلومين

تقديم " الجار و المجرور، (بدمه) على الفعل و الفاعل (اكتب) و ذلك لتخصيص المتأخر بالمتقدم.

و أيضا قوله في قصيدته هذا الجيل

و ألي أيقول الصح تسمى دار فضايح * الناس فيه تجرح أو واحد ما يبغيه

تقديم الجار و المجرور " فيه" في الشطر الثاني الفعل و الفاعل "تجرح"، و ذلك أيضا بغرض تخصيص المتأخر بالمتقدم.

و من قصيدته "الصحبة"

و انسيت ليام ألي فيها أدابزنا * و انسيت على الخدمة شاجرينا

في الشطر الأول قدم الجار و المجرور "فيها" على الفعل و الفاعل ، أيضا في الشطر الثاني قدم الجار و المجرور" على الخدمة" على الفعل و الفاعل "أجرينا" و هذا بغرض تخصيص المتأخر بالمتقدم.

و قوله من قصيدته "واش صرا بيا"

مع اولاده عايش و يزيد الاهلية * ايخمم غ البعيد اينجم يشويه

قدم الشاعر الجار و المجرور "مع اولاده" على الفعل و الفاعل (عايش) و ذلك تخصيصا للمتأخر بالمتقدم.

و في قصيدته "حب الزهرة" يقول:

كلامها بكاني أو من * عيني دمعوا لمطار.

نلاحظ تقديم الشاعر للجار و المجرور (من عيني) على الفعل و الفاعل و ذلك إشارة إلى أن المتأخر مختص و مقصور على المتقدم.

أما قوله في قصيدته (السجن):

ما بياش الحبس الذنب راه أنقص * منكم واك أنحس أقعدتوا في وطيه.

لقد قدم الشاعرفي الشطر الثاني ، الجار و المجرور (في قلبي) على الفعل و الفاعل (شعلت) و ذلك بغرض التلذذ و التعجيل ، و المقدم (في قلبي) يدل على أن الأمر محبب إلى النفس.

أمّا في قصيدته (العشق) يقول :

راحت بعيد بالسكنى * خفت من ناسها الشينه

قدم الشاعر في الشطر الأول : (الصفة أبعيد) عن الموصوف (السكنى) ، و ذلك مراعاة لنظم الكلام و موسيقاه ، و هذا أيضا يزيد في سر جمال التقديم و التأخيرلأنه يحقق إثارة الانتباه.

و في القصيدة نفسها نجد قوله : **راني نمشي أنزور ندي**

لقد تقدم الظرف (معيا) على المفعول به (الزهور) ، و ذلك مراعاة للنظم في الكلام و موسيقاه، كما قد يكون بغرض التعجيل و التلذذ أيضا.

•***التعريف و التنكير :***[1]

اقتصرنا في هذا المجال على ذكر النماذج التي تخص (الجملة الاسمية) لأنها الأكثر ورودا في شعر كلكال :

في قصيدته (أصحاب بوحيرز)

العباية أمشركة حتى الكرعين * أتحوسوا على الكف بألفين.

لقد ورد المبتدأ معرفاً بالألف و اللام (العباية) و الخبر(نكرة) و لقد تقدم المبتدأ على الخبر ، و هذا هو الأصل في الجملة الاسمية.

رمضان وين ؟ انتما موفين * أو خارجين من الدين

المبتدأ ورد معرفا بالعلمية (رمضان) ، أما الخبر فقد ورد اسما استفهاميا (وين) و هو الأصل في الجملة الاسمية ، إلا انه يجب تقديم الخبر على المبتدأ ، إذا ورد اسما استفهاميا لتكون الجملة " وين رمضان؟"

اما في قصيدته : "فارحة ميمته"

---

[1] التعريف بحد ذاته يفيد توكيدا ، لأن التعريف و التنكير أمران نسبيان بالإضافة إلى النفس ..."
التعريف يفيد الشيء المعروف توكيدا و يزيده وضوحا ، لأن النفس تكون أكثر تقبلا و تفاعلا مع ما سبق لها و إن أدركته.
(ينظر كتاب : الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ص118)

هذا الوقت الصاعب راني نقول عليه * هذا الكلام الشاعر كلاموأمعبر.

المبتدأ معرف لأنه اسم إشارة (هذا) و قد تبعه في التعريف البدل (الوقت) و حتى الصفة بعد البدل جاءت معرفة بالألف و اللام .أما في الشطر الثاني فالصفة (امعبر) تبعت الموصوف (كلامو) في التنكير.فكلاهما ورد نكرة.

و في قصيدة "يا سايلني" :

لاستعمار أطردنا اهرب * مستقبل أولادنا كجانا زين

ورد المبتدأ معرفا بالاضافة (مستقبل أولادنا) أما الخبر فقد ورد جملة فعلية (كجانا زين)

أما في قوله:

أحنا مسلمين و اللغة تجلب * أقروا ما قال رب العالمين

المبتدأ (أحنا) و هو ضمير منفصل يدل على الجماعة يقصد بها الشعب الجزائري ، فهو ضمير معرف، أما الخبر فقد ورد نكرة (مسلمين) و منصوب باليـاء لأنهـا اللهجـة العاميـة المستعملة.

أما بخصوص التوابع و نقصد بذلك البدل و المبدل منـــه ، أوالصفـة و الموصـوف و الحال و صاحبها، فإننا اخترنا هـذه النمـاذج علـى سـبيل الذكـر لا الحصـر: مـن قصيدته"فارحة ميمتة

شوفوا الشعب الدبول كل يوم * مغبون راه ولى فكرون عاطي للوعر

الصفة" المدبول" وردت معرفة بالألف و اللام لأن الموصوف الشعب معـــرف بـــالألف و اللام ، و الصفة عاطي وردت نكرة، لأن الموصوف فكرون ورد نكرة هو أيضا.

و قوله أيضا

هذا الوقت الصاعب راني أنقول عليه هذا الكلام الشاعر كلامه امعبر

البدل (الوقت) جاء معرفا لأنه بدل من اسم الإشارة (هذا) الذي وقع مبتدأ الأمر نفسه في الشطر الثاني(هذا الكلام)

الصفة الصاعب جاءت معرفة بالألف و اللام لأن الموصوف الوقت ورد معرفا بعد اسم الاشارة.

وفي قوله من قصيدته الشباب و العمل :

الدار الدايمة ألهيه فيها تتمتع * أخدم بالنية كالشمس مين تطلع.

الصفة الدايمة وردت معرفة بالألف و اللام لأن الموصوف قبلهـا ورد أيضـا معرفـا بالألف و اللام، و قد وقع مبتدأ.

في قصيدته يا سايلني: نجد الكثير من التوابع (الصفة) التي وردت نكرة نأخذ منها هذه النماذج:

نوبه فوق أرباعي ينفض فالقصة * نوبه فوق عود زحله من زحلات

فالموصوف (أرباعي) قد ورد بعدة صفة (لكنه ورد جملة فعلية) ينفض فالقصة) و قد وردت الصفة نكرة ، لأن الموصوف نكرة.

أما في الشطر الثاني نذكر قوله "عودة زحلة" صفة نكرة و موصوف نكرة و لقد ورد كلاهما مفردا (لفظة واحدة).

الايجاز :

قال الشاعر

أهديت وطني و أمشيت ألهيه * هديت وطني و وعدت النار

لقد دل الشاعر في عجز البيت بكلمة هديت بالرحيل و الانتقال من عالم إلى آخر ىخر عالمه الول المملوء بالذكريات و اللحظات الجميلة السعيدة رفقة أهله و أحبابه و صلته الوثيق بالبيئة التي ترعرع فيها ، و أما عالمه الثاني هو عالم مملوء بالشوق و الغربة و الآلام ، إنه انفصال تام عن عالمه الأول ، وما دلّ على ذلك سوى قوله : "ووعدت النار" دلالة على عدم تأقلم نفسية الشاعر مع البيئة الجديدة (و هي تواجده بفرنسا) ، إنه إيجاز قصر ، ضمنه عبارات قصيرة و معاني قصيرة دون حذف

و قال أيضا (قصيدة الصحبة)

يا فاهمني يالي راك أهنا * يا سايلني متى تتهنى

الشاعر يوجه خطابه لأعز أصدقاءه :المبروك" الذي عاش رفقته مدة من الزمن لا يستهان بها كانت كلها إخلاص و محبة من الشاعر لهذا الصديق ، لكن حينما أراد أن يخاطبه ، فقد تجاوز الكلمات (الالفاظ) التي تدل على مناداة الصديق و أعرض عن ذكرها ، لأن تقدير الكلام : يا فاهمني أنت يا صاحبي المبروك ، غير ان الشاعر لجأ إلى اتصار الكلام و ايجازه بواسطة الحذف[2] لما يفهم من سياق الكلام و لوجود ما يدل عليه، إنه ايجاز حذف : حذف ما دل عليه الكلام و السياق.

---

[1] إجاعة اللفظ و إشباع المعنى

يراجع المثل السائر 1 (ص242)

[2] و إيجاز الحذف قائم على إسقاط شئ من الكلام على أن يتضمن الكلام المتبقي قرينة لفظية أو معنوية ، تدل على الشيء المحذوف)

يراجع المثل السائر 279/2

و قال أيضا في القصيدة نفسها:

و أيجي النهار و اتقول اتفارنا * ماني بعيد عليك بالسكنى

يريد الشاعر بقوله : أأبعيد بالسكنى ، على القرب المعنـوي و القـرب المـادي ، لأن الصاحب هو أقرب لنا في المعرفة و الاحساس و الشعور ، فما بالك لو كان هذا الصاحب هـو جار ، لا شك في أنه مطلع على كل كبيرة و صغيرة تحدث للصاحب أو لأهله ، و لعل هذا ما أكده بقوله ، و هو إيجاز قصر[1] ، لأن الكلمة (السكنى) تضمنت معاني كثيرة.

و نفس المعنى نجد في القصيدة نفسها :

نقدر أنقول موس واحد يذبحنا * بصح اليوم أنسيت واش فوتنا

ضمن الشاعر قوله " موس واحد يذبحنا" معان كثيرة دون حذف ، إذ أن الكلمات دلـت على تلك الرابطة الوثيقة و ذلك الاخلاص الدائم بين الشاعر و صاحبه ، بل و الأكثر من ذلـك فإنها تصف لنا امتزاج روحهما قبل تقارب جسدهما أو تلاقيهما و الشاعر يشير إلى مدى تقاسمها الهم و المصائب و لا تحلو الحياة دون أن يسعد الاثنان أو يشقيا معا،إذن الكلمات دلـت علـى إيجاز قصر ، لأنها تضمنت معان قصيرة و واضحة دون اللجوء فيها إلى حذف.

و في قصيدته "يا شباب" يقول :

لاستعمار فيكم أتخـــــرب * اليوم أهنا و أغدا في لخرين

الجزائر واعيه و الشهيد بدمه اكتب * أحنا مع الناس المظلوميـن

نلاحظ في البيت الأول قوله "فيكم أتخرب " ، إن هذه الألفاظ تدل على معـاني كثـيرة و قصيرة ، فإن المستعمر معروف عنه الظلم و الاستبداد و الاسـتغلال و التجهيـل للشـعوب الضعيفة ، و القتل دون شفقة و لا رحمة، أليست كلمة ، "أتخرب" دلالة على حقيقة و جوهـر المستعمر و خبث نواياه ، لا سيما و أن الشاعر عاصره و ادرك ماهيته و كنهه ، فكان يكفـي أن ينعته بالمخرب لتدل على خبث المستعمر.،إنه إيجاز قصر ، الشيء نفسه في البيت الثاني :

في قوله :"الجزائر واعية" دلت على مدى إدراك الشعب الجزائري لحقيقة المسـتعمر ، لأن المحنة التي مر بها الشعب الجزائري أكبر من أن تجعلـه شـعبا مغفـلا لا يعـي نوايـا المستعمر، إن الشعب الجزائري أخذ الدروس الطويلة و استخلص منها العبر و التجربة و الثمن مقابل ذلك كان باهضا جدا.

---

[1] إيجاز القصر (كل كلام تضمن معنى كثير بألفاظ يسيرة دون حذف و لا يعتبر الإيجاز القائم على الحذف منه و يبحثوه مستقلا عنه.)
ينظر كتاب الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ص126

قال الشاعر في قصيدته حب الزهرة

ماشي أنزور الوالي سيدي مروان[1] * أنخبركم أبطالي أنا بيا ما صار

إنه إيجاز بالحذف ، لأن الشاعر قد أعرض عن ذكر الكثير من العبارات من خلال قوله "أنزور" إذ هو إنسان مريض نفسيا بسبب الحب الخالص للزهرة فما وجد لنفسه عزاء و لا سلوى سوى أن يتوجه إلى أضرحة أحد الأولياء الصالحين الموجودين بقرب(ضاحية مسار)، و كل ذلك طلبا للشفاء و راحة البال أو على الأقل التخفيف من شدة اللوعة حينما يبث شكواه إلى هذا الولي الصالح (سيدي مروان).

و قال أيضا في قصيدته الشباب و العمل :

الدار الديمة ألهيه فيها تتمتع * أخدم بالنية كالشمس مين تطلع.

الشاعر ذكر الآخرة و ما يناله الانسان المخلص في عمله الدنياوي و الديني، فالجزاء عظيم ، و الأجر أعظم ، و رضا الله أكبر، لأن تمتع الانسان دلالة على ما أعده الله له من جزاء مقابل ما قدمه في دنياه من خالص الأعمال و أهم هذه الأعمال بالنسبة للشاعر حب الوطن و الجهاد و القناعة و إخلاص النية ، فكلمة "فيها تتمتع" دلالة على المحذوف من الكلام الذي سبق شرحه إذا في البيت إيجاز بالحذف.

و أما قوله في قصيدته البخل :

سولوا عليه في بن ديدة * الوهابية و أصحاب العشرة

فقد دلت كلمة "سلوا" التي تعني اسألوا عنه ، على كلام محذوف بعدها إذ حذف الجواب عن هذا السؤال ، فهو الشاعر ذو المكانة المرموقة في منطقة بن ديدة (مسقط رأسه) فهو كالعالم يرمقه كل من يرسل البصر ، و إن أهل المنطقة يعرفون جيدا من يكون الشاعر ، فهو غني عن كل تعريف ، و هل يخفى ؟ . و إن خفي فاسألوا أهل المعاشرة و معارفي و أترابي.، إنه إيجاز بالحذف ،حذف الجواب الدال عليه السؤال الذي به افتخر الشاعر.

و في قصيدته "السجن" يقول:

كثرت لمحان شعلت النيران راهي لخوان تخلف فالدنيا

جدك كبير ما يعرف تدبير و انت بز اصغير يا ولدي خويا

إنه إيجاز قصر لما تضمنته كلمات البيتين من معاني قصيرة دل عليها السياق الذي وردت فيه ، ففي قوله "كثرت لمحان ،شعلت النيران" ، إن الشاعر كلكال يعاني المرارة

[1] -أحد الأولياء الصالحين و هو مدفون بضواحي مسار (بوحنيفيس اليوم) و لا يجهل تاريخ ميلاده و وفاته.

و الآلام حينما سجنه المستعمر بإحدى سجونه فذاق فيها ما ذاق من التعذيب (جانب مـادي) ، و من فراق الأهل و الأحباب (جانب معنوي) ، بالاضافة إلى الاغتراب وسط زنزنة من الزنزانات المظلمة.

أما في قوله "جدك كبير" دلالة على العجز و العدم و أن الشاعر كان هو الكافل العائل الوحيد لهذه العائلة ، و ما يدل على ذلك أيضا قوله"أنت بز اصغير" فحتى ابنه فهو صغير دلالة على الضعف و عدم القدرة لكلاهما (أبوه–ابنه) فحالتهما تستدعي الشفقة و العطف و الرعاية الكاملة ، و أنى يكون ذلك و الشاعر في زنزانته يعاني الأمرين؟ ففي الكلمتين إيجاز بالقصر ، لأن الكلمتين تضمنتا معان قصيرة بدون حذف.

• **الاطناب :**

قال الشاعر في قصيدته يا شباب

بسم الله و الشاعر ويكتب   و الصلاة على أشرف المرسلين

استعمل الشاعر لفظة (يكتب) و هي زائدة ، لأن معناها داخل في العموم للفظ المذكور قبلها و هو بصم الله الدالة حتما على البداية و الشروع في العمل ، و عليه فإن استعمال للفظة (يكتب) دال على الاطناب[2] و الاسترسال لا سيما و أن الشاعر كان يلقي الشعر مشافهة و لا يكتبه.

و مثل هذا متكرر في قصائده المختلفة الأغراض ، ففي قصيدته:

الشباب و العمل ، يقول :

بسم الله و الشاعر يبدع   مازاله أيقول ومازاله يصنع.

فالألفاظ (يبدع ،ايقول،يضع) ألفاظ زائدة،لأن معناها داخل في عموم اللفظ المذكور قبلها (بسم الله) الدالة على الشروع في الشيء ، و هذا يدل على ميل الشاعر إلى الاطناب.

و في قصيدته (يا شباب) قوله :

مرحبا بكم يا شباب و يا ذا الشعب   و يا خاوتي المناضلين

---

[1] الإطناب بمنزلة سلوك طريق بعيد و لكنه نزه يحتوي على زيادة فائدة "براجع الصناعتين ص 197 ،

[2] الإطناب زيادة اللفظ على المعنى لفائدة يقدرها المتكلم.، و يكون بعدة أمور : منها ذكر الخاص بعد العام أو العكس و الإيضاح بعد الإبهام و التكرار و التذييل و الاحتراس.

(ينظر كتاب المدخل إلى دراسة البلاغة العربية ص217)

لقد ذكر الشاعر هنا العام بعد الخاص لإفادة العموم ، مع العناية بشأن الخاص[1] ، فالمقصود هو الشباب المخصوص بالخطاب، أمّا الشعب ، و الاخوة المناضلين فهم يدخلون في العام و ذلك من أجل إفادة العام، و مثل هذا السياق الكلامي يسمى الإطناب.

و في القصيدة نفسها:

الفلاح أصبح ملاك في أرضو بقلب   قاس المحراث راه دارجرار امتين

الشاعر في هذا البيت يلجأ إلى التذليل و هو نوع من الاطناب ، و هو أن يعقب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها توكيدا لها ، و هو جار مجرى المثل ، إذ أن الفلاح حينما يصبح مالكا لأرضه بطبيعة الحال سيخدمها بكل عناية و إخلاص و قد تفانى في عمله لها ، و هذا يعود عليه بالفائدة فيطور الوسائل المستخدمة في مجال فلاحته من جرار و محلات و آلات حديثة ، إلا أن شاعرنا لجأ إلى التذييل للتوضيح فكان الاطناب.

يقول الشاعر في قصيدته فارحة اميمته:

ألي يقول الباطل أيدوره راجل   أيقولوا راجل افحل و ايعود ينشكر.

يبدو في هذا البيت التذليل ، و ذلك لما ورد من تعقيب الجملة بجملة أخرى تشمل على معناها ، و ذلك للتوكيد لها ، فالرجل الذبي يقول باطلا(الكذب) فهو رجل فحل و رجل مشكور و له مرتبة بين أقرانه و أترابه ، فكلّها هذه دلت على الاسترسال في الكلام فالكلمة الاولى كانت دالة على ذلك (أيقول الباطل) غير أن التأكيد على رأي الناس المجتمع) فيه جعله يذلل لذلك ما رآه مناسبا للسياق الكلامي.

أما في قصيدته الصحبة قوله :

أنسيت العشرة و الملح ألي أكلينا   أنسيت من كنا اصغار لعبنا

أنسيت ليام ألي فيها دابزنا   و انسيت على الخدمة شا جرينا

فإننا نلاحظ تكرار ما حدث في الماضي بين الشاعر و صاحبه باستعمال لفظة (نسيت)، و هذا التكرار لم يكن اعتباطا بل استعمله الشاعر لداع، و هو لتمكين المعنى من النفس و كذلك لطول الفصل بين الجمل.

و التكرار الناتج عن داع يدخل في الإطناب [2]، و هي لطيفة بلاغية لا تعاب على الشاعر حينما يراد بها تمكين المعنى أو لطول الفاصلة.

---

[2] أمر محمود في الظروف المادية للتعبير الشفهي أمام جمهور كبير ، حيث يبرز الإطناب في الحقيقة أكثر ما يبرز في معظم المحادثات وجها لوجه. يراجع الشفهية و الكتابية . ولتر ج أونج . ص 202

و في القصيدة نفسها نجد قوله :

واش هو الشي الي نساك علينا راك قلعت على روحك ضيقة الغبينة

و ليت مول مال انسيت صحبتنا المال ايبدل أو ما يديـــــش للجنة

يذكر الشاعر في هذين البيتين الخاص بعد العام للتنبيه على فضل الخـــاص ، فالسـبب المباشر الذي جعل صاحب الشاعر ينسى علاقته و يخسر صحبته بالشاعر هـو شـيء واحـد "المال" و هو إن كان في جانب آخر قد جعل صاحب الشاعر يعيش هنيئا بعد أن تغلـب علـى الهموم و الفقر ، إلا أنه في جانب آخر هوالسبب في فصم العـرى بيـن الطرفيـن (الشـاعر و صاحبه) ، فالمال هو سبب خاص في المشاكل التي ذكرت قلبه.

و هذا النوع من التعبير يدخل في الإطناب و التوكيد على سياق الكلام المقصود.

أما قوله في قصيدته ساعة الرحيل :

ذأهديت وطني وز اشيت ألهيه أهديت وطني و أوعدت النار

يلجأ الشاعر في هذا البيت إلى الايضاح بعد الابهام و ذلك لتقرير المعنـى فـي ذهـن السامع ، إذ السامع حيث يسمع لقول الشاعر و هو يقول تركت وطني و رحت هنـا ، فإنـه يروم معرفة المكان المغادر و المكان النازل إليه ، حتى الشاعر عمد إلى تقرير المعنى حينمـا يفرق بين المكانين (الوطن-الغربة) ، الاولى دالة على الارتياح و الاطمئنان أما الثانيـة دالـة على الشوق و اللهفة و الحرمة، و كل ما ورد في هذا السياق الكلامي ناتج عن الاطناب.

و في القصيدة نفسها نجد قوله :

من كل بلاد جايب غاشيه فيه الشبان و فيه لكبار

يعمد الشاعر إلى ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على الخاص ، فهـو ذكـر المسـافرين (غاشيه) الموجودين في السفينة (المنصور) لكن سلط الضوء في كلامه على شريحة معينة دون سواها و هم الشباب ، و الكبار ، و كلاهما يدخلان في عموم ما قبلهما (غاشيه) .

و هذا ضرب من ضروب الاطناب و هي ايضا لطيفة بلاغية.

و كذلك ما ورد في قصيدته العاشق :

يعشق لي غير الي زينة سلباته واك يمينة

يذكر الشاعر الخاص (يمينة) بعد ما هو عام (غير اللي زيته) للتنبيـه علـى فضـل الخاص دون سواه.

و قوله في قصيدته القمري :

تمشي أنزور الوليه سيدي بلعباس بايع بيه

ذكر الشاعر الخاص (سيدي بلعباس الولي الصالح) بعد العام (الوليه) مجموعة الأولية الصالحين الذين يحيطون بمسقط رأس الشاعر ، و ذلك للتنبيه على فضل الخاص عن ما سواه.

و قال كلكال في قصيدته "ثمن الاستقلال" :

لجبال اتنادي و اتقول ارواحوا او طلعو لجبال في غاشيهم سمحوا

*نلمس في هذا البيت تذليل ، لأن الشاعر يعقب الجملة بجملة أخرى (الجبال تنادي طلعوا لجبال سمحوا في غاشيهم.) . و هي جملة تشتمل على معناها و ذلك توكيدا لها ، و هي جملة لم تستغن عما قبلها في المعنى.

و مثل هذا الضرب من الكلام يدخل في الاطناب

و حتى قوله في

مليون أو نصف فالشهدا راحوا و على لاستقلال أشعال راهم ضحوا

فالشاعر يذكر العام (اشعال) كم الخبرية ، بعد الخاص ، بعد الخاص (مليون و النصف المليون شهيد) لإفادة العموم مع العناية بشأن الخاص ، يعني كل جزائري مهما كان فقد ضحى بالنفس و النفيس من أجل الاستقلال ، بالأخص الشهداء الذين استشهدوا في المعارك المختلفة) ، و هذا أيضا ضرب من ضروب الاطناب.

و في قوله من القصيدة نفسها يخاطب الشباب :

عيشوا يا شباب عيشوا و فرحوا لاستقلال ليكم اضحكوا و امرحوا

فالكلام يدل على الايضاح بعد الابهام بغرض التوكيد[1] ، فالسامع للقول يحتاج إلى ما يوضح له المعنى من قوله "عيشو يا شباب " إلا أن الابهام يزول حينما يذكر "الاستقلال" الدال على الحرية و الطلاقة و العنان ، فالعيش يعني الفرحة و الضحك و المرح بما يحقق من نصر في الاستقلال و الحرية . فالشاعر يقرر من كلامه المعنى و يؤكده في ذهن السامع ، و هذا كذلك ضرب من ضروب الاطناب و هو لطيفة من اللطائف البلاغية التي تضفي على الكلام جمالا و روعة و حسن الديباجة.

[1] ذلك أن الاطناب ، أي تكرار ما قد قيل توا ، يجعل كلا من المتكلم و السامع على الخط نفسه بشكل مؤكد. يراجع الشفهية و الكتابية والتر ج أونج ص101

أما في قصيدة "القمري"

سلم على احبابي مع الاهلية   بويه فم تسأل أعليه

عمد الشاعر الى الاحتراس في قوله : حينما ذكر الأحباب و الأهل و هو المعنى الظاهر، فخاف أن يدخل عليه لوم متفطن لذلك و جاء بما يخلصه منه و هو ذكر الأب و خصه بالسلام أكثر.

الخبر و الانشاء[1] :

يدخل كل من الخبر و الانشاء و أغراضهما الادبية المختلفة في علم المعاني و هو الذي يتناول الجملة من حيث تعبيرها عن المعنى المقصود.

الخبر :

عمدنا إلى اختيار نماذج مختلفة حتى نقف على أهم الأغراض الأدبية المستفادة من كل واحدة منها:

قال كلكال من قصيدته السجن :

كثرت لمحان شعلت النيران   راهي لخوان تخلف فالدنيا
هذا الهم أيفوت لا بد ما لموت   أمر الله أصعيب يرجع أوليا.

ما يفهم من سياق الكلام الخبري و موضوعه و حالة قائله النفسية ، أن الشاعر غرضه الأدبي من البيتين السابقين "الوصف" للحالة الخارجية (المحيط) و الحالة النفسية (الداخلية).

أما في قوله (القصيدة نفسها) :

أتفكرتك و ابكيت أو مالقلب   أقدان نيران قوية

سياق الخبر في هذا البيت يوضح لنا بأن غرضه الأدبي ، هو التعبير عن حالة نفسية توحي بالضيق و الألم ، من سبب الفراق و ما تولد عن تلك الذكريات الحميمة بين الشاعر و أهله(ابنه الأصغر).

و في قوله :

قصة أصرات بالشاعر كلكال   ثلاثين يوم ماريت ابريه.

---

[1] الخبر ما يمكن أن يقال لصاحبه أنك صادق أو كاذب إذا كان يتفق و الواقع

(ينظر كتاب المدخل إلى دراسة البلاغة العربية ، ص202)

في الشطر الأول يقرر الشاعر حقيقة موجودة من خلال كلامه الاخباري و في الشطر الثاني ، يستعمل الشاعر النفي (ما) بغرض الانكار.

أما في قصيدته (يا سايلني)

ليلة بأنوارها و ليلة مدموسة ليلة بغيامها غير إلى الصيف أصحات

نوبه صيف للطعام نوبه للهرسة واك الضيفة أخيام يعرف لنعات

نوبه تروزي أحليب نوبه تتحسى نوبه أتكونها خشي ، نوبه رفسات

الشاعر في هذه الابيات و غيرها من القصيدة ، يقرر حقيقة موجودة ، و يسدل عليها حكمه التي اكتسبها من الممارسة اليومية لشؤونها ، لذلك فالغرض الأدبي المفهوم من سياق الخبر و موضوعه هو الحكمة

و في قصيدته (انتساب و العمل)

بسم الله و الشاعر يبدع ما زاله ايقول أو ما زاله يصنع

فمن سياق الخبر و موضوعه نلمس حالة نفسية دلت على الافتخار ، بقدرته على الإبداع و حسن الديباجة و الصناعة الشعرية ، و كل ذلك مفهوم من سياق من الكلام ، و هو متكرر بكثرة في نماذجه الشعرية منها قوله في قصيدته "الدنيا انقلبت"

* مول هذه القصيدة ما هوش من بلاد بعيدة ∴ كان عاشر في بن ديدة الشاعر كلكال.

فالغرض الأدبي المفهوم من السياق الخبر و موضوعه ، هو الافتخار و دلت عليه الحالة النفسية التي يتمتع بها شاعرنا ، بأنه معروف في بلدة بن ديدة و عند اصحابها و ليس بغريب عنهم ، و الدليل على ذلك ما يقوله من شعر و كلام معبر .

و من الأغراض الأدبية الأخرى التعبير عن الضيق و الألم قوله في قصيدته الدنيا انقلبت

ألي ما عندو أهلية داخله في المسؤولية راه ما يسواش أوقية ما لخدمة بطال.

فالشاعر يبدو من خلال سياق الخبر متبرماً من حالة المجتمع و ناقماً عليه، فهو تعبير عن حالة نفسية (الضيق و الألم و اليأس).

أما في قوله "واش صرابيا"

ما بقي لينا ما نديرو النية النية راحت مع الناس البكريه.

استعمل الشاعر النفي (ما) و ذلك بغض التحذير من الوقوع في مغبة الحيلة و مكر الخادعين ، بحجة النية ، و ذلك واضح من سياق الكلام ، و لعله يفيد ايضا التوبيخ

إلا أننا في قصيدته " الدنيا انقلبت " نجد قوله :

راني باقي متعجب ولد النظام باقي يكرب البياع ادخل للمكتب دخل روحه مال

سياق الكلام يدل على الهجاء ، الذي أفاد به الاحتقار للفئة التي تولت المسؤولية بغرض الغش و المكر ، فهو ناقم على هؤلاء و أمثال هؤلاء و ليس راض على ذلك إطلاقا ، و هذا واضح من خلاله حالته النفسية.

و في قصيدته"حب الزهرة" :

ما شي نزور سيدي مروان انخبركم ابطالي بيا ما صار.

البيت من شعر التشبيب ، و هو تعبير عن حالة نفسية قلقة مضطربة بسبب ما اصابها من لوعة الحب و الفراق و البعد عن الحبيبة ، لذلك فهو يعرض شكواه على الناس ، و بالأخص للولي الصالح "سيدي مروان" ، فالغرض المستفاد من الحالة النفسية هنا "الشكوى".

و من قصيدته "أصحاب بوحيرز" قوله :

العباية أمشركة حتى للكرعين أتحسوا على الكف بالفين

نفهم من سياق الكلام الخبري ، تقريعا و تهديدا بأسلوب التهكم و السخرية لسكان دوار بوحيرز الذين احتقرهم كثيرا لما أتوه من سوء عمل و صنع.

و من قصيدته الشباب قوله :

الفلاح اصبح ملاك في ارضو يقلب قاس المحراث راه دار جرار امتين

من سياق الكلام الخبري و موضوعه ، يتبين لنا أن الشاعر يمدح ، فالغرض الأدبي المستفاد من الكلام هو المدح للفلاح و ما حققه من إنجازات في ميدانه.

الانشاء[1]:

الأمر : هو أحد الأساليب الانشائية التي كثرت استعمالا في نماذج الشعر عند كلكال ، لذلك أثرنا ان نشرع بها و نتبين منها نختلف أغراضها ثم نعرض لباقي الاساليب الانشائية.

قصيدته السجن ، يقول :

سلم على بوية فالفم قولة أفلاراق الوطن اصعيب أعلي

ورد فعل (سلم) في صيغة الأمر الذي عبر عن غرض أدبي و هو الشوق و الحنين الذي أثر في الشاعر و هو بعيد عن أهله في سجن العدو

اتهلى في خوك يحظوا يشمتوك و اخلف في بوك الي عمره حيه

---

[1] الإنشاء : لا يمكن أن يقال لقائله إنك صادق أو ليس له واقع يمكن أن يقارن به فيحكم بصدق قائله أو كذبه.
(ينظر كتاب المدخل إلى دراسة البلاغة العربية ، ص202)

الفعل أتهلى ورد في صيغة المر ، يريد الشاعر أن يعبر به عن غرض أدبي و هو الشوق و الحنين الذي أثر في الشاعر و هو بعيد عن أهله في سجن العدو .

عالم الدرجات نطلب فالممات خير   ما لحياة و لا زعاف الخلية

استعمل الشاعر الفعل (نطلب) في صيغة الأمر ، و ذلك بغرض أدبي هو الدعاء و الابتهال للخالق ، طالبا منه أن يريحه من عذاب السجن و المجرمين.

اما من قصيدته (قمري) يقول :

ها الطير دير مزيه   عنواني لا تبطي بيه

نلاحظ ان الفعل "دير" ورد في صيغة الأمر ، و جاء هنا بغرض أدبي هو التوسل و الاستعطاف للطير بأن يقوم بواسطته بين الشاعر و أهله ، و يبلغهم السلام و التحية من مكان بعيد.

و أيضا قوله:

يا القمري كونك خويه   احديثي انت ترميه

استعمل الشاعر الفعل "كونك" في صيغة الأمر ، و هنا بغرض ادبي هو الاستعطاف.

و من قصيدته " حب الزهرة" قوله :

لكلموها لي أنا بغيت فيها لنظار   الزين الخالي أو منها طبت بلا نار.

لقد ورد الفعل " كلموها" المسبوق بلام التأكيد ، في صيغة المر ، و هنا بغرض أدبي التمني ، فالشاعر اشتاق للمحبوبة و هي بعيدة عنه ، فتتمنى رؤيتها باستعمال الأمر .

و أيضا قوله :

زوروا المقبرة راها امقابلة السدرة   يبرى ذاك احبيب الفتنة

فعل الأمر (زوروا) ، استعمله الشاعر للغرض الأدبي الحث ، لأن الشاعر يلتمس من كل مريض الهوى أن يزور المقبرة لطلب الشفاء من دائه.

و من قصيدته (مكر النسا) قوله :

في كل صوب أصحيح ما نيش كاذب   أكلامي امجرب سقسوا علي البدلات.

لقد ورد الفعل (سقسوا) في صيغة الأمر ، و الغرض الأدبي هو الافتخار بالنفس ، و الاعتزاز في مجلس النساء ، بأنه أعلم بشؤونهن و رغباتهن ، و من قصيدته °واش صرا بيا)

شوف بالعين و انظر صحح فالدنيا   أو قول فيها اهموم قوية

لقد وردت الأفعال (شوف، انظر، صحح) في صيغة المر ، و الغرض الأدبي منها النصح و الارشاد ، فالشاعر حريص على أبناء وطنه ، و قد اكتسب خبرة من الحياة مكنته من معرفة محاسنها و مساوئها ، فيحاول أن يكسبها لبني أمته.

النهي : هو أيضا واحد من الأساليب الانشائية ، التي وجدت في مختلف اغراض الشعر عند كلكال، و هي مختلفة الأغراض.

و من قصيدته يا سايلني قوله :

لا تامنشي فالزمان فضة و انحاسه   شوك الضربان هاكذا ليامات.

ورد النهي في قوله (لا تامنشي) بصيغة الفعل المضارع المسبوق بلا الناهية ، و ليس هنا نهيا حقيقيا ، بل خرج عن معناه الحقيقي إلى غرض أدبي يفهم من سياق الكلام " النصح و التوجيه"

و من قصيدته (قمري)، قوله

ها الطير دير امزيه   عنواني لا تبطي بيه

الفعل تبطي ، جاء في صيغة المضارع المسبوق بلا الناهية ، و ليس بغرض النهي الحقيقي ، بل لغرض أدبي يفهم من سياق الكلام النصح و الاستعطاف.

و من قصيدته (السجن) ، قوله :

قوله يا خويه لا تستهداش   رحمة ربي واسعة عليكم.

الفعل المضارع (تستهداش) ورد مسبوق بلا الناهية لغرض أدبي هو النصح وأيضا.

الاستفهام : هو أيضا من الأساليب الانشائية ، و هو متداول بين مختلف الأغراض الشعرية عند كلكال، و له أغراض مختلفة نفهمها من سياق الكلام.

فمن قصيدته (سجن) قوله :

نهدر يا ناس و نزيد اناكد   سبعة و الخمسين واش صرا بيا؟

فكلمة (واش) تعني (ماذا) أراد الشاعر بها الاستفهام لكن ليس استفهاما حقيقيا ، طالما لم يطلب به معرفة شيء كان مجهولا من قبل ، بل إن غرضه الأدبي المفهوم من سياق الكلام هوالتعجب لما حدث له في السجن أيام الاستعمار، و مثل هذا أيضا قوله من قصيدته :"هذا الجيل" :

ما نيش واهم شوف يا بو نادم   الرومي ما لمسلم واش اتفرز فيه؟

استعملها الشاعر هنا بغرض التعجب لما آل إليه حال المسلم و التغير الذي أصاب الحياة حتى إن الأمور اختلطت و ما عدنا نفرق بين المسلم و الأجنبي ، و هذا ما دل عليه اسم الاستفهام (واش).

و من قصيدته (قمري) ، قوله:

قوله أبريتك ابطات علي وجشتك واش أينسيه؟

واش أينسيه : ماذا ينسيه؟، استعمل الشاعر الاستفهام هنا لغرض أدبي يفهم من سياق الكلام و هو التحسر من شدة الشوق و اللهفة على اهله، طالما هو بعيد عليهم في سجنه و غربته.

و من قصيددته (حب الزهرة):

الناس قاع عدياني مع من نرسل لخبار؟

اسم الاستفهام (من) ، استعمله الشاعر لغرض أدبي آخر نفهمه من سياق الكلام ،إنه الشكوى و الاعتذار ، لأن الحبيبة (الزهرة) في موقف صعب و حرج محاطة بالعيون المراقبة لها ، فكيف الاتصال و الوصال ، و هي على هذا الحال ، إنها تشتكي حالها لحبيبها الشاعر.

و مثل هذا ما ورد في قصيدته (الدنيا انقلبت) ، يقول:

احبيبي آش أنواسي أبغيت زعم لك نقاصي

راني شايب من راسي شوفوا للمحال.

آش مثل واش تعني ماذا؟ و هي للاستفهام ، فالشاعر يعرض شكواه على السامع باستعماله اسم الاستفهام (آش) و ذلك لغرض أدبي يفهم من سياق الكلام و هو "الشكوى".

و من قصيدته (أصحاب بوحيرز) قوله:

رمضان وين؟ انتما مومنين أو خارجين من الدين.

استعمل الشاعر اسم الاستفهام (وين) تعني (أين) ، و ذلك بغرض أدبي نفهمه من سياق الكلام إنه (التوبيخ و الانكار) ، لأن القوم الذين عاشرهم الشاعر هم ينتمون إلى المؤمنين لكنهم لم يطبقوا قواعد الاسلام (الصيام) مثلا.

و من قصيدته (البخل)، قوله:

أ خاوتي ما احتاها قصة واش أداني لدويعيسى

و قوله:

هذا الشيء ليكم احشومه ما أتخافوش ما اللوحه؟

في البيت الأول استعمل الشاعر اسم الاستفهام (واش) ، لغرض أدبي نفهمه من سياق الكلام و هو الشكوى، إذ إنّه يلوم القدر الذي رمى به عند هؤلاء البخلاء حتى كان له ما كان

من سوء الضيافة و غيرها ، و في البيت الثاني نجد اسم الاستفهام (ما) استعمله الشاعر لغرض أدبي، التحقير و ذلك مفهوم من سياق الكلام.

و من قصيدته (الشباب و العمل) ، قوله:

هذا الوقت اليوم راه غ يسرع وين راه الي ايدوم وين راه اللي يخلع؟

نلاحظ أن الشاعر استعمل اسم الاستفهام هنا (وين) بغرض أدبي نفهمه من مضمون الكلام و هو النفي ، إذ أن الشاعر ينفي بان نجد انسان أزلي ، و انسان كامل في هذا الوجود ، و لا أزلي إلا الله، و لا كمال إلا لله.

و أيضا قوله من القصيدة نفسها:

شا بقى ما تقول شاقدك تسمع مكتوب ربي هاكاك ملي بديت ترضع .

اسم الاستفهام (شا) تعني (ما) الاستفهامية ، وقد استعملها الشاعر هنا بغرض ادبي نفهمه من سياق الكلامن هو التعجب.

و من قصيدته (الصحبة) ، يقول:

يا راجل مسكين ميمتى تتهنى ياك رانا خوت و اليوم اتوالفنا.

استعمل الشاعر اسم الاستفهام (ميمتى) بمعنى (متى)التي تفيد الزمان ، إلا أن الغرض الأدبي المفهوم من سياق الكلام هو التمني ، فالشاعر يتحدث على لسان صاحبه ، الذي كان يتمنى الهناء و العيشة الرغدة.

و قوله من القصيدة نفسها:

أنفكرك بلاك تتفكر و تتفكرنا يا صاحبي المبروك كي وليت لنا؟

استمل (كي) التي تعني كيف الدالة على الحال ، غير أن الغرض الأدبي منها التعجب و هو مفهوم من سياق الكلام.

المستوى الدلالي

في هذا الجانب سنبحث في الأساليب المختلفة التي تعبر عن المعنى الواحد بطرائق متعددة ، من تشبيه أو استعارة أو كناية.

إن هذا الجانب أيضا يوضح الفروق بين الأساليب ، و هو ميزان صحيح لنعرف نوعها، و دراسة أدبية للفحص عن كل أسلوب ، و نتبين من خلالها سر البلاغة، و الجمال فيه.

و الملفت للانتباه هنا حقا هو كثرة التشابيه عندهم (الشعراء الشعبيون) حيث نجدهم في بعض الحيان ينطلقون منها للتعبير عن موقف من المواقف ، و إبرازه في صورة واضحة و يحققونه في الغالب بأداتين : "مثل" و "الكاف" أو بتحقيق التشبيه المعروف ب "البليغ" .[1]

التشبيه [2]:

يقول كلكال في قصيدته "حب الزهرة"

كلامها بكاني أو من عيني دمعوا لمطار

نلاحظ في الشطر الثاني من البيت تشبيها بليغا ، إذ إنّ الشاعر يشبه الدموع المنهمرة من عينيه شفقة و رحمة بحبيبته (الزهلرة) بغزارة الأمطار التي تسقط على شكل وابل ، و قد حذف أداة التشبيه ، بين المشبه (الدموع) و المشبه به (لمطار) وحذف وجه الشبه (كثرة التدفق و الانهمار) دون أن يؤثر ذلك على التشبيه ، بل على العكس فإن حذفها يعطي التشبيه قوة و يزيد التعبير بلاغة ، لكون الشاعر يعمد إلى المبالغة ، و ادعاء أنّ المشبه هو المشبه به نفسه، و هذا ما يسمى في البيان بالتشبيه البليغ.

و من قصيدته (يا سايلني) ، قوله:

نوبه خافي الاحجوز شينة مدحوسة دايرة كالقوس ما فيها خصلات

---

[1] العربي دحو الشعر الشعبي و دوره في منطقة الأوراس .ج1 ص221

[2] عملية مقارنة بين طرفين – مشبه و مشبه به لعلاقة تجمع بينهما .(الحيوان 4/ص373) الجاحظ (عمرو بن بحر)

الشاعر يشبه المرأة العجوز الدميمة الخلقة ، (المشبه) ، بالقوس (المشبه به) ، الأداة (الكاف) ، وجه الشبه (خصلات).

شبه الشاعر المرأة العجوز المنحنية الظهر التي خلت من كل خصلة من خصال الجمال و الحسن ، بالقوس المنحني الذي لا يستفاد منه ، فالعود المعوج لا يصلح لشيء و لا يجلب إليه نظر النظرين بعكس العود المستقيم النضر و اليانع الذي تتعلق به الأنظار.

لقد ذكرت أركان التشبيه ، فهذا النوع من التشبيه يسمى التشبيه العادي ، و هو لون من التصوير الأدبي ، يبين أن شيئا شارك غيره في صفة أو أكثر ، و تعقد هذه المشاركة بينهما بالداة "الكاف".

و من قصيدته لاشباب و العمل ، قوله :

**الدار الدايمة الهيه فيها تتمتع		أخدم بالنية كالشمس مين تطلع.**

المشبه :عمل الانسان الخالص.

المشبه به :الشمس و هي طالعة

الأداة : الكاف

وجه الشبه : محذوف يفهم من سياق الكلام (الصفاء و العظمة)

فالشاعر يشبه عمل الانسان الخالص ، و النية الصافية الحسنة ، بالشمس اثناء طلوعها مع الفجر ، فإنها تغطي بضيائها و جلالها و عظمتها كل الكون ، و تذهب رهبة الظلام الدامس ، هكذا يجب أن يكون عمل الانسان الدؤوب المتواصل النابع من ضمير يقظ و شعور كبير بالمسؤولية ، و هذا اللون من التصوير الأدبي هو تشبيه عادي ذكرت فيه كامل أركانه، ما عدا وجه الشبه حذف ليعطي للصورة التشبيهية قوة أكثر من وجوده.

و مثل هذا قوله من قصيدته (ساعة الرحيل):

**و حتى حاجة ما ترصيه		اسكن الما مثل العقار**

-المشبه : السفينه (بابور المنصور)

-المشبه به : العقار(نوع من الجن)

-الأداة : الاسم (مثل)

-وجه الشبه : بقاءه في الماء و إقامته فيه.

يشبه الشاعر الموصوف (السفينة) و هي ترسو في الماء حينا ثم تمخر عباب البحر حينا آخر دون أن تبرح البحر ، بذلك الجن الذي نشر طيفه على صفائح الماء دون أن يغرق أو

تحركه أمواج البحر فتلقي به خارج البحلر ، و استعمل الشاعر في هذا الأسلوب لإجراء و عقد المشاركة بين المشبه و المشبه به(الاسم :مثل) و هذا كثير الاستعمال في الأدب الفصيح أيضا.

و يلاحظ ان كل أركان التشبيه مذكورة، لذلك فهذا التشبيه هو تشبيه عادي إلا أنه لا يخلو من التصوير الأدبي.

و من قصيدته "الدنيا انقلبت"قوله :

راها انقلبت لا مودة ،لبنات ولاو قرودة عبايتها بشبر مرفودة ،شادي في الجبال.

في البيت أسلوبان من التشبيه ، الأول:

- المشبه :البنات
- المشبه به :قردة
- الأداة : ولاو اصبحوا
- وجه الشبه : محذوف تقديره من الجملة (الهيئة العجيبة للبنت)

في هذا الأسلوب يشبه الشاعر البنات اللواتي غيرن من خلقتهن (هيئتهن) و خلقن(تصرفاتهن) ، في عصر الاستعمار حين كانت الأصالة تفرض نفسها على المجتمع الجزائري ، شبههن بالقردة الذين يظهرون بهيئات توحي بالعجب و تبعث على الضحك و السخرية ، فالبنت في نظر الشاعر قد وضعت نفسها موضع الهزل و الانحطاط ، بما صنعته بنفسها من تشبه بالمرأة الأجنبية (الفرنسية) في ذلك الوقت.

و هو تشبيه ذكرت فيه أركانه إلا وجه الشبه فهو محذوف لكن دل عليه سياق الكلام كما أشرنا لذلك آنفا ، فهو تشبيه عادي.

أما في الشطر الثاني من نفس البيت ، نجد أيضا تشبيها و أركانه كالتالي :

- المشبه : البنت بلباسها الأجنبي
- المشبه به :قرد في الجبال
- الأداة : محذوفة
- وجه الشبه : محذوف

في هذا الاسلوب يعمد الشاعر إلى تشبيه المراة المقلدة للمرأة الغربية في اللباس ، وهي غير متعودة على تلك الهيئة ، فظهرت في نظره كالقرد العاري من كل لباس في الأجيال والأحراش ، فمنظره يبعث على التعجب و الضحك ، شأن البنت الجزائرية و هي في تلك الهيئة

لا تختلف عن حالة ذاك القرد. فهي في نفس المرتبة ، أو نقول تشاركا أشـــياء كثـيرة وصفات عديدة ، دون أن يعقد الشاعر هذه المشاركة باستعمال أداة للتشبيه و لا ذكر وجه الشبه.

و هذا لون من التصوير الأدبي فيه بلاغة أقوى و أجمل ، إذ المشبه و المشـــبه بـــه يظهـــران كأنهما شيء واحد لاشيئان متماثلان[1] ، و ذلك غاية ما يقصد إليه التصوير البلاغي و الشاعر.

و من قصيدته "السجن" ، يقول كلكال :

اسمعنا في لولاد قطعة من لكباد   على الـــوطـــن و الحـــريـــة

- المشبه :الأولاد
- المشبه به : قطعة من الكبد
- الأداة ك محذوفة
- وجه الشبه : محذوف (الحب الشديد و المعزة)

في الأسلوب المذكور، يشبه الشاعر الأولاد لمكانتهم في النفوس ، و ما لهم مـــن حنـــان الأبوة، ، بقطعة من الأكباد ، و هي عضو هام في جسم الإنسان يرمز به إلى الشـــيء النفيـــس و الغالي و العزيز ، وهذا كثير الاستعمال في كلامنا اليومي ، فيطلقها المحب على من يحـــب فيقول الأب لابنه الكبدة و يقول نفس الشيء المحب لحبيبته ، دلالة على الشيء النفيس كما قلنا.

يلاحظ حذف الأداة ، و وجه الشبه المفهوم من سياق الكلام ، و هذا لون من التصويـــر الأدبي أيضا يدخل في التشبيه البليغ.

و من قصيدته ساعة الرحيل" :

أهديت وطني و امشيت الهيه   اهديت وطني و اوعدت النار

لو تأملنا هذا الأسلوب لوجدنا الشاعر كلكال، يصف حالته النفسية و ما بها من ضيـــق و ألم ، و بأنه ترك أعز ما يملك (وطنه) حينما اضطرته الضرورة لذلك ، و يذكـــر أن ذلـــك شيء عجيب و صعب ، لأنه وعد الغربة و أهوالها (النار و جهنم) فإننا نلمح هنا تشـــبيها لـــم يصرح به الشاعر في بيته، إنما هو مفهوم من مضمون الكلام ، ذلك ان الشاعر يشبه حاله حين ترك وطنه الذي يحب ، بحال الانسان الذي زج به في نار جهنم.

و من قصيدته "الدنيا انقلبت" :

[1] أما التشبيه البليغ : " من أن يكون المشبه به أعلى حالا من المشبه لتحصل المبالغة هناك" ، العمدة .1/ص 259) إبن رشيق القيرواني.

ألي ما عندو اهليه داخلة في المسؤولية راه ما يسواش اوقيه ما لخدمة بطال

و في هذا البيت أفاد الشاعر أن الانسان المحروم من المعرفة للناس أو ليس لـه من المسؤولين ما يمت بصلة قرابة أو صحبة ، فإن الأمر يكاد يكون على قيمته و مكانته التي هي أيضا منعدمة ، و بالتالي عدم الحصول على وظيفة ، فغننا نلمح هنا تشبيها لـم يصـرح بـه الشاعر في بيئته ، و إنما هو مفهوم من كلامه ، و هو أن الشاعر يشبه حال المسكين و قد فقد المحسوبية التي يعتمد عليها ، بحال الإنسان الذي لا يساوي شيئا بين أفراد مجتمعه.

و من قصيدته يا سايلني :

لا تامنشي فالزمان فضه و انحاسه شوك الضربان هكذاك ليامات.

في البيت نجد الشاعر كلكال يقول لسائله : إن الزمان كيفما كانت أحواله من أيام غـر و عز و هناء ، فغنها تتقلب إلى أيام حالكة صعبة العيش ، و ليس في ذلك شيء عجيب ، فإن شوك الضربان [1] يدل على مدى خطورته ، و تحوله من لين إلى خشونة بما يحملـه من شوك على جسده.

فإننا نلمح هنا تشبيها[2] لم يصرح به كلكال في البيت ، و لكنه يفهم من كلامه و هو تشبيه أحال الكلام في دلالته على تقلب الأيام و كيدها على الانسان بحال "الضربان" ذي الشوك النـاعم الخطير على من لمسه الذي يدل دلالة على تغير الحوال.

و من قصيدته " الدنيا انقلبت" :

مول هذه القصيدة ما هوش من بلاد بعيدة كان عاشره في بن ديدة الشاعر كلكال.

في البيت افاد الشاعر أن قصائده معروفة و هي كلام حاد و لسان صارم ، يعرفه كـل من اطلع على كلامه ، و أن الناس يعرفونها بمجرد سماعها ، و ذلك شيء غير عجيب اطلاقا، طالما هي صادرة من لسان الشاعر اسمه كلكال ، اقام في بلدة بن ديدة ، كان صوته فيها مدويا و لاذعا.

[1] -أحيانا لا تظهر صورة التشبيه كاملة بل يلمح المشبه و المشبه به لمحا في أثناء الكلام و يسمى التشبيه في هذه الحالة ضمنيا أي أمرا متضمنا يراجع المدخل إلى دراسة البلاغة العربية ص229 د.السيد أحمد خليل .

[2] حيوان مفترس يدخل في صنف الضباع مكسو بالشوك الحاد على جسده يستعملها كسلاح يدافع بها على نفسه.

فإننا نلمح هنا تشبيها لم يصرح به الشاعر مباشرة في البيت ، غير أننا نفهمه من سياق الكلام و هو أن الشاعر يشبه قصائده اللاذعة بين الناس ، و قد تساءل عنها الناس لمعرفة غرضها و صاحبها ، بحال الشاعر نفسه الذي غني عن كل تعريف و لكنه يجعل دوما الناس يسألون عنه.

مثل هذا اللون من التصوير الأدبي الذي تذكر فيه اركانه بصورة من صور التشبيه الضمني ، قد أتي به الشاعر كلكال ليفيد بالدليل أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن و ليزيد من قوة التعبير و بلاغته.

2الاستعارة [1]:

من قصيدته "حب الزهرة" ، قوله :

حب الزهرة اكواني كثرت علي لضرار ألي مالكها روحاني يالخاوة عقار.

المشبه : حب الزهرة

المشبه به : محذوف

الأداة : محذوفة

وجه الشبه :محذوف

نجد في هذا الأسلوب ، كلكال يشبه حب الزهرة الذي نال منه نيلا ، و أثر في نفسه ، بالنار أو الجمر الأحمر من شدة الحرارة ، لكن كلكال لم يذكر في كلامه المشبه و المشبه به في صورة تشبيه ، و إنما مبالغة منه في أن لا فرق بين المشبه به و المشبه استعار المشبه به للمشبه ، و في تعبيره حذف المشبه به (الجمر الأحمر) و دل عليه بشيء من خصائصه و هو أكواني التي ذكرت مع المشبه.

و في هذا التعبير تشخيصٌ للمغنى و رسمٌ للصورة المحسوسة.

و من قصيدته " الدنيا انقلبت ، قوله :

راه الدولة فاقت بيهم أذنوب الشعب يحكم فيه

و الشهيد ايحاسب فيهم على احساب لفعال

---

[1] ضرب من المجاز القائم على التشبيه ، أو هي كل صور تشبيهية لا يصلح دخول أداة التشبيه عليها بعد حذف أحد طرفيها ، و هي عند الجرجاني، على أنواع متعددة : منها صريحة و منها تخييلية مكنية و منها استعارة تمثيلية و هي التمثيل بالاستعارة.

(ينظر أسرار البلاغة ص 223-224-296-297-358)

المشبه : الدولة

المشبه به : محذوف

الأداة : محذوفة

وجه الشبه : محذوف.

إذا ما تأملنا أسلوب الشاعر نجد أنه شبه الدولة ، التي هي عبارة عن جهاز حكومي و شيء معنوي ، بالانسان الواعي المدرك و المتفطن للأمور ، غير أن كلكال لم يذكر في الكلام المشبه و المشبه به في صورة التشبيه ، بل حذف المسبه به و رمز بشيء من لوازمه (فاقت) التي ذكرت مع المشبه ، و في هذا أيضا تشخيص للمعنى و رسم صورة محسوسة.

و من قصيدته "سجن" قوله :

أتفكرتك و ابكيت أو مالقلب اقدات نيران اقوية

المشبه : القلب

المشبه به : محذوف .

الأداة و وجه الشبه : محذوفان.

في هذا الاسلوب يشبه الشاعر القلب بموقد نار اضطرمت فيه النيران بقوة عارمة و زاد لهيبها حرقة ، لكن الشاعر لم يذكر في كلامه التشبيه بصورته (المشبه و المشبه به) ، بل حذف المشبه به موقد النار المشتعلة ، و رمز إليه بشيء من لوازمه و هو« لأقْدَاتْ نيرانْ قوية » مع المشبه ، على سبيل الاستعارة ، و القرينة إثبات الاشتعال من القلب .

و في هذا التصوير الأدبي بلاغة و جمالا ، حينما نشخص المعنى و نرسمه في صورة محسوسة.

و قريب من هذا المثال الاستعارة قوله من قصيدته "القمري"

هذي نيران قوية في قلبي شعلت فيه

المشبه : القلب

المشبه به : محذوف

الأداة و وجه الشبه : محذوفان

شبه كلكال القلب بالخطب (أو شيء قابل للاشتعال) ، و حذفت المشبه به و رمز لـــه بشيء من لوازمه (شعلت) على سبيل الاستعارة و القرينة إثبات الاشتعال للقلب

و من قصيدته ثمن الاستقلال قوله :

الجبال تنادي و اتقول ارواحوا او طلعوا لجبال في عاشيهم سمحوا

المشبه : الجبال

المشبه به : محذوف

الأداة و وجه الشبه محذوفان

الشاعر يشبه الجبال ، بإنسان ينادي على المجاهدين و الثوار ، من أجل الالتحاق بـــه و الاحتماء بقوته و صموده و شموخه ، غير أننا لا نرى بأنه ذكر في كلامه المشبه و المشـــبه به في صورة تشبيه ، و إنما مبالغة منه في أنه لا فرق بين المشبه به و المشبه استعارة المشبه به للمشبه ، فحذف في تعبيره المشبه به (الإنسان) و رمز له بشيء من لوازمه (تنادي ، تقول)، و هي صفة من صفات الإنسان، و القرينة إثبات النداء و القول للجبال.

* لقد تبين في الأساليب السافة الذكر ، أن ثمة تشبيها حذف أحد طرفيه و المحذوف هنـــا المشبه به و يرمز إليه بشيء من لوازمه يذكر مع المشبه ، و هذا ما يسمى بالاستعارة المكنية، و لقد اكتفينا بذكر هذه النماذج على سبيل الذكر لا الحصر.

و من قصيدته " الدنيا انقلبت" قوله :

الراجل يحسن عونه ابن عمي لاه اتلوموه تتمشى و تتموج اقباله اللفعى القتال.

المشبه : محذوف

المشبه به : اللفعى القتال

الأداة و وجه الشبه : محذوفان.

في هذا الأسلوب وجدنا الشاعر يشبه الفتاة الفاتنة بالأفعى القاتلة بسمها ، فقد استعمل كلمة (الأفعى) في المعنى المجازي لغرض المشابهة ، فقد استعار كلكال كلمة (الأفعى) من دلالتها الحقيقية ليشبه بها الفتاة الفتانة بكيدها على الرجل ، و نسمي هذا النوع من التشبيه استعارة غير أن المحذوف هنا هو المشبه (الفتاة الفاتنة) و صرح بالمشبه به (الأفعى) ، فهي استعارة تصريحية .

و من قصيدته "حب الزهرة" قوله :

بيا اغزالي او بيا حمامة لوكار قولها ظنيت قلبك نصراني ولى ذا تكبار.

المشبه : الزهرة (محذوف)

المشبه به : الغزال ، الحمامة

الأداة و وجه الشبه : محذوفان.

حينما نتأمل الأسلوب السالف ، فإن كلكال يشبه (حبيبته الزهرة) ، بالغزالة تارة و تارة أخرى بحامة الأوكار ، لما في الأولى من جمال و أناقة الجسد ، و في الثانية من وداد و هدوء و إخلاص لمكانها ، فقد استعمل كلمة كلمة (الغزال و الحمامة) من دلالتهما الحقيقية ليشبه بهما الحبيبة الزهرة ، بجمالها الساحر و تصرفاتها المميزة عن غيرها من الفتيات ، و يسمى هذا النوع من التشبيه استعارة، إلا ان المحذوف هنا هو المشبه (الحبيبة الزهرة) و صرح بالمشبه به (الغزالة و الحمامة) ، فهي استعارة تصريحية.

إن ما أوردناه في الأساليب السابقة ، هي أيضا تشبيه حذف معها المشبه ، و ذكر المشبه به ، و صرح به ، و هذا ما يسمى بالاستعارة التصريحية.

و تأتي بلاغة الاستعارة بنوعيها و جمالها من أنها تتضمن احساسا و إثارة اقوى من التشبيه ، يقوم على ادعاء أن المشبه و المشبه به شيء واحد ، و لذا يصلح أن يعبر بالمشبه به فكان المشبه أو ان تذكر صفة من صفاته مع المشبه، كما أن في الاستعارة تشخيصا للمعنى

و رسم صورة محسوسة ، و لقد شاء القدر للأدب الشعبي و بخاصة الشعر الشعبي ، لا سيما عند كلكال ان يصبغ بصبغة البيان و حسن الديباجة و هي كلها تعابير مستعارة من الحياة اليومية و البيئة الشعبية المتصلة اتصالا وثيقا بحياة الشاعر و معيشته،هذه الحياة التي زادت من خيال الشاعر و معانيه قوة و تأثيرا كيف لا ؟ و هي معينه الوحيد الذي لم ينضب أبدا ما دام الحياة التي يعيشها أي شاعر هي التي تصقل موهبته الشعرية و توجه تصوراته و أفكاره وعواطفه.

3 -**الكناية**[1]:

من قصيدته يا شباب قوله :

شعب الجزائر كونوا في مضرب أبنوا ساسكم الأرض أمتين

إذا تأملنا قول الشاعر كلكال وجدناه يطلب من شعبه أن يخدم وطنه و يسعى فيه سعي العظام ، و يجتمع و يجمع رأيه و يحسن الاخلاص لأن الوطن فيه استقرار تام يبعث على الراحة و الاطمئنان، و بذل كل الجهود .

لكن كلكال لم يصرح بهذه الكلمات التي تريد معناها ، و إنما عدل عن ذكر هذه الصفة (الاستقرار التام) صراحة إلى ذكرها بتركيب آخر يدل عليه بطريق اللزوم (الأرض أمتين) ، فإن من كانت أرضه صلبة متينة الأساس يبني عليها و مجدا عظيمين و لا يخشى شيئا .

و من قصيدته (واش أصرا بيا) ، قوله:

ما عشت في بروج ولا قصور ذهبية ما تغطيت بالريش ما عندي حيه

في هذا الأسلوب أراد الشاعر أن يعبر عن تواضعه و حياته البسيطة، التي خلت من كل زخرف الدنيا و غناها ، و أنه راض بما هو عليه من عيشة التي تختلف تماما عن حياة الأغنياء و الأثرياء بالسرقة و الطمع ، و لكنه لم يصرح في الكلام بما يريد ، و إنما عدل عن ذكر هذه الصفة (التواضع و البساطة في العيش) صراحة إلى ذكرها بتركيب آخر يدل عليه بطريق

[1] أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، و لكن يجيء إلى معنى هو تاليه و ردف في الوجود فيومئ به إليه و يجعله دليلا عليه.

(أسرار البلاغة ص 52)

اللزوم (بروج،قصور ذهبية ، الريش ...الخ) ، فإن نفيه لهذه المعطيات و خلوه منها يدل على البساطة إن لم نقل الفقر.

من قصيدته " فارحة ميمته" قوله :

الصبي تارك البزولة و القرعة أتربيه عيشته السكر و وجهه اصفر.

أراد الشاعر أن يعبر في هذا الأسلوب عما آل إليه االإنسان ، و كيف أن المور تغيرت بسرعة عجيبة ، فالطفل الرضيع ما عاد يرتاح إلى حليب الأم ، و إنه يفضل الحليب الاصطناعي الذي لا فوائد فيه سوى مادة السكر و النتيجة ما هي؟ غابت النضارة من وجهه و صحته غير عادية .

و لكنه لم يصرح في الكلام بما يريد ، بل عذل عن ذكر هذه الصفة (تقلبت الأحوال ، و عيشة الإنسان) صراحة إلى ذكرها بصياغة أخرى دل عليها بطرق اللزوم (تارك البزولة ، وجه أصفر) فإن من غيَّر من الصبية طريقة عيشه و نمائه تكون حالته الصحية سيئة أو ناقصة، و العكس صحيح.

و من قصيدته "الصحبة" قوله :

نقدر أنقول موس واحد يذبحنا * بصح اليوم أنسيت واش فوتنا.

كذلك في هذا الأسلوب أراد أن يعبر عن مدى إخلاص كل واحد منهما لصاحبه ، و الحب و الود المتبادل بينهما ، حتى إن العشرة كانت واحدة و كلها تآلف و وداد بين الشاعر و صاحبه.

غير أن كلكال لم يعبر بصراحة في كلامه بما يريد ، و إنما عدل عن ذكر هذه الصفة (الاخلاص مع طول العشرة) صراحة إلى ذكرها بتركيب آخر يدل عليها بطريق اللزوم °موس واحد يذبحنا)، فغن ذبحهما بسكين واحد يعني تقاسمهما الضرر و الأحزان و المصائب، كل هذا يدل على الإخلاص .

و في نفس القصيدة قوله :

واش هو الشي ألي نساك اعلينا راك اقلعت على روحك ضيقة الغبينة

في هذا الأسلوب يريد الشاعر أن يعبر عن التحول الذي حدث لصاحبه ، و أنه بعد العسر جاءه اليسر و صار ميسور الحال غنيا بماله فتخلص من هموم الفقر و الحاجة و الفاقة.

غير أنه لم يعبر في كلامه بما يريد ، لكن عدل عن ذكر هذه الصفة "الغنى و يسر الحال" صراحة و راح يذكرها بصياغة أخرى يدل عليها بطريق اللزوم "اقلعت... ضيقة الغبينة " فإن نزع الهم و الكرب يدل على يسر الحال و الرفاهية.

من خلال الأساليب التي ذكرنا[1] نجد ان كل شيء قصد من تلك التراكيب في الأبيات السالفة الذكر هو صفة من الصفات ، و لذا يسمى هذا النوع من الكناية (كناية عن صفة) .
و من قصيدته "قمري" قوله :

بينم لحزان و قبر الدنيا   حكم الله راني نسرد فيه.

إذا تأملنا أسلوب كلكال في هذا البيت وجدناه يقول في وصفه لحالته المزرية :
إنني أتقلب بين عسر الحياة و مصائبها التي توالت و هو في زنزانة المستعمر فهو قضاء من الله يسرده علينا.

و لكن كلكال عندما أراد التعبير عن السجن أو زنزانة الأصنام ، لم يصرح في الكلام بما يريد ، بل عدل عن ذكر هذا الشيء (السجن) صراحة إلى ذكره بتركيب آخر يدل عليه بطريق اللزوم (بين لحزان، قبر الدنيا) .
و من قصيدته هجاء البخلاء قوله :

سولوا عليه في بن ديدة   الوهابية و صحاب العشرة

كذلك الشاعر في هذا الأسلوب يقول في افتخاره بنفسه و بشاعريته بين أترابه و سكان قريته و ما جاورها و من لا يعرفه ما عليه غلا أن يسأل عنه في بلدته ، فهو شاعر فحل لسانه صارم .

لكنه في تعبيره لم يصرح في الكلام بما يريد ، و إنما عدل عن ذكر هذا الشيء(شاعريته و تفوقه على غيره ، أو مكانته الرفيعة بين أترابه) صراحة إلى ذكره بتركيب آخر يدل عليه بطريق اللزوم "سولوا عليه"

---

[1] "أخشى أن نكون مبالغين ، أو مجانبين للحقيقة ، إذا قلنا أنهم أفلحوا كثيرا في هذا الضرب من التعابير لأنهم لم يعقدوا معانيها كثيرا من إبراز حالات شتى من صور إيحائية "
العربي دحو الشعر الشعبي و دوره في منطقة الأوراس .ج1 ص222

و من قصيدته "مول زوج نسا" قوله :

كل يوم قفة و ما اعطى واعفى هذاك حد الكشفة راني فالدمر.

في هذا الأسلوب , يقول الشاعر بأنه كثير الشراء للخضر و المواد الغذائية ، فهو في كل يوم حامل القفة و لا تفارقه دوما ما دام حاله يوحي بالبؤس و الشقاء ، لكنه بتعبيره لم يصرح في الكلام بما يريد و إنما عدل عن ذكر هذا الشيء (كثرة الشراء)صراحة إلى ذكره بتركيب آخر يدل عليه بطريق اللزوم (كل يوم قفة)

إن هذه الأساليب اشتملت على تركيب أوتي به ليدل على شيء لازم بمعناه ، هذا الشيء ليس صفة كما رأينا آنفا ، و إنما هو موصوف و نسمي هذا النوع من الكناية (كناية عن موصوف) التي استعملها شاعرنا كلكال لإدراج المعنى و توضيحه و للدلالة على سعة خياله رغم ان ما ورد من كنايات هي مستوحاة من البيئة و الحياة اليوميةالشاعر. .

و من قصيدته "واش صرا بيا" قوله :

و هذا الشاعر كل يوم يجيب قصية أو اقصيته اليوم في بلاده مرمية

إذا ما تأملنا أسلوب الشاعر كلكال في هذا البيت ، وجدناه يريد ان يثبت غربته و وحدته عن أهله و هو بينهم ، و حالته التي تبعث على الاهمال لمكانته و شاعريته ، و لكنه في التعبير عدل عن نسبتها إلى نفسه مباشرة ، و نسبها إلى شيء له اتصال به، و هي القصة (القصيدة) .

و ممن قصيدته "أصحاب بوحريز" قوله :

العباية أمشركة حتى للكرعين أتحوسوا على الكف بألفين

كذلك الشاعر في هذا البيت أراد أن يهجو أهل بوحريز فيثبت الحالة التي تبعث على الشقاء و البؤس من جهة ، و على الذل و الهوان من جهة اخرى ، و لكنه في تعبيره عدل عن نسبة الأشياء إليهم مباشرة و نسبها إلى ما اتصل بهم و هي العباءة الممزقة .

و من قصيدته "القمري" يقول :

ها الطير دير مزية عنواني لا تبطي بيه

في هذا البيت يريد كلكال أن يعبر عن كلامه فيثبت وصيته التي طلب الطائر من إبلاغها إلى أهله و هي مملوءة بالشوق و الحنين لهم و لكنه في التعبير عدل عن نسبتها ؟إلى أهله مباشرة ، و نسبها إلى شيء له اتصال بهم (العنوان) لأنه يدل على مكان إقامة أهل الشاعر و مكانه هو أيضا.

* من هذه الأساليب نجد أن الشاعر عدل فيه عن التعبير المباشر بنسبه الصفة المقصورة إلى صاحبها إلى تعبير يفيد نسبتها لشيء يتعلق به ، و هذا النوع من الكناية يسمى (كناية عن نسبة) و هي نوع استعمله كلكال بطريقة عفوية لأن ما ورد في النماذج هو كلام متداول على لسان العامة من الناس، لأنه ضارب بجذوره في البيئة و الحياة المعيشة.

المستوى الإيقاعي :

وهي ناحية أخرى من نواحي البلاغة ، لا تتناول مباحث علم البيان ، و لا تنظر في مسائل علم المعاني، و لكنها دراسة لا تتعدى تزيين الألفاظ أو المعاني بألوان بديعية من الجمال اللفظي أو المعنوي و ليس البديع وهو يشتمل كما ذكرنا على المحسنات اللفظية و المحسنات المعنوية التي تزينت بها الشاعر كلكال .

الموسيقى الداخلية :

أ- **المحسنات اللفظية :**

الجناس[1] :

من قصيدته (الشباب و العمل)، قوله :

الرجل مهموم أيحوس غ يشبع   ما لدمنيا مغموم راه غ أيقارع

نجد في البيت كلمتين المشار إليهما "مهموم -مغموم" متجانسين إلا أنهما اختلفتا في ركن من أركان الوفاق المعروفة في الجناس[2] و هونقص حرف واحد ، لذلك فهو جناس ناقص.

و قد استعمل في البيت لتقوية المعنى و تأكيده ، بالاضافة إلى النغمة الموسيقية الداخلية التي أضفاها على البيت بتكرار نفس الحروف.

و مثل ذلك قوله من نفس القصيدة:

والي شافوه أيهوم ايديروا له شرع   يبغوه غير أيعوم و عينيه تدمع.

---

[1] أن يكون اللفظ واحدا و المعنى مختلفا ، و خير أنواعه ما تتساوى حروف ألفاظه في تركيبها و وزنها..."

المثل السائر 1 / ص242-243

[2] – يكون الجناس تاما إذا اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة هي : نوع الحروف ، شكلها ،عددها، ترتيبها ، و يكون غير تام إذا اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور المتقدم، و الجناس هو توافق الكلمتين في اللفظ و اختلافهما في المعنى. .. المصدر نفسه و الصفحة نفسها .

الكلمتان متجانستان إلا أنهما اختلفتا في حرف واحد ، لذلك فهو جناس ناقص ، نلمس من ورائه نغمة موسيقية هادئة طغت على البيت ، و الغرض من استعمالها هو تقوية المعنى و تأكيده.

و من قصيدة "السجن" قوله:

السلسلة بلفيس مخدومة بلفيس   و ايلى اجبت صاحبك تتزير هي

إذا تاملنا الكلمتين المتجانسين في هذا البيت راينا انهما اختلفتا في ركن واحد من أركان الوفاق الأربعة المعروفة في الجناس ، فالكلمة الولى "بلفيس" و هي كلمة أجنبية تعني البرغي ، و الكلمة الثانية "بلقيس"تعني القياس، و حين نقرأ البيت نشعر بتلك النغمة المميزة التي يسعى الشاعر كسبها لكلامه ، من أجل تقوية المعنى و التأكيد عليه.

و من قصيدته "فارحة لميمة"قوله :

وين ما كان السارح اليوم راه   فارح راه ولى مسؤول او عندو اقدر

الكلمتان "السارح ،فارح" متجانستان ، إلا انهما اختلفتا في ركن من أركان الوفاق الأربعة الخاصة بالجناس ، فكلمة السارح تعني راعي الغنم ، أما كلمة "فارح" دلت على الفرح و السعادة، فالكلمتان علاوة على تأكيدهما لفكرة ، تحدث رنينا موسيقيا يعين على تصور المعنى و توضيحه.

و من نفس القصيدة قوله :

قالوا عشر أيام ايجيها الخدام   و لي زادت القدام يجمعوا شهر

الكلمتان " الخدام ، القدام) متجانستان ، و فيهما اختلاق في نوع من الحرف ، فالأولى دلت على العامل اليومي ، و الثانية تعني المستقبل ، فإننا نلاحظ تأكيد كلكال على الفكرة ، و إكساب الكلام رنينا موسيقيا يساعد على تصور المعنى.

و من قصيدته "عام البون":

قاتله أنت الي ديفان   و كل من تبعك شيطان

نلاحظ أن الكلمتين "ديفان،شيطان"متجانستان ، فيهما اختلاف في حرف من حروفها ، فالأولى هي كلمة أجنبية تعني الخمر أو النبيذ ، أما الثانية فهي تدل على العمل الفاسدو سوء العاقبة.

و الغرض من استعمالها هنا للتأكيد ، و إضفاء رنين موسيقي يعين أيضا على تصور المعنى.

و من قصيدته "مول زوج نسا" قوله :

زدت وحدة بزة قلنا قازة   غير تزعف خويا و اتقول انشور .

الكلمتان " بزة ، قافزة" بينهما تجانسا ، و فيهما اختلاف في الحروف ، فالأولى تعني " طفلة أو صبية" و الثانية تعني " الشطارة و الوعي" و استعملهما الشاعر هنا بغرض التأكيد على المعنى و توضيحه أولا ، و ثانيا لإضفاء نغمة موسيقية هادئة ، لا سيما و أن ما يلاحظ على هذا البيت تكرار حرف (الزاي) في بعض الكلمات دلالة على رغبة الشاعر في البحث عن الديباجة.

إذا كان الجناس في مذهب الكثير من اهل الدب غير محبوب ، لأنه يؤدي إلى التعقيد لا سيما في الأدب الرسمي ، و يحول بين البليغ و انطلاق عنانه في مضمار المعاني ، ما عدا ما جاء منه عفوياً و سمح به الطبع في غير تكلف ، فإن الشعر الشعبي يميل أكثر إلى هذه الميزة.

ب - المحسنات البديعية :

الطباق:[1]

و منه قول الشاعر في قصيدته "مكر النسا"

تبقى أتوكد الناقص مع الزايد   ذاك ولد قايد زيدي خوك ألحفات

استعمل الشاعر في أسلوبه طباقا ، إذ أنه جمع بين الشيء و ضده في كلامه ، فـ"الناقص"و "الزايد" كلمتان متضادتان إلا أنهما لم يختلفا في الضد إيجابا و سلبا ، و هذا ما يسمى طباق الايجاب و استعمال الطباق يؤدي إلى توكيد المعنى و توضيحه علاوة على تلك الرنة الموسيقية الهادئة التي تظهر على الأسلوب، كما أن باستعمال الكلمة و ضدها يتضح المعنى و يقوى.

و من قصيدته يا شباب قوله:

1- الطباق : اصطلاحا هي الجمع بين الضدين أو بين الشيء و ضده في كلام أو بيت شعري   ينظر   عبد العزيز عتيق علم البديع ص 88

كل ما تحقق هذا ملك الشـــــعب جمهورية في بلادنا ما هوش سلاطين

في البيت نلاحظ كلمتين متضادتين من حيث المعنى ، فالأولى "جمهورية تـــدل علـــى مشاركة الشعب في السلطة و السياسة ، أما الثانية "سلاطين" تدل على تولي شـــخص أو أهلـــه السلطة دون سواهم، فاستعملها الشاعر للتأكيد على المعنى و تقويته ،لأن كما أشرنا باســـتعمال الكلمة و ضدها يتضح المعنى، و هو أيضا طباق إيجاب.

و مثل هذا قوله من قصيدته " حب الزهرة"

كان قلبي هامد و اليوم راني مهموم ولى كلامكم يتعاود ولي أيخالطكم مظلوم

اشتمل البيت على كلمتين متضادتين ، وجدنا لتوكيد المعنى و تقويته فكلمة "هامد" تـــدل على الإطمئنان و الاستقرار التي هي عليها قلب الشاعر، بينما كلمة "مهمـــوم" توحـــي علـــى الانشغال و كثرة التفكير في الحال ، فكلاهما حالتان متضادتان ، أراد مـــن خلالهمـــا الشـــاعر توضيح المعنى و إبرازه مع غعطاء نغمة موسيقية هادئة ، و هو طباق إيجاب.

و من قصيدته "فارحة ميمته" قوله :

وين ما كان السارح اليوم راه فارح راه ولى مسؤول أو عندو أقدر.

عمد الشاعر إلى استعمال كلمتين متضادتين هما "سارح" التي تعني قلة العلم و المعرفة بشؤون الحياة في اللغة العامية ، أما كلمة "مسؤول" توحي بالمكانة ارفيعة و الدراية بـــالأمور ، فهما كلمتان متضادتان أبرز بهما الشاعر المعنى و وضحه ، و هو طباق إيجاب.

و من قصيدته " يا سايلني" قوله :

لا تامنشي فالزمان فضه و نحاس شوك الضربان هكذاك ليامات.

نلمس في البيت الكلمتين المتضادتين "فضة" الدالة على الغنـــى و الصفـــاء الخـــالص ، و الكلمة الثانية "انحاسه" التي تدل على الشيء القليل الثمن و المرتبة إذ أن النحاس يـــأتي مـــن حيث القيمة المالية في المرتبة الثانية بعد الفضة.

و استعمال الكلمتين المتضادتين قصد من وراءه الشاعر كلكال توضح المعنى و تقويتـــه مع إعطاء الأسلوب نغمة موسيقية ذات رنين هادئ .و هذا يدخل في طباق الإيجاب.

و مثل هذا أيضا قوله من قصيدته " سجن" :

ربي عالم الليل مع النهار النوم صارم ضايق الوطن علي.

الكلمتان "الليل" توحي بالظلام و الهدوء و السكون ، أما كلمة "النهار" توحي بالضياء و الحركة الدائبة فهما كلمتان متضادتان ، استعملها الشاعر لإبراز و تقوية المعنى و توضيحه أكثر دون أن ننسى ما في ذلك من نغمة موسيقية و هو طباق إيجاب.

أما من طباق السلب ، نجد قول الشاعر كلكال من نفس القصيدة:

لا يدوم لو كان دامت لجداد ألي عاش عشر مية سنة فالدنيا

الايضاح : اشتمل الاسلوب على فعلين من مادة واحدة أحدهما ايجابي و الاخر سلبي "لا يدوم :دامت" و باختلافهما في الايجاب و السلب صار ضدين ، و يسمى الجمع بين الشيء و ضده طباقا ، إلا انه يدعى طباق السلب.[1]

كثيرة هي تلك الكلمات المتضادة المعنى ، التي اشتملت عليها نماذج الشعر عند كلكال ، فقد اكتفينا بذكر البعض منها على سبيل الذكر لا الحصر ، و ما يمكن أن نتبينه من هذه الدراسة أن كلكال استعان كثيرا بالطباق إبراز المعنى الذي ابتغاه لكل طباق ، و قد انهمر هذا المحسن عفويا في معظمه لا تكلف فيه مما جعله يسري في سلاسة و وضوح اللهم إلا البعض منها الذي يبدو أن كلكال قد جرى من ورائها لتحسين المعنى لكنه لا يزري بجماله في الكلام.

المقابلة :[2]

قصيدته "يا سايلني" قوله :

ليلة بنوارها و ليلة مدموسة ليلة بغيامها غير الى الصيف اصحات.

إذا تاملنا في قول الشاعر نجد ان صدر البيت و عجزه قد اشتملا على معان متقابلة ، ففي الصدر نجد الليلة ذات الليلة ذات النوار (المضيئة) ، تقابلها الليلة المدموسة (الحالكة الظلام).

و في عجز البيت نجد الليلة الغائمة بسحبها المعتمة ، يقابلها الصحو في فصل الصيف ، فالشاعر يبين صفات متقابلة و قابل بين الواحدة و الأخرى، بطريقة مرتبة ، و مثل هذا الكلام يدخل في المقابلة.[2]

1- و هو ما اختلف فيه الضدان إيجابا و سلبا. . ينظر . عبد العزيز عتيق علم البديع . ص 89 .

2- المقابلة : هي إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى و اللفظ على وجه الموافقة أو المخالفة ينظر أبو هلال العسكري الصناعتين ص338

و في القصيدة نفسها قوله:

نوبة تروى حليب نوبة تتحسى   نوبة اتكونها حنشي نوبه رفسات.

نوبة في لسواق غنمك مدروسة   نوبه على ابغل نوبـــــه عودات.

نوبة فوق ارباع ينفض فالقصة   نوبه فوق عود زحله من زحلات.

نلاحظ في الأساليب السابقة أن كل واحد منها اشتمل على معنين و تابع ذلك في عجـز البيت على ما يقابل هذين المعنيين على الترتيب، ففي البيت الأول : يبين بأننا قد نجـد حليبـا نرتوي به و نتقوت به مع الأكل ، إلا أنه قد يفتقد في بعض الحيان،فنأكل الخبز لوحـده دون حليب أو قد نأكل الأكل دون حليب و هو شيء أساسي في المائدة .

و في البيت الثالث نجد الشاعر يذكر معنيين : الحصان الأغر الذي يفتخـر بـه صاحبـه ، و يقابل ذلك بقوله"حصان عادي ا يميزه شيء" فالشاعر يبين صفات متقابلة بطريقة مرتبة.

و من قصيدته "سجن" قوله:

جدك اكبير ما يعرف تدبير   و انت بز صغير يا ولدي خويه.

نجد في صدر البيت معان كثيرة ، فهو يبين فيها أن جد ابنه رجل شيخ طاعن في السن، و لا يقدر على تدبير شؤون البيت المتعددة، و في عجز البيت يقابل المعـاني السـالفة بمعـان اخرى ، فيقول لابنه :انك طفل صغير ليست لك القدرة الكافية على تحمل المسـؤولية و انـت أعز ما لدي ، إذا لقد تقابلت المعاني ، و وردت بطريقة مرتبة مـن أجـل توضيـح المعنـى و تأكيده.

راني باقي متعجب ولد النظام باقي يكرب   البياع ادخل للمكتب دخل روحه مال.

في صدر البيت وردت معاني كثيرة ، و هي أن الرجل المجاهد المخلص لوطنه يعـاني الهموم و الآلام مما آلت إليه حالته الاجتماعية من تهميش و اهمال ، بينما يذكر في عجز البيت أن الرجل الوضيع الذي كان بالأمس عدوا للشعب الجزائري بني جلدته تولى اليوم المسـؤولية و هو تدبير الشؤون العامة ، و ذلك بالرشوة و الخداع ، فالشاعر وظف معان عديدة في الشطـر الأول و قابلها بمعان أخرى و أوردها مرتبة و الغرض منه تقوية المعنى و إبرازه.

و من قصيدته الشباب و العمل قوله:

في صدر البيت معاني كثيرة تمثلت في :ان الله هو الذي يرزق عباده بغير حساب و لا حدود ، كما أنه هو الذي ينزع لعباده ما يريد و يشاء من نعم و زينة ، و مثل هذا في الشطر الثاني ، فهو الذي يريد الخير بعباده و يقدره عليهم ، و لا يحب الشر لعباده الطيبين و يبعده عنهم ، ففي كل مقابلة للمعاني المتعددة بمعان أخرى ، و رتبت ترتيبا عاديا، و ذلك تأكيدا و تقوية للمعنى مع إبرازه في رنة موسيقية هادئة.

ما أورده كلكال من مقابلة بين المعاني هي من أسباب حسن الكلام و إيضاح معانيه ، و قد وردت في معظمها عفوا ، ليس فيها تكلف و لا جرى وراءها ، و لأدل على ذلك انسيابها في سلالة و طلاقة فو فيها سهولة واضحة ، و هذا أمر طبيعي طالما المقابلة سمة غالبية على كلامنا اليومي ، فما بالك لو كان القائل هو شاعر شعبي مثل كلكال الذي لا نهل و معين له في معانيه إلا ما رضعه من ثدي العامية .

التورية[1]:

من قصيدته "مول زوج نسا" قوله :

كل يوم قفة و ما عطا و اعفى   هذاك حد الكشفة راني فالدمر

لفظة:"قفة" استعملها الشاعر لمعنيين : أحدهما اسم الآلة التي نستعملها للإيتياع و هوالمعنى القريب الذي يتبادر إلى الذهن بسبب التمهيد لها بكلمة (كل يوم) ، و الثاني المصاريف المدفوعة يوميا نتيجة كثرة الاستهلاك و التبذير ، و هذا المعنى بعيد ، و قد أراده الشاعر و لكنه تلطف فورى عنه و ستره بالمعنى القريب ، و مثل هذا التعبير يسمى التورية.[1]

و من قصيدته "أصحاب بوحيرز" قوله:

هذا الناس ما يعرفوش قاع   قولة اللـــــــه أكبر.

كلمة "الله اكبر" مستعملة لمعنيين :أولهما القول الدال على التكبير ، و هو المعنى القريب الذي يتبادر إلى الذهن بسبب ما سبقها من كلام :"قولة" و الثاني الدين الإسلامي بأركانه الأساسية ، بعبارة أخرى ليسوا مسلمين إطلاقا ، و هذا المعنى البعيد ، و أراده الشاعر كلكال إلا أنه تلطف فورى عنه و غطاه بالمعنى القريب.

[1] – هي ذكر اللفظ مفردا له معنيان قريب ظاهر غير مراد و بعيد خفي هو المراد. ينظر عبد العزيز عتيق علم البديع ص89

و من قصيدته :"العاشق" قوله :

وين العاهد الي درنا قلبك مات و اتهنى

لفظة " قلبك" استعملت لمعنيين ، أولهما ما يتعلق بالعضو الحساس في جسم الإنسان النابض بالحياة ، و هو المعنى القريب الذي يتبادر في ذهن السامع ، أما المعنى الثاني و هو البعيد زوال الحب و الهيام الذي كانت تكنه له الحبيبة.

إلا أنه غطى هذا المعنى القريب.

و من قصيدته "يا سايلني" قوله :

ليلة بنوارها و ليلة مدموسة ليلة بغيامها غير إلى الصيف أصحات

اللفظة "بنوارها" و "مدموسة" و "بغيامها" لها معان ثانية أخرى ، فالولى "بنوارها" معناها القريب النور المتلألئ في وسط الظلام ، أما المعنى البعيد هو السعادة و الهناء و العيش الرغد.

فالثانية "مدموسة" معناها القريب الظلام الحالك في جنح الليل ، أما المعنى البعيد هو العيشة العسيرة التي لا يجد فيها الإنسان ما يتقوت به ، فالثالثة "بغيامها" معناها القريب السحابات المتلبدة التي تظلم الكون ، أما المعنى البعيد هو الهموم و الأحزان المتتالية التي تؤثر في الإنسان على الرغم من أنها عارضة.

و من قصيدته "ثمن الاستقلال" قوله :

عيشوا يا شباب عيشوا و فرحوا لاستقلال ليكم اضحكوا و امرحوا

إنّ لفظة :"عيشوا" الثانية لها معنيان :أحدهما قريب و هو ما يدل و يعين للوصول إلى المكان المحدد ن و أما الثاني و هو البعيد خطابه المشحون بالشوق و اللهفة على اهله جميعا ، و قد غطاه الشاعر و تلطف عن ذكره ، بالمعنى القريب.

استعمال كلكال لهذا الأسلوب البديعي ، بدون تكلف و هو يجري على لسانه مجرى الماء المتدفق من معين لا ينضب ، و هذا التعبير يدل على صفاء الطبع و القدرة على اللعب بأساليب الكلام و طرائقه ، و مثل هذا التعبير متوفر في الكلام الشعبي فليس بالغريب أن نقف عليه في شعر كلكال.

الموسيقى الخارجية:

الوزن :

قبل الخوض في الحديث عن الموسيقى الخارجية وطبيعتها في شعر كلكال ، لا بد من الاشارة إلى تلك الآراء المتضاربة بشأن الوزن في الشعر الشعبي للباحثين[1]، لا سيما ما توصلت إليه آراء الباحثين الجزائريين في هذا المجال ، لكن الوقوف عندها لا يكون إلا من باب التلميح ليس غير ، فإذا وقفنا على آراء هؤلاء الباحثين المهتمين بالوزن في الشعر الشعبي بشئ من الاقتضاب ، لنقيم العلاقة بموضوعنا مادام الشاعر كلكال جزائري أصيل و المجال الذي بحث فيه الباحثون لا يستثنى منه كلكال.

إذا ما هي هذه الآراء المتضاربة ؟ و ما هي النتيجة الميدانية التي توصلت إليه ؟ و ما حظ كلكال من هذه الدراسة التي توصل إليها الباحثون؟

إن أول ما يطالعنا في هذا الموضوع ، أن الشعر الشعبي الجزائري ، يصعب على الباحث في مجال الموسيقى الخارجية ، أن يخضع قصيدته إلى أوزان الخليل أو التفعيلات الخاصة بكل وزن ، و ذلك يعود لوجود السكنات الكثيرة في كل الألفاظ الموجودة في كل بيت من القصيدة.

هذا ما أشار إليه الباحث في هذا المجال الدكتور عبد الله الركيبي بقوله :

" فإنه من الصعب أن نضعها (الأبيات الشعرية) في بحر معين ، لأن السكون في نطق الكلمات من جهة ، و نسج الألفاظ بأسلوب عامي من جهة أخرى يجعلها خارجة عن الوزن ، و يبقى السماع هو المقياس الوحيد لمعرفة ما تتمتع به الموسيقى"[2]

إن وجود السكون أثناء نطق الكلمة ، و غلبة العامية في نسج الألفاظ ، هما السببان الأساسيان في إخراج البيت عن الوزن ، و في هذه الحالة لا معين لنا على معرفة الموسيقى إلا براعة السمع من أجل إدراك ما يتضمن البيت من موسيقى ، هذا الرأي للدكتور عبد الله الركيبي ، موافق لما يذهب إليه د.إحسان عباس حينما تحدث عن الزجل في الشعر الأندلسي حيث قال :

" السكين في الكلمات المنطوقة بالعامية يحيل النغمة و الايقاع عن الوزن العروضي في الشعر الفصيح" [3]

---

[1] من الباحثين في الشعر الشعبي غير الجزائري : د.عبد العزيز المقالح " العالية في الشعر الشعبي اليمني"

د. إحسان عباس " تاريخ الأدب الأندلسي" عصر الطوائف و المرابطين

د.حسين نصار " الشعر الشعبي العربي"

د.إبراهيم أنيس " في اللهجات العربية " « موسيقا الشعر »

[2] ينظر كتابه " الشعر الديني الجزائري الحديث" ص437

[3] د. إحسان عباس تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف و الرابطين ص222

غير ان د.حاجيات عبد الحميد[1] يطالعنا بقراءة أخرى تجعلنا نضبط الوزن في الشعر الشعبي، و هو من الذين يقرون بإخضاع الشعر الشعبي للوزن ، فإنه يركز في بحثه على عدد الحركات و السكنات الموجودة في كل شطر من البيت ، فإن توافقها و تجانسها يعني وجود وزن معين لهذا البيت أو ذاك ، و هذا الاستنتاج قال به الدكتور حاجيات في بحثه في القصائد الشعبية الجزائرية القديمة.

أما ما توصل إليه في هذا الميدان الدكتور العربي دحو من خلال دراسته الحديثة : بالأخص ما خصصه حول شعر منطقة الاوراس إلى نتيجة مفادها أن الشعر الشعبي الجزائري ، لا يخضع للأوزان ، و "أنه لا جدوى من الأخذ في غمار هذا الموضوع ، و تتبع فكرة وجود او عدم وجود الأوزان الخليلية ، دون النفي بوجود ما يشير إليها..."[2]

إن ما يريد الدكتور العربي دحو الإشارة إليه اننا لا نضيع جهودنا في البحث عن شيء قد يكون وجوده نادرا أو قليل الحصول عليه ، ما يمكن فهمه من القول أنه لا ينفي نفيا قاطعاً وجود الأوزان الخليلية في الشعر الشعبي بل لا جدوى ترجى من البحث عن هذا الموضوع و بذل الجهد في شيء أشبه ما يكون بالبحث عن إبرة ضاعت في كومة قش.

و يضيف الدكتور العربي دحو أسباب ما توعز إليه ، أن الاشعار الشعبية الجزائرية تخضع للحن و أننا نحكم على الكلمة كما تغنى و ليس كما تكتب و قياس الكلمة على اللحن المعتاد فيقول " اللحن هو أساس تقويم أوزان النصوص" [3] .

إذا ثمة إشارة مهمة يلفت انتباهنا إليها الدكتور العربي دحو و هي ظاهرة اللحن الذي تعتمده الأبيات و هو المقياس الأساسي الذي يقيم الأوزان ، و هو في نظرنا رأي صائب إلى حد ما ، بخاصة و أن السؤال الذي وجهناه لكلكال بشأن الأوزان و مدى معرفته بها و علاقة أشعاره بهذه الأوزان ؟ فكانت إجابته واضحة بسيطة ، فهو لا يعتمد في قصائده إلا على اللحن و الموسيقى و مدى تجانس الألفاظ فيما بينها و انسجامها ليس غير .

و خلاصة القول ، إن غياب القاعدة النحوية و الصرفية في العامية التي عدها الخليل كقاعدة أساسية في طريقة التقطيع و الوزن ، يجعل التفعيلة لا تتحقق إلا نادرا ، طالما ظاهرة السكون هي الغالبة على معظم الألفاظ ، و هي التي تصعب من الحصول على الأوزان المضبوطة حسب ما أوردها الخليل ، و كذلك الايقاع العربي البارز في اللغة الفصحى هو

[1] ينظر مقدمة كتاب : الجواهلر الحسان في نظم أولياء تلمسان"

[2] ينظر كتابه "الشعر الشعبي و دوره في الثورة التحريرية الكبرى منطقة الوراس ج1 ص249

[3] المرجع نفسه الصفحة نفسها.

غيره طبعا في العامية ، الأمر الذي يجعلنا نؤمن بأن إخضاع الشعر الشعبي الجزائري و أخص بالذكر شعر كلكال للأوزان أمر صعب ، يحتم علينا عدة احوال كإعادة النظر في اللغة أولا ، ثم في القدرات الفكرية و اللغوية للشاعر ، مما يتولد عن ذلك قتل للقريحة و إبادة للإبداع لدى الشاعر الشعبي الذي يؤمن أول ما يؤمن بالبساطة في التعبير و الحرية المطلقة في نغمات ألفاظه ، فنكون بالتالي قد ضيقنا من دائرة الشعر الشعبي (الملحون) ، و يصبح الكلام متكلفا و الشعور مفتعلا.

و حتى لا يكون قولنا مجرد نظريات تقف عند القول و فقط، حاولنا إخضاع بعض الأبيات للأوزان فاستنتجنا ما سبق ذكره.

قوله :

يا سايـــلني نعيد لك هذه القصّـــه	ما صرات ما لهمـــوم ذي نعيد ألي فات
0101001101001001010101	001011001100100110001001001

و قوله :

ما كان حبـــيب ألي نوريه	أنخبره بيا ما صـــار
001100110010000101	00101011010101

و قوله :

بسم الله ننـــظم هـــذا النشد	في يوم لثـــنين قلتـــها عشية
0010101101010101 01	011001001001010010 1

<u>القافية :</u>

أبرز ما يمكن الاشارة إليه هو ذلك التفاوت في القصائد من حيث الطول بين الشطر الأول و الشطر الثاني ، فهو لا يسوي بينهما إلا قليلا ، فنجد فيها من الطول ما لم يجعل البيت على وزن واحد و هي دعامة تثبت اختلاف الوزن إن توفر في البيت على نحو ما رأينا في الأبيات السالفة الذكر ، و في قصائده الأخرى.(راجع الملحق).

بالاضافة إلى اختلاف القافية و تنوعها في القصيدة الواحدة ، و أحيانا بين شطري البيت الواحد ، و تفسير ذلك حسب قول كلكال ، الحاجة إلى إضفاء نغمة موسيقية على القصيدة ، و طول النفس ، مع الرغبة في إبراز القدرات اللغوية للشاعر .

كما اننا حين تتبعنا لشعر كلكال وجدناه على شكلين ، شكل يراعي القافية التقليدية ، و آخر يخرج عنها ، و هو الغالب في شعره، و قد مثلنا لذلك ببعض النماذج:

ما يوافق القافية التقليدية كـقوله :

كاندير انا القلب هنا   حامق ما بغاش يتهنى

نلاحظ استعمال الشاعر لقافية واحدة (حرف روي واحد) و التزم به في كل أبيات القصيدة [1] ، لازم الشاعر حرفا رويا واحدا (الألف) في العروض (هنا) و في الضرب (يتهنى)
و مثل هذا النوع يسمى في العروض و و القافية بالمثنى (تساوي القافية في الشطرين)
و أما ما خالف التقليد ، قوله :

ما كان حبيب ألي نوريه   انخبر بيا ما صار[2]

نلاحظ استعمال حرف الروي (الهاء) في العروض ، و في الضرب استعمل (الراء) .
إننا لمسنا في شعر كلكال قصائديلتزم فيها بحرف روي واحد في كل أبياتها .

[1] يراجع قصيدة العشق في الملحق
[2] يراجع قصيدة ساعة الرحيل في الملحق

الخاتمة :

لقد تبين بعد هذه الجولة في حياة ككلكال و شعره ، أنه موضوع جدير بالدراسة و المتابعة و الاهتمام لما استقطبه من جوانب عدة و مختلفة (سياسية ، اجتماعية ، تاريخية ، نفسية و غيرها)

و ما ورد في شعر كلكال يطلعنا على عالم زاخر من المشاهد و الوقائع الحية التي نقلها نقلا واضحا و مباشرا إذا اعتبرنا أن مهمة القصيدة قد ركزت على ذلك الأمر الذي يدفعنا إلى القول بأن كلكال حضر الثورة و تفاعل معها و تجاوب مع غاياتها و أحداثها ، كما رسم لنا موقفه الثابت الذي لا يغيره أي موقف إزاء المستعمر و نيته الدنيئة إزاء الشعب الجزائري منذ الاحتلال مرورا بالاستقلال إلى يومنا هذا ، و ما بلورته أفكار بخصوص الظواهر الاجتماعية . وعليه فيمكننا القول إن البحث و هو يستهدف هذا الموضوع الحيوي حاول أن يحيط بكل الجوانب التي رأيناها متصلة به حتى وصلنا إلى النتائج المرجوة التي تظهر في الفصول التي تناولناها بالبحث ، و قد استفدنا من الجانب الميداني كثيرا لا سيما تلك اللقاءات و الحوارات التي كانت تطيل بنا مع الشاعر كلكال حيث أشعرتنا و نحن نزاول البحث بالارتياح و السهولة في القيام بالبحث و مواصلته ، و هي مناسبة مكنتنا من إظهار حياة كلكال التي كانت مجهولة ، و أشعاره التي كاد أن يغمرها النسيان و يطويها العدم ، فأظهرت في ثنايا هذه الأشعار الموضوعات المختلفة المتناولة في الفصل الثاني أن الدراسة الفنية فكان لها الحظ الوافر في ه الأشعار حيث تمكننا من إبراز الجماليات الفنية في قصائده ، و هكذا يظهر لنا أن البحث لم يخل أي فصل منه من جديد .

و إننا لا ندعي من قولنا هذا الكمال بل إننا ندعو غيرنا من الباحثين إلى الاهتمام أكثر بهذا الشاعر و غيره و الباب مفتوح على مصراعيه في عدة جوانب خفية للشاعر كلكال يستدعي البحث و التقصي فيه.

الملحق :

مناسبات و قصائد

المناسبة :

وجه كلكال في هذا القصيد هجاء لاذعا لأهل دوار بوحريز حيث كان يسكن و يقيم ، و لم يكن هجاؤه لهم بغرض السب و الشتم الناتج عن نفس مريضة ناقمة ساخطة ، بل هجاهم لما كانوا يقومون به من أعمال ، يحقرونها و هم على دراية بخطورة ما سيترتب عن هذه الأفعال ، و كانت القصيدة في سنة 1942.

لا نختلف في القول إذا قلنا إن خطر الشعراء يزداد في مثل هذه المواقف ليزداد معه احترام الناس لهم ، و إلا فكيف خلدت أسماء بعض الشعراء لولا نبوغهم في الهجاء و بطشهم أو بفضل مهارتهم في معالجة فن المدح .

و كلكال لم يقل هجاء من أجل الارتزاق و المال ، بل لما وجده عند هؤلاء الناس من خبث و تصرف بشع فكانوا في أبشع الصور و المظهر ، بحالتهم المشينة ، لا يَحترمون و لا يُحترمون ، لا يبالون بعادات و تقاليد المجتمع ضاربين عرض الحائط ما جاءت به تعاليم الدين الإسلامي من أركان و عبادات ، و لم يكتفوا بذلك بل كانوا أيضا يفجرون كل يوم للذهاب إلى الغابة المجاورة و يقطعون أشجار الصنوبر و هي خضواء يانعة ، و كأنهم خلقوا للفساد و التخريب ليس إلا ، فكانت النتيجة أن ثارت حمية و شاعرية كلكال لمثل هذه المظاهر المزعجة حقا.

فزجرهم زجرا ، و وجه لهم تقريعا حينما رأى في الأمر خطورة و هم لا يشعرون بذلك ، كما نجد أن العبارات وردت في قالب من السخرية اللطيفة ، حينما يصف حالتهم الظاهرية و تصرفاتهم البربرية ، و حينما وجه دعاءه إلى الله بأن ينالهم بعذابه و سخطه في الدنيا قبل الآخرة ، و بأن يعيشوا حياة ذليلة دنيئة ، و أن يسلط عليهم مرض التيفيس[1]، و من محاسن الصدف أن أصاب القوم هذا الداء بعد مدة من الزمن ، و جاءوا الشاعر طالبين العفو و السماح و أن يكف عن هجائهم بلسانه اللاذع .

ما نشير إليه في هذا الصدد ، أن كلكال على مقدرة على الهجاء ، يؤكد ذلك القصيدة التي بين أيدينا ، و يزيد في حدة هجائه أنه يصوغ سهام الطعن صوغا بديعا و يفرغها في قالب وجيز مستوعب و يحاول أن يستعمل ألفاظا موحية م}لمة دالة على المعنى المقصود.

[1] التيفيس داء خطير انتشر بكثرة في فترة الوجود الاستعماري بالجزائر قبل الحرب العالمية الثانية .

يا صحاب بوحريز 1942:

1. يا صحاب بوحريز و قبوركم ويـــــن ما تخلصـــوا ديـــن ما تعــتقوا مسكين
2. قاعدين غير اقـــبال التشــوطيـــــن مـــن ذاك قـــوم أمـــلــقــطــيـــن
3. العبايــة امشــركــة حــتى للكرعيــن أتـــحـــوســـوا علـــى الكــف بألــفــين
4. و ما تصيبيـــوش علــيــه ويـــن أيجــيـكــم عـــزريـــن بـــرزى متين
5. يخبط ما لوذنيــن غ لي للكرعيـــــن و يــقـــولـــكـــم و كـــالين الـــزنـــيـــن
6. رمضـــان ويــن انــتــما مومنيـــن و خارجـــيـــن مـــن الـــديــــــــن
7. ا يقســيـكــم مـــع الكـــافـــريـــن و يـــبـــعـــدكـــم عـــلـــى المسلمبـــن
8. نطـــلـــب لـــكـــم غ العـــمـى فالعيــنين والزحاف في لكرعين تطلبوا مناغلِيمسرغين
9. هـــذا النـــاس ما يـــعـــرفـــوش قـــاع قـــولـــة الله أكـــــــبـــر .
10. مـــيـــن يـــنـــشـــق الفـــجـــــــر أ يـــبـــكـــر للـــصـــنـــوبـــر لـــخضر
11. يا ألـــــتـــي يـــعـــطيـــهم التـــيـــفـــيس. يركـــــب لـــهـــم عـــلـــى الصـــدر.

شرح المفردات

2 أملقطين : جاءوا من كل منطقة و تجمعوا في بوحريز
4 الرزى أمتين: هو عصا ثقيلة
5 الزنين : ما تنتجه أشجار الصنوبر
9 قاع: معناها هنا الكل

مناسبة القصيد :

إذا اعتبرنا الغزل غرضا من أوسع أغراض الشعر و أكثرها تداولا بين الشعراء، و أسرعها أثرا في حياة الطبقات الاجتماعية الشعبية على الأخص ، فإننا سنجد في المقابل العديد من الشعراء نالوا شهرة واسعة بسبب ما عبروا عنه من وجدان و عاطفة نحو المرأة ، هذا الكائن الذي كان عبر التاريخ و سيظل دوما يثير فضول و اهتمام الكثير من الشعراء ، باعتبارها ملهمة الشعر و فيض الخاطر من أحاسيس و مشاعر ، و تعتبر المرأة لغة الجمال المشتركة بين الشعراء عبر العصور ، و لو أن لكل عصر نظرته للمرأة .

لم يكن كلكال لينج من هذه اللغة ، و كان حظه كحظ غيره من الشعراء الشعبيين الجزائريين سواء بعد الاستقلال أو حتى قبله ، فقصيدته "العشق" التي جادت بها قريحته ، هي أولى قصائده الغزلية ، أنشدها و هو ابن الثلاثة و العشرين سنة ، و إذا أردنا التحديد \الكثر كانت في سنة 1949 حينما كان شابا يلهث وراء متعته النفسية ، نتيجة كثرة معارفه بالنساء على الرغم من حبه ليمينة ، فلم يستطع أن يبعد عن قلبه أسماء باقي النساء : "الزهرة و مامة" في هذا القصيد ، على الرغم من تغنيه بحب الزهرة في قصيد آخر.

و يبدو كلكال في هذا القصيد مجاهرا بلذته ، و لا يستطيع أن يستر عجزه عن بث لواعج نفسه ، فكسر الغشاء القصصي الغرامي ، ليظهر بمظهر دونجوان الفتى الخلاب الذي يسعى إلى كسب قلوب العديد من الفتيات على الرغم من أنه يبدي إخلاصا صادقا للمحبوبة يمينة ، فهي السبب المباشر لإيقاظ مشاعره الراكدة ، فهو يحبها و يخلص لها و يلقى مقابل ذلك الهجر و الصدود و اللوم و التشرد ، و خشونة العيش و قسوة الأهل ، لا سيما بعد أن هجرت مع أهلها بعيدا عن عين الشاعر ، و لم يقف عند هذا الحد بل تتبع خطاها و قضى الليالي الطوال بعيدا عن أهله رغبة في رؤية يمينة ، و اكتساب رضاها و ودها ، لأنها حسب الشاعر كانت على حظ وافر من الجمال و الهيئة ، و كانت على وعي كبير بما يعانيه الشاعر و يكنه لها من حب و إخلاص ،رغم علاقته مع غيرها من الفتيات .

العشق 1949:

1. كنت دير انا القلب هنا — حامق ما بغاش يتهنى
2. يعشق لي غير اللي زينة — سلباته واك يمينة
3. شوفوا خاوتي الزهر هنا — من بعد حتى تعاشقنا
4. و طال الحال توالفنا — جاو الحساد فرقونا
5. راحت بعيد بالسكنى — خفت من ناسها الشينة
6. آ طفلة اشتا يلاقتينا — ذا الطالب لكتبلك جايح ماشافش لمحنة
7. الله يا خاوتي لبطال — أصحابنا العشق هبال
8. أحسنوا عون بن كلكال اصبح — عليه الحال ما شتوش البستانة
9. واحد اليوم تلاقينا — في الكدية طريق المشينة
10. وين العاهد اللي درنا — قلبك مات و تهنى
11. ما قداش توصلينا — الحضى نستنى تحت الخلخال الحنة
12. العين كحلة و الخانة — تسوى ألف سلطانة
13. في لفم زايدة سنين — اخدودها تقول أتشين
14. ما أحمرهم كزنين — قوليلي الملقى وين
15. أحسنا رانا متهولين — في الهدرة اللي شينة
16. ما صبت لك أمنين — آ المحبوبي اللي شينين
17. راهم لبدة عساسين — خايف يقتلونا
18. يحسن عون العشاقين — اللي عاشقين الزين
19. ما يرقد ما يغمض عين — لبدة مريض في شطنة
20. ماما ها الغيضانة — زهرة لبدة زعفانة
21. يمينة ها البستانة — مامة و تقول دخل
22. يا و الزهرة لترسل — يمينة عقلها فل
23. و هاذوا حبابي الكل — و حسراه نيك القانة
24. هذا العشق راه كمل — قولها خوك خاف يهبل
25. أمامة شوفي فيا — من عاهد الزينة
26. راني لقيت حمام الزهرة — أمجاور حمام يمينة

28. أضـــــربـــني عليك أغرام — جـــيـتـــي صـــعيـــب بالسكــــــنى
29. راني انهــــتــرف عليك — يا أمـــيـــنـــة العـــــار عـــليــك
30. و الله مـــا نـــزيــد عــلـيك — ساعـــــــــــة ربـــي يـــلاقـــيـــنا
31. و مـــن عـــاهـــد الـــزيـــنـــة — رانـــــي لـــقـــيـــت حمـــــام امــيـنة
32. زوروا المـــقــبرة راها مقابلة — الســـدرة يـــبـــرا ذاك حبـــيـب الفتنة
33. و الــــلي بغـــا روحـــه تـــبرا — أيـــــزور قبـــــــــــر يميـــنـــة
34. رانــــي نمـــشي نـــزور ندي — معـــــــــايـــا الزهـــور لقبر الزينة

شرح الألفاظ

1 – ما بغاش : لم يرد
6 – شتا : ماذا ، جايح :نذل و خسيس ، ما شافش:لم يجرب
11 – ما قداش : لم تستطيعي ، الحضى : الفرصة
13 – أتشين : برتقال
16 – ما صبت : لم أجد
20 – الغيضانة: من الغيض و الحزن ، زعفانة : غير راضية.
22 – فلّ : طار
23 – القانة : الشلة و الجماعة.
28 – انهترف : اهتف و أرنو
32 – أبغي : أحب ، و رضي
33 – ندّي : آخذ

مناسبة القصيد :

إن كلكال كان من بين المتيمين المتألمين من العشاق الروحانيين ، و هو صاحب لذة يبحث عنها في عواطفها ، فما تحرمه الأعراف و العادات الوصول إليها ، فقصيدته "حب الزهرة" من لأبرز القصائد الغزلية التي أفردها الشاعر ليناجي بها الزهرة ، هذه الفتا التي سلبته من أهله و أخذت من قلبه مكانا فسيحا ، و هو شاب يافع في العشرينات منم عمره ، و كانت الزهرة من سكان قريته رفقة أهلها المتواضعين ، و يشاء القدر أن يتعرف شاعرنا على الزهرة ، و هي فتاة جميلة على قدر كبير من الأخلاق و العفة ، فتبادله الحب و الإخلاص خفية عن أهلها و عن أهل القرية ، و يظلا على هذا الحال من الود و الإخلاص و النشوة ، إلى أن يدرك أهلها بهذه القصة ، فيرحلون بعيدا عن الشاعر و قريتهم خوف العار و الفضيحة التي فرضتها العادات و الأعراف.

و هنا يطالعنا كلكال بهذه الصورة من صور الغزل العفيف حيث يصور لنا حبا عفيفا عنيفا خالصا لا تشوبه نزعة إلى منكر أو باطل ، و لا مطمع للمحب منه سوى الصلة الروحية و المشاركة العاطفية ، فالشاعر يحب فتاة واحدة إنها الزهرة ، فيخلص لها الحب طيلة حياته ، و يحتمل جراء ذلك الهجر ، كما يشتاق لقربها ، و الاستمتاع بجمالها ، و مواقف اللقاء و الوداع و غير ذلك مما هو داخل في أغراض النسيب ، و يلقى مقابل فراقها الأهوال و اللوعة .

حينما ساءت حالته النفسية و استعصى عليه أمر الشفاء يلجأ إلى الاعتياد على زيارة ضريح أحد الأولياء الصالحين "سيدي مروان" فبث غليه شكواه عله يخفف عنه شدة اللوعة.

لم تكن الزهرة ، حبيبته بعيدة المسكن و لا بغريبة عن كلكال ، إلى أن رحلت بعيدا عن أعين الناس ، الأمر الذي يضطر الشاعر إلى إرسال مرسول يحمله مسؤولية على كل حال مطالب بالقيام بهذه المهمة التي كلف بها و هو جاهل ما يخفيه له هول السفر و مواقف اللقاء عن أهل حبيبة الشاعر ، و هذا ما يبين قوة حب كلكال للزهرة في القصيد الذي بين أيدينا.

حب الزهرة :

1. ماشي نزور الوالي سيدي مـــــروان — أنـــــخـــــبركــم آطــــالي أنا بيا ما صار
2. حــب الزهرة كواني كثرت علي لضرار — ألي مالكـــــهـــا روحـــاني يا الخاوة عقار
3. سباط بقدامـــوا عـــالي أو دايرة التيقار — ألخـــاوة ما قواني شــــــاب راسي مالتفكار
4. أنا ما نـــيش هاني قلبي أكبير أو صبار — أحضيــت في وطــــنها براني وناسي دوار
5. لكلمـــــوها لـــــي أنا بغيت فيها لنظار — الزيـــــن الخـــــالي أو منـــها طبت بلا نار
6. بيا اغـــــزالي و بيـــــا حمامة لوكار — قولها ضنـــيت قلبك نصراني و لا ذا تــكبار
7. حبك جاني دخلاني لوكان ماحكم الكفار — أ نجـــــيك م وطاني و لا نديرلك عبد الــنار
8. قالت لـــــي ســـامـــــحني يا دلالي — ما صبتــــــلـــك طــــاقــة و لا مقــــدار
9. الـــــناس قـــــاع عـــديــــاني — مع مــــــن نــرســلــك لـــخــــــبار
10. لو كـــــان اتـــشــوف كـــراني — راه عـــــلــــــــي الــــــــزيـــار
11. تـــبــكـــي و يـــشـــفـــك حالي — عـــــوض الــــلـــــي فــي النار
12. كـــلامـــها بـــكـــانـــي كـــثير — مــــــن عـــيــــنـــي دمــعوا لمطار
13. أنخـــــبرك يا القاعد تروح لي مرسول — قولها من عند الشاعر بخالد راه مثل المهبول
14. بالله و الرب شـــاهد منك راني مشغول — كنت جاي عندك وقاصد خفت نجيبلك الهول
15. كان قلبي هامد و الـــيوم راني مهموم — ولي كلامكم يتعـــاود و اللي يخالطكم مظلوم
16. ما اتـــــبـــــقى مـــعـــاكم عاهد — و الله يـــــــا بـــــــنــــــــات اليــوم.

شرح الألفاظ:

2 – عقار : واحد من الجن

3 – سباط : حذاء ، التيقار : نوع من القماش

4 – براني : غريب ، ناسي دوار : أهله يبحثون عنه.

7 – حكم الكفار : إشارة إلى حكم المستعمر الفرنسي

8 – دلالي : حبيبي

10 – الزيار : المراقبة و الحراسة الشديدة

11 – عوض : مثل

المناسبة :

في عام 1948، أصر المعمر الفرنسي فرنسوا ساردون ، على أن يــأخذ الشــاعر كلكال رفقته إلى مزارعه الموجودة بفرنسا ليقوم كلكال بعمل الحصاد فيها ، إذ عــرف المعمر الفرنسي عن كلكال إخلاصه لعمله و كانت المرة الأولى التي يغادر فيها كلكــال الجزائر و المرة الأولى التي يزور فيها فرنسا ، فكان يذهب إلى هناك مرغما مكرهـا ، و كان يكابد من الحرمان و الفراق لوطنه و أهله مرارة لا يشعر بمذاقها إلا مــن أدرك معنى الغربة و لوعة الفراق ، و لم يجد الشاعر من يطلعه على حاله و هو يعزم الرحيل إلى فرنسا ، و ترك من خلفه طنا غاليا عزيزا عليه ، كأني به قد ترك الجنة و اتجه إلى لظى جهنم و لهيبها .

إن هذه الرحلة إلى فرنسا فتحت أبوابا كانت موصدة أمام شــاعرية كلكــال ، إذ مكنته من معرفة أهوال الرحلة و مغامرات البحار وسط تناطح الأمواج ، إذ كانت البداية من وهران حيث انطلقت باخرة المنصور نحو مرسيليا بفرنسا، فلا غرابة في أن يتعجب الشاعر من كل هذه المشاهد و المرئيات أمامه ، فالباخرة ضخمة و شيء جديــد غــير مألوف، يقودها قائد ألم بكثير من المعلومات ، فشده الإعجاب و تولد عنه وصــف لمــا وقعت عليه عيناه ، و أدركه بالحس و النظر.

فباخرة المنصور ظهرت مثقلة بالناس و العتاد ، و رغم ذلك فلم تغرق في جوف البحر ، و السر في ذلك هو ما توصل إليه العلم و الدراسة ، و أن الأمهات تنجبن مــن يقود العالم بفكره و علمه و خير دليل على هذا باخرة المنصور و ما احتوته من بشــر و وسائل ، و أجهزة متطورة جدا.

لقد تحكمت في شاعرنا كلكال رؤيته للموضوع و لغرض الوصــف ، فتصويــر المشهد خاضع للتجربة و الممارسة كما يبدو لنا في القصيدة.

ساعة الرحيل إلى فرنسا 1948

1. ما كـــــان أحبـيب ألي أنـوريـــه — أنخبـــــــره بيـــا ما صـــار
2. أهديت وطني و أمشـــــيت ألهـيه — أهديت وطني و أوعت النـــــــار
3. كـل انـســــان ما صـرا بــــه — و إلا بإذن الله القـهـــــــار
4. حكم الله حـــــد ما يـدخل فيـــه — و ألي انقـــدرت العبد أيودي لضرار
5. بابـــــور المــنصور أركبنا فيـه — أو من وهـــــران دار الديـــــبار
6. مــــن كـــل بـــلاد جاب غاشيه — فيه الشبــــــــان و فيـه أكبار
7. أ حـــــديد أموثـــق حـرنا فيـــه — رافـــد كـــذا مـن قنـــــطار
8. كل ما تنظر بالعين ألي فيـــــــه — هـــذي المـــصيـبة جـايـب دوار
9. و حـــتى حـاجة ما اتـــرصيبـه — أســـكـن المـــا مثـــل العـقار
10. هكذا أليقول عنـــــدي ولـد انقـريه — هكـــذاك اللي يقـــرو لصـــوار
11. تلـــــيفون لاصـــق في وذنيــــه — و لي أخــــطاه البلان أيخبره ما صار
12. ألي ما عنده كاغط ايوريــــــــه — أشـــــعال من واحد بدي منه تعصار.

شرح الألفاظ:

أهديت : تركت ، ألهيه :أرض فرنسا.

جاب : أتى ، غاشيه : ناس و مخلوقات

موثق : متقن الصنع ، رافد ، حامل على ظهره.

العقار : العفريت

اخطاه : غاب عنه

اشعال : كم الخبرية ، تعصار: اخبار.

المناسبة :

لقد خبر كلكال الحياة ، فكان له من المعرفة و الخبرات ما جعله في مرتبة الصفوة من الشعراء الشعبيين في زمانه ، بفضل غزارة إنتاجه في شعر الحكمة على الرغم مما فيها من سذاجة التفكير و بساطة الحياة الاجتماعية .

تناول كلكال الحكمة فجاءت قطعا متناثرة في قصائده المختلفة ، و الشاعر مولع بذكر الحكم و الأمثال ، و مولع بتجسيد عصارة حياته و خلاصة تجاربه و تقديمها للناس حتى تجنى ثمارها ناضجة في مسيرة حياتهم ، و القصيد :"يا سايلني" كلها حكم و نصائح تمكن منها الشاعر و تعلمها من مدرسة الحياة ، و هل ثمة مدرسة يتخرج منها الإنسان خير من مدرسة الحياة ؟

و قد اختار كلكال لقصيدته عنوانا "يا سايلني" للدلالة و بكل صراحة على مدى اطلاع الشاعر عن خبايا الحياة ، و هي دلالة على مدى قدرة الشاعر في الرد على كل سؤال و سر يبحث عنه في هذه الحياة ، و لم يكن اختيار الشاعر لعنوان القصيدة اعتباطيا أو عشوائيا ، بل إنه يدل بكل بساطة على كثرة اطلاعه بصروف الدهر له ، و هي في مجملها قصة فريدة من نوعها لا يعشها أي واحد من الناس.

و مهما يكن فهو يقدم نصائح و توجيهات تفاديا لأي عائق و عجز قد يواجهه الإنسان في حلقات حياته و أهم ما في حياة من تفوق هو الصبر و القناعة و التبصر للأمور ، و ليوضح ذلك يضرب الشاعر أمثلة كثيرة متقابلة و متناقضة بتناقض الحياة و الصراع القائم بين هذه المتناقضات.

و يبدو لنا كلكال في القصيد التالي ، قد وقف موقف العاقل الرزين الذي حكمته الحياة بدروسها و مواعظها فنال منها خير الثمار و القطوف ، و لم يقف موقف الشاكي و النادب على الدهر و فوات الأيام ، بل يسكب حكمه هنا قطرات صافية زلالا للسامع و القارئ من أجل أن يتجرعها جرعة واحدة و يقبل حلاوتها أو مرارتها كلٌّ حسب تذوقه.

يا سايلني 1948 :

1. يا سايـــلني أنعيد لك هذي القصـــــة / ما صرات ما لهموم ذي انعيد ألي فات
2. ليلة بنوارها و ليلة مدمـــــــوسة / ليلة بغيامـــــها غير ألصيف أصحات
3. لا تامنشي فالزمان فضة و نحـــاسة / شوك الضربان ها كذاك ليـــــامات
4. أتهلى في أعدوك عـــمرك لا تنسى / لازم ربي أيحوجه و أيجيــــك أبيات
5. نوبه ضيف للطعام نوبـــه للـــهرسة / واك الضيف أخيام يعرف لنعـــــات
6. نوبة تروى احليب نوبه تتحـــــسى / نوبه أتكونها حنشي نوبـــة رفسات
7. نوبه في لسواق غنمــــك مدروسه / نوبه على أبغـــــل نوبه عودات
8. نوبه فوق أرباعي ينفض فالــــقصة / نوبة فوق عوده زحلـــة من زحلات
9. نوبة خاضي أعجوز شينه مدحــوسة / دايرة كالقوس ما فيها خصـــــلاتى
10. نوبه خاصي شباب تتمشى برياســـــه / صافية العرض ما اتعبـــــها حيات

شرح الألفاظ:

ليلة مدموسة : الليلة المظلمة الدامسة
لا تامنشي : لا تومن ، شوك الضربان : حيوان مفترس يستعمل شوك جلده للدفاع عن نفسه.
أتهلى : اعتنى
الهرسة : نوع بسيط من الأكل
رفسات : نوع من الأكل يصنع من التمر و الدهن و الخبز. ، حنشي : تأكل لوحدها بغير حليب أو الأدم.
مدروسة : مصفوفة دالة على الكثرة.
أرباع : اسم لفرس أصيل ، القصة : ما على رأس الفرس من شعر. ، زحله: اسم يطلق على فرس غير الأصيل.
خاضي : متزوج ، مدموسة : عجوز شمطاء خصلات : بركة و خير.
شباب : المرأة الحسناء ، الرياسة : تمشي مشي الأميرات ، حيات ، ما يسوء العرض.

المناسبة :

إن الحياة مدرسة تتشعب معارفها و تتنوع دروسها بتنوع العقبات التي يصطدم بها الشاعر ، إذ كلما تعقدت معاني الحياة و كثرت همومها و زاد انشغال الناس بها كلما تعقدت معاني الحياة و كثرت همومها و زاد انشغال الناس بها كلما فتحت مجالا واسعا أمام مخيلة الشاعر باعتباره وليد مجتمعه و مرآته العاكسة لظله ، و منه يستشف موضوعاته و منه ينحل صوره الشعرية ، فلا معين له إلا مجتمعه بأدق تفاصيله أو أتفهها ، فلا غرابة إذا ألفينا الشاعر الشعبي يستمد أفكاره و يستقي أخباره من الواقع، و مما يدور على ألسنة العامة من الناس من أحاديث و أقاويل و تعليقات.

غير أن هذا لا يعني بأن الشاعر ليست له حياته المستقلة به ، هذه الحياة التي تتفاعل هي الأخرى وسط البيئة فتنصهر تارة في بوتقتها و تارة أخرى تنعكس تفاعلاتها على البيئة بعبارة بسيطة ثمة معادلة التأثير و التأثر و هذا ما يتجلى في القصيد"مول زوج نسا" .

فالشاعر ساعده الحظ و حالفه في أن يتزوج مرتين دون أن يطلق الزوجة الأولى ، فشاهد في الزواجين و الحياتين ما هو أغرب على العين ، و أدرك حينها ما لم يكن يتوقعه من قبل ، فالمر ليس هينا إذا ما عزم الشاب على الزواج بامرأة ثانية دون أن يطلق الأولى ، لا سيما إذا ما جمع بينهما في بيت واحد و كانت حالته الاجتماعية يحكمها العوز و الحاجة ، فانتزع كلكال هذه الصورة الاجتماعية من واقع معيش ، قد يتذوق مرارته الكثير من الأشخاص و تكون النتيجة مؤلمة حتما ، حسب ما ورد في القصيدة التالية:

مول زوج نسا لبدة في حصلة 1952:

1. بلاك تحـــضى تنسى تامن فالنسا لبا أتجيب كيـــلو بصلة و الله غير كثر
2. كل يوم قفة و ما أعطى و أعفى هذاك حد الكشفـــــــــة راني فالدمر
3. جيب واك الخـــضرة و لياكانش مره أدي قرعة الزيت انـــسينا السكر
4. قلت عمرت البيـــت زعم أتهنيت خاصني زلاميت أو غدوه أنـــــبكر
5. راني عليك نمدح مولات القرايح الماكلة اللي تصبح البيــــــدو أمعمر
6. أميمتي واك أعجوز تبغي الروز تبغي معاه القازوز و الزيتـــون لحمر
7. أخضيت وحده قفة وامرا شارفه كل يوم أتبخر أو تقدي في الجــــمر
8. زنت وحده بزة قلــــنا قافزة غير تزعف خويا و أتقولي انشـــور

شرح الألفاظ :

تحضى : تعتاد على الأمر

الكشفة : الحياة الضنكة

الدمر : الهلاك

مولات : صاحبة

اميمتي : تصغير أم

المناسبة :

لقد كان للظروف الاجتماعية المزرية ، و للجهل المنتشر إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر أثرهما البالغ الكثير من الظواهر الاجتماعية السلبية ، و قد كان لكلكال القدر الكافي حينما كان شابا أن ينغمس في محيط هذا المجتمع ، فيكشف لنا من حين لآخر ، و من مشهد لغيره من موضوعات اجتماعية مصبوغة باللذة تارة و بالحكمة و التعقل تارة أخرى ، لا غرابة في ذلك فالشاعر يقر و بكل نزاهة أنه اقتحم ميادين عدة لا حصر لها في حياته و هو شاب ، و أن تلك الحلقة الزاهية في حياته جعلته يدرك سر الحياة و بعض خباياها ، ثم يصقل هذه التجربة بما ملكه من موهبة شعرية فتكون زادا لمن شاء أن يتزود بها كزاد يتبلغ به في حياته، على صروف الدهر و نكباته.

ها هو كلكال يقتحم ميدان مخالطة النساء و معاشرتهن على كل الأحوال ، فكان له النصيب الأوفر لمعرفة ميولهن و رغباتهن أو على الأقل كيدهن ، فهو يدرك جيدا أن مخالطة النسوة هي مغامرة كمن يقبل ولوج بحر لجيّ متلاطم الأمواج لا قاع و لا قرار و لا ساحل له حتى إذا أشرف على الهلاك أسرع إلى طلب النجاة.

ما ورد في قصيدة "مكر النسا" هي حقائق لا ينكرها الشاعر و قد فرضت وجودها في زمن كان الشاعر يستمتع بأحلى لحظات شبابه وسط النساء و مجالس اللهو في بيوتهن ، فقد بلغ ببعض المآنسات للشاعر أن تبعث له بسيارة خاصة لتنقله من بلدته مسار بضواحي مدينة سيدي بلعباس إلى مدينة سعيدة و غيرها.

إن هذا القصيد الموالي يواكب في مضمونه ما كان يجول في عقليات المجتمع فجاء ممثلا لحياتهم و رغباتهم و نزعاتهم المختلفة ن مما يجعله وثيقة اجتماعية فنية تحفظ لنا الكثير من الوقائع و الظواهر ، و تصور لنا جانبا من العقليات و العادات و التقاليد.

مكر النسا 1956:

1. راني أمحيـــر يا ناس ما ضاق أصبر — عقلـــــي تودر في بحر بين الموجات
2. ذا البحر غامـــــق من دخل اغرق — يبقى مشـــــــوق يحوس على النجاة
3. أحبيـــب قلبي ريض واعلاش نايض — نروي لك هذي القصــــــــــيات
4. في كل بلـــــــدة من حبي لفرنده — قالوا سعيدة فيها المحنة رســـــات
5. ارجال طاحوا و للباخـــسات راحوا — اليوم قاع فرحوا وتعاندوا على البازرات
6. أنهار اللول أتقوله يا راجـــــل — مين تعول أرواح للدار تبـــــات
7. أنت احبيـــبي ونّاس قلبي من غيرك — ما نزيد عربي و ادخل النار قـــدات
8. أيجيه حاله كيشـــوف " قاديه ناره — صباط النمر يزقي نتاع طـــويرات
9. أيعود مخطوف أعمى مــحال يشوف — لياكانتش تفتوف نقول نبسط و نبـــات
10. ثم تسال أليا كان صابته بمالــــه — تجي قباله و تعـــــوج الفورارات
11. أيقول بصح و ايزيـــــد هو يفرح — تقوله اطرّح و يعمــــد على التشنات
12. تبقى توكد الناقــــــص مع الزايد — ذاك ولد قايد زيدي خـــوك ألحافات
13. قيـــــوه بالفم مسكيـــن و ايقر لهم — في كسبي افارم و شعال قطـــارات
14. مين يصبيوه أيجيب ما خـــلى بوه — أيـلـحـق حـتـى الـبـقـرات

شرح الألفاظ:

1 – تودر : ضاع و تاه
2 – أيحوس : يبحث و يفتش
3 – ريض : بمعنى تريث و انتظر
5 – باخسات : اللواتي قدرهن باخس و وضيع
8 – قادية ناره : نوع من اللباس اللامع و البراق. ، يزقي : يصدر أصوات العصافير .
9 – تفتوف : قليل من المال.
10 – صابته : وجدته ، الفورارات : ما يغطى به الرأس
12 – ولد قايد : دلالة على المكانة ، ألحافات : ما يفرش للنوم.
13 – قيوه : نطق لهن بالسر

15. يبـــــقى أيقارع ألي يشوفها يتقرع — يبقى يسمــــــع و ايكثر التصفيرات
16. أتقوله جيـــب كانش حلوى في الجيب — ما ادراوش بالعيـب جميع هذا خطفات
17. لو كان جيت حــــــاكم أنا لنمحيهم — مشّي سواهم رانــــــي على شماتات
18. في كل مضرب أصحيح ما نيش كاذب — كلامي مجرب سقســـوا عليَّ البدلات
19. مين يسكر اتقـــــوله روح شور — وليت تدفر ما دورش هــــنا هيهات
20. فاطون ديسي و لا نجيـب لك بوليسي — هذا بروسي و يديك الحبس أتــــبات
21. أطردوه يغدى ما هوش راجـــل عامر — بلا فايدة الغوا لاخر يبـــــــات
22. خرطوه مسكين خلوه غارق بالديـــــن — أيوروه العينين شوف ما دير الشمتـــات
23. كنت نبغيك فالغيب ننعر عليــــــك — ألي ابغاك يديك بالصفا و القلب و الذات
24. ايصيــــــب روحــه متـــقـشش — في الجـيـــوب و الجـــــلابــات
25. كانش ريال يشــــري أو راسو عريان — شـــوف ما دير الشـــــمـتــات

شرح الألفاظ:

16 – الخطافات : السارقات .

17 – الشماتات : صاحبات الحيل و المكائد

18 – البدالات : اللواتي يغيرن الصاحب و الخليل.

19 – شور : ارحل ، وليت : صرت ، تدفر : تقول كلاما قبيحا.

22 – خرطوه : أخذن ماله

24 – متقشش : لا يملك لنفسه درهما واحدا

25 – الريال : عملة أقل من الدرهم و الدينار.

المناسبة : 8

القصيد من الشعر الوصفي ذي الطابع التاريخي ، فهو وصفي لأنه يصف الحالة المزرية التي عايشها الشاعر في الميدان الاجتماعي نتيجة الظروف القاسية التي فرضها المستعمر على الشعب الجزائري ، أما كونه تاريخي لنه يؤرخ لنا أحداثا وجدت في بلادنا في زمن ما ، و هي ميزة من ميزة الشعر الشعبي ، فهو يؤرخ بالأيام و الشهور و السنوات للأحداث في البيئة الشعبية ، فمن الأحداث الكبرى إلى الأحداث الصغرى ، حيث تطالعنا مشاهد من التاريخ السري على حقيقتها ، فكان لعام البون أثره الجلي و حظه الوافر في شعر كلكال و كان ذلك في سنة 1942م حين أصيب الشعب الجزائري بأسوأ سنة ، حيث ساءت حالته الاقتصادية و الاجتماعية ، فكان المستوى المعيشي لا يوصف بسبب سياسة التجويع و التفقير و البؤس و الحرمان ، فكانت النتيجة أن توفي الكثير من الشعب الجزائري المعوز ، و أصيب الكثير بالأمراض الخطيرة الناتجة عن سوء التغذية و انعدام الصحة.

إنه العام المر التعيس الذي عاشته الجزائر و عايشه الشاعر كلكال يوما يوما ، فصوره في شعره و أرخه في ديوانه كعام لا يسقط من الحسبان لأنه ليس كأي عام و فقط.

لقد جاء تصوير و وصف هذا العام و الحادثة بأسلوب فيه حوار ساخر و مواقف هزلية ، و هي أحداث واقعية معيشة ، و لقد اهتم في هذا القصيد بالتاريخ و الأيام ، فدوّن كل ما عايشه في الساحة الاجتماعية ، مما يؤدي بنا القول إلى أن الشعر الشعبي يعتبر وثيقة تاريخية يمكن الاعتماد عليها في سد فراغات الكثير من الحلقات التاريخية المفقودة في تاريخ بلادنا.

و قصيدة عام البون خير دليل على ذلك، فتتبع مضمونها و تفهم معناها.

عام البون 1942

1. نلقى القهوة و الفنجال — قالت كي راني هجال
2. آويلي ما صبت ارجال — وين روح السكر غيب
3. قالت كي راني مغبون — نبكي على أزعاف البون
4. راني بأيت في الكانون — باقي ما البارح طايب
5. أمشي السيرو يخطبها — أو قال زعم ناخضها
6. كي شافته أحمر فالقرعة — قاتله اخرج علي برى
7. أوراك غير روحك اتجلب — قالها شوفي يا بنت الناس
8. ظنيتك ما عندك راس — ليه أنا ما نيش تراس
9. باغ تقعدي سايب — قاتله سقسي الطلبة الزينين
10. اللي قاريين الستين — أ يحطوني في الطيفور
11. و فواري داير فيفور — غير نظرة وحدة تعجب
12. قاتله أنت ألي ديفان — أوكل ما تبعك شيطان
13. الدنيا راهي في كيان — باسيتها باقية تكرب
14. قالها أنا ديفان البهاة — سقسي علي في لكبات
15. أفوارم أو طاكسيات درتلهم أنا — أو علمت الناس تتسبب

شرح الألفاظ:

1 – كراني : كيف إنني ، هجال : تطلق على المرأة المطلقة ، الأيم.

2 – ما صبت : لم أجد

7 – أوراك : ما بك ، اتجلب : تكثر الحركة

8 – تراس : رجل.

9 – باغ : تريد ، سقسي : اسال عني.

10 – طيفور : مائدة صغيرة الحجم

11 – فواري ، البخار ، فيفور : كثير و كثيف.

15 – درت لهم : له الفضل في ذلك، تتسبب: البيع و الشراء .

المناسبة :

القصيدة من الشعر السياسي ضمنها كلكال وصفا لما عايشه في فترة الاستعمار، إذ في سنة 1957م أصدرت السلطات الاستعمارية في حق الشاعر قرار سجنه مدة سنة و نصف مع حرمانه من الحقوق المدنية مدة خمس سنوات ، وجد كلكال نفسه في سجن من سجون المستعمر الفرنسي التي اثر منها هذا الخير عبر كامل القطر الوطني و كان يلقى فيها الشعب الجزائري بتهمة من التهم الملفقة .

فوصف الشاعر الوضعية و الحياة و ما أقامه المستعمر من فروض عليهم عنوة، و كانت قصيدته "السجن"[1] أولى القصائد التي اضطرمت بها لواعج نفسه نتيجة إحساسه بالاغتراب و الظلم و السيطرة و غيرها من معاني الذل و الهوان ، إلا أن إيمانه بدا جليا رغم نظرته الحادة و الحزينة المتأثرة بالحصار المفروض عليها ، الأمر الذي تركه معزولا عن عالمه الخارجي و لا يعلم ما يحدث خارج هذا الحصار ، فهو في أمس الحاجة إلى من يطلعه على الواقع ، و على الأحداث التي تحدث هنا و هناك ، لأن في وصول الأخبار و بلوغها إلى الشاعر داخل سجنه سيريح النفس و يجدد عزمه ، و يبعد عنه الملل و السأم ، و يعزيه في حالته السيئة للغاية .

إن اليوم المشؤوم الذي ركن فيه الشاعر في السجن ما يزال خالدا في ذهنه ، و حتى السنة المحرقة الجافة ما تزال حية في ذهنه المتململ ، فكيف ينسى هذا التاريخ اليومي و قد حدث فيه ما لم يكن في الحسبان ؟

أية لحظة سعيدة تمحي هذا العمر المشحون بالآلام و المعاناة و كثرة المحن ، و اشتعلت النيران في فؤاده ؟

كل هذا دفع بالشاعر أن يكشف في وثبات غنائية رائعة و لو أنها حزينة عما مني به من الألم الذي لا حد له بسبب السجن و الوحدة و الانفراد والغربة و النكبة و ألم العذاب و الوحشة لأهله و بخاصة أبنه الأصغر محمد الذي كان عمره ثلاث سنوات .

هذا الألم ظل يفتك بقلبه فتخرج منه زفرات قاسية لا يقهرها و لا يخمدها لا قسوة سجن و لا عذاب الجلاد و لا غيرها ، فكانت الأبيات قطعا تفيض بالألم و بدموع قلبه ، و كان طبيعيا أن نحس بهذه النبرات و تلك الزفرات التي تنم عن الصدق المؤلم في شعر قد ملأ فضاءات السجن و ضاق عن صمت الشفاه و بريق العيون تلك التي

[1] – القصيدة التي قالها في سنة 1957 حين دخوله السجن و كان ذلك بسجن وهران.

حركتها الذكريات الزاهية فكانت تمر به شريطا سعيدا ، إنها ابتسامات و ضحكات ابنه الأصغر محمد ، التي كانت تملأ فضاء البيت و تداعب أذنيه ، يناغيه و يناجيه و يداعبه و كان وجود كلكال في بيته يوحي بالأمن و الطمأنينة على أفراد الأسرة و يساعد والده فعلى شؤون أمره لأنه شيخ طاعن في السن ، إنها الذكريات التي أشعلت نيران القلب و أيقظت براكين الشوق و الحنين و ما على الشاعر إلا تقبل الأمر و التعزي بالصبر و قوة الإيمان بالله و بقضاء الله و بقدره ، و أن هذا مجرد بلوى و امتحان من رب لعبد، و أن الأمر مهما طال عسره سيأتي يسره لا محالة ، إنها نفحة دينية قوية نثرها كلكال في مقطوعته أوحت بنزعته القوية لدينه الإسلامي.

فهو لا يهمه السجن و إنما ما تركه خلفه من أهل و أخلّاء ، طالما كان هو العائل الكافل بشؤونهم جميعا ، و ؟أن الحياة بعد هذا ستحيل إلى أسوأ مما هي عليه لا سيما و أن ابنه صغير و أباه شيخ كبير و أخاه الصقال يعيش بعيدا عنهم .

إذا الحقيقة الآن ما هي ؟ ، إنه معزول و مسجون لا حول و لا قوة له ، أسير جدران مغصوب الحرية و الأمل .

و بما أنه توالت عليه الأحداث و الذكريات و لم يرض لنفسه هذا النصيب الحقير ، و لا تمكن من احتمال الفراق و النكبات المتوالية ، بدأ يذرف الدموع و هو يعلم يقينا أن البكاء لا يرجع لصاحبه ما ضاع منه ، كما لا يجدي نفعا ، و عزاؤه الوحيد في مصابه الجليل الرفاق من حوله ، لكن أنى يكون ذلك ؟ و هو يرى العزاء هذا أشبه بقبس زائل في مكان موحش مقفر (حالة السجن) ، غير أن هذا لا يعني إطلاقا أنه غير متشبث بالأمل المضيء الوثيق في العودة يوما إلى ذويه سالما ، الأهل الذين كانوا سببا مباشرا في إفاضة المشاعر و شحذ الهمة ، فكانت أجمل العبارات و أروع الصور رغم أنها ظهرت مشحونة بالحزن و الأسى.

و تصور القصيدة حياة كلكال بين سجنين ، سجن سيدي بلعباس ، حيث كانت أجواؤه أقل من حيث التعذيب و المعاملة ، مقارنة بسجن وهران الصعب لما وجد فيه من إجرام و مجرمين.

سجن 1957:

1. بسم الله ننظم هذا النشد — في يوم لثنين قلتها عشية
2. نهدر يا ناس وز نزيد انأكد — سبعة و الخمسين واش صرا بيا
3. سمحنا في لولاد قطعة ملكباد — على الوطن و ثمن الحرية
4. كثرة لمحان شعلت النيران — راهي لخوان تخلف فالدنيا
5. سلم على بويا في الفم قوله — أفراق لوطن أصعيب عليا
6. ربي عالم الليل مع النهار — النوم حارم ضايق الوطن عليا
7. ثم تسال على الصقال قوله — خيك في الغوال كي طال الحال وسمحتوا فيا
8. قوله يا خويا لا تستهداشي — رحمة ربي واسعة عليكم
9. ما تخافش منن بعد ليا — تكون ميتة ترجع حية
10. هذا الهم يفوت لا بد مالموت — أمر الله صعيب يرجع ولايا
11. سبحانك يا خالقي عالم لسرار — الداري بالغيوب سيدي مولايا
12. خالق الأرض و السما هو الغفار — الله تعالى ما خفاتو خفية
13. لا يدوم لوكان دامت لجداد — اللي عاش عشر ميه سنة فالدنيا
14. محمد لعزيز وليدي وين مشيت — جيتني صغير ما تعرف حيه
15. تفكرتك و بكيت و مالقلب — اقدات نيران قوية
16. جدك كبير ما يعرف تدبير — وانت بز صغير يا وليدي خويا
17. ما بياش الحبس الذنب راه نقص — منكم واك نحس قعدتوا في وطيه
18. اتهلى في خوك يحضوا بشمتوك — و اخلف في بوك ليا عمركحيه
19. راني عند لاستعمار نخلص فالثار — هذا هم كبير راه فات عليا
20. داوني مبلعباس وك يشيب الراس — كذا من عساس السناسل في يديا
21. قاله :اليزي زيد واك الحال بعيد — و اتحزموا بالحديد قوم الجهلية
22. ركبونا في الطوبيات فاتوا قنلقات — الوطن الزين درق عليا
23. لا بنيان لا دخان أبيان — اطريق تيرمان رجعت من ورايا
24. زادوا بينا لوهران الزينة — السناسل في دينا و بالزور عليا
25. السنسلة بالفيس مخدومة بالقيس — و لا جبت صاحبك تنزير هي

26. خلطوا و الفجر واللوطو تزمر … نلقى يا املاح نسوان أقويه
27. ذاك اليوم الباروار و يشوفوا … لحرار ألي عندهاش أوليد فم بكاية
28. نطقت امرا و قالت يا ثوارى … كونكم صبارة خوتكم الكل هنايا
29. قالت يا شبان الصبر و الايمان … مول الصبر ينال ساعة في الدنيا
30. هم علي يا خويا فات خرجوا القارديانات … متحزمين للبلوات ببيان حديد انحلت عليا
31. جاني خنزير دارني فاص أومير … في ضر غزير طبت من كرعيه
32. دخلوا للصالة ذوك الجهالة … نلقى عبابسية و معسكرية
33. اعطاوني الكاشة و البياس ما ارقدت … و لا نطرب نعاس و النوم حارم عليا
34. كبان الحال جانا قارديان … فوتوا للميزان يا لفلاقيه
35. فكتونا للصلات و انصيب … سادات أهل الوطن و السباديه
36. اهل الكرام شادين فالنظام … فالسجن دايرين الجمعية
37. قصة صبرات بالشاعر كلكال … ثلاثين يوم ماريت ابريه
38. أنا بخوتي أو ما جاني حد … ما نفعوني احباب و لا أهلية
39. طحت أمريض أركبني الغيض … يخلف على ولد الهاشمي دار مزيه
40. يقضبني من يدي و اقصف … جهدي أو تلفت الدنيا
41. مركيت لا فزيت خرج لي المستر سي … مثل العفريت و القاردينات داروا بيا
42. العديلة من اشفيت دخلوني وحدي … فبيت الصبنما فيها زيت رسيون قطعوه عليا
43. ثلاث أشهر احساب فاتت غير اعذاب … هذا الضر اصعب ما نفعوه دويه
44. وحدي في السيلون و الكاشا مبلول … و ارقادي مغبون لا حد معايا
45. أيحل " القيشي" و ايصبني متغاشي … يعطيني "كاشي" و يزعف عليا
46. عالم الدرجات نطلب فالممات خير … من الحياة و لا زعاف الخلية
47. حبس وهران شين فيه المجرمين … القوم الكافرين حارقين الدنيا

المناسبة :

القصيد من الشعر الوصفي ، الذي سكب فيه الشاعر كلكال لواعج نفسه و ما ألم به من حنين و شوق و لهفة على أهله و ذويه حينما نقلته السلطات الاستعمارية من سجن وهران إلى سجن الأصنام (شلف) و ذلك في سنة 1957م في فصل الربيع ، فشعر كلكال حينها بأن المسافة تضاعفت بينه و بين ذويه و أحبابه فجاشت شاعريته ، و اتسع خياله و جمحت عاطفته بعيدا حيث وجود الأهل .

فكان قلقا داخل السجن شأنه في ذلك شأن السجون الأخرى و اضطربت نفسيته مما ولد له إحساسا بالاغتراب أكثر ، و هذا يبدو جليا في القصيد ، لأنه وصف لحالة نفسية أثر فيها التقيد و الحرمان ، مما جعل نبرة القصيد حادة حزينة ، طالما هي المتنفس الوحيد الذي وجده كلكال ليفضي من خلاله ما ألم به مع انقطاع أخبار أهله عنه.

و لعل لشعور الشاعر بتباعد المسافة بينه و بين أعز الناس إلى قلبه ، و ما زاد الطين بلة هو ذلك الحصار الذي ناء بينه و بينهم ، فهو في سجن محاك بالجدار و الحراسة المشددة ــ غير أنه لا يقف عاجزا أمام هذه الحوائل ، فيكسر ضخامة الجدران و يخرج عن صمته حينما ينظر في أجواء السماء فيرى طائر الحمام محلقا في كل حرية و طلاقة ، و يحط حيث شاء ، فخطر في باله أن يبرم عقد صداقة و صحبة خالصة ليكون هو الرسول المبعوث إلى الأهل ، فيكلفه بمسؤولية قد تكون ثقيلة الحمل و تنوء بالمخاطر ، و هي في مجملها رسالة شفوية مفعمة بالشوق و اللهفة و اللوعة إزاء أهله، طالما طائر الحمام لا تتحكم في زمامه السجون و لا تقيده الأغلال ، لأنه يعيش في جو واسع و فضاء ممتد لا تمسه يد الطغاة و لا جبروتهم ، فحق له أن يسمى رمز السلم و السلام.

قمري ولد الحمام 1958:

1. قمـــري ولد الحمام كونك خويا — نــكــتــب لــك عــنوان تعــزم بيه
2. ها الطــيــر ديــر مــزيــه — عــنــوانـــي لا تـــبــطـــي بـــيـه
3. تمـــشي تـــزور الـــوليه — سيــــدي بـلــعـبـاس بـايــع بيه
4. أقـــضــــب طــريق الضاية — استـــمــن فـــي مــســار و انظر فيه
5. سلـــم عــلى حبابي مع الهلية — بويـــه ثـم تــــســــال عـليه
6. قـــولـــه بــريـتك أبطات عليا — وحـــشــــك واش يــــنــسـيه
7. هــــذي نـــيــران قـويه — فــــي قــلــبــي شـعــلـــت فيه
8. بيـــن لـــحزان و قبر الدنيا — حــكــم الله رانـــي نــســرد فـيــه
9. في الـــصــالــة أصــول علي — و الــعــســاسـة لــبــده علــي
10. يا الــقــمــري كـــونك خويه — أ حــديـــثـي انـــــت تــرميه
11. تمشــــي تــــزور الـــوليه — مــــول الـعــلامــات تـبدا بيه
12. الـــلي مــقابـلـه في الكديه — ســيــدي بـويـحــي و امـســاميه
13. سيــدي عيسى في طريق اخفيه — و تــحــذر مـــا الـــعــقـــاب ليه
14. سيـــدي زواوي ديـــر النية — ثـــمـــة او تــقــصـد لــيه
15. اقـــطـــع طـــريق الراية — ســـيــــدي اعــمـــــر من هيه
16. زور احـــواطـــه بالـمـشية — ثـــمـــة اتـــعـــورط بـــيـه
17. ســيـدي خـــالـــد مع البكرية — هـــذاك جـــد ما أتـــقـيل فيه
18. قـــولـــه شـــوفوا لهوايه — أو جــيـبـوا أولــيـدكـم مــن هيه
19. نحســـب هـولي و امـــواليه — يـــا الــطــيـــر ديـــر مـزيه

شرح الألفاظ:

3 – الولية : يقصد بها أضرحة الأولياء الصالحين

11 – مول : صاحب

16 – حوايطه : ما يحيط به من أسوار ، اتعورط : تتحدث به كثيرا

17 – تقيل : من القيلولة

18 – شوفوا : انظروا

المناسبة :

لا يخلو مجتمع من المجتمعات من المشاكل و الهموم و لو اختلفت نوعيتها و درجتها ، غير أن المجتمع الجزائري و نتيجة الظروف القاسية التي عايشها إبان الوجود الفرنسي مما زاد من فقره و حرمانه و تجويعه و انحلاله الخلقي ، هي ظروف لم يكن كلكال ليسلم منها باعتباره عضوا من هذا المجتمع ، و كان آنذاك شابا يطمح في الحصول على عمل يصون به عرضه و شرفه ، و يعول به أهله إلا أن الأزمة المفروضة على الشعب الجزائري عامة حالت دون ذلك ، ليلقى كلكال نفسه مع الكثير من شباب الجزائر محروما و معوزا بدون حق من الحقوق المشروعة.

فقد أخذ موقفا عدلا إزاء هذه الظاهرة ، و نظر إليها نظرة المصلح تارة و تارة أخرى نظرة المتحسر و المتأسف لما آلت إليه وضعية شباب وطنه .

إن عناية كلكال بما يجري في مجتمعه تبدو واضحة في قصيدته التي أنشدها عام 1956م بعنوان "الشباب و العمل" و اهتم بالشريحة الفعالة في مجتمعه ، إنها شريحة الشباب و قضية مهمة ، إنها مسألة العمل .

و إن كان الشاعر أغري بتمثيل البؤس و الشقاء و الضياع ، و تحدث عن البطالة و ما يترتب عنها من فقر و عوز و غير ذلك ، فهذا لا يعني إطلاقا أنه ناقم أو مستسلم لما يحاك ضد مجتمعه من طرف المستعمر ، بل هو يسعى سعيه في الوقوف أولا على العلة و تشخيصها حتى يتمكن من توفير الدواء الأنسب لها .

فلا غرو أن يكون صدى لما يسمع من سخط الشعب على واقعهم و حالتهم السيئة و إسناد جميع الآلام و المعاناة إلى هذا المجتمع غير المتوازن الذي أنجبه المستعمر و أن يردد أقواله في التذمر و النقمة فيصيب مرة و يخطئ مرة أخرى.

الشباب و العمل 1959:

1. بســــــــم الله و الشاعر يبدع ... مـــــا زالــــه ايقول او مازاله يصنع
2. على شبـــــاب اليوم راه أيدافع ... و يعطي اخطـــــاب لكل من يسمع
3. الراجل مهمـــوم ايحوس غ يشبع ... ما لدنيا مغمـــــــوم راه غ ايقارع
4. لو كان غير اخديمة ألي بها أيقلع ... ما طالب موحال ما طـــــالب ارفع
5. طالب غ لير و الـــوقت ألي يمنع ... راه باقي اليوم قاعـــــــــد امجمع
6. و ليا شافوه ايهوم أيدير له اشرع ... يبغوه غير أيعوم او عيــنــيـه تدمع
7. هذا وقت اليوم ألي راه غ بسرع ... وين راه لي بدوم ، و بن راه لي يخلع
8. الدار الدايمه ألهيه فـــيها تتمتع ... أخدم بالنية كالشمس ميــن تــطـلع
9. و ليا شرقت عليك تشقى و اتجمع ... لا زم ايجي نــهــار الـــي فــيه تودع
10. الله تعالى يعطي و يـقـــــلع ... للخير يعطيـــــــك و للشر يمنع
11. شابقى ماتقول و شا قــدك تسمع ... مكتوب ربي هاكــاك ملي ابديت ترضع

شرح الألفاظ:

3 – أيحوّس : يبحث و يفتش ، ايقارع : ينتظر
4 – خديمة : تصغير لكلمة خدمة(عمل)
11 – شا بقي : ماذا بقي ، هاكاك : هكذا ، ملي : منذ

المناسبة :

القصيد من الشعر السياسي الوطني الذي يتغنى فيه الشاعر بحبه و إخلاصه لوطنه و شعبه ، و يدعو من خلاله إلى التوحد و التآزر من أجل خدمة الوطن به إلى قافلة التقدم ، لقد قال كلكال هذا القصيد بعد الاستقلال مباشرة ، بالضبط في سنة 1962م، حينما رأى الحلم الواعد يتحقق ، و عاد الحق لأهله ، و خرجت فرنسا الطاغية من الجزائر إلى غير رجعة ، و جاء موعد الذي دفع الشعب الجزائري تلقائيا إلى نزع الشحوب و تلك الملامح العبوسة التي علت وجهه ، و حتم عليه الظهور بأجمل و أزهى متاعه و كله بشر و غبطة و سرور بهذا الحدث و هذا الثمن الغالي ، و قد نسي الشعب أحزانه على قوة تأثيرها على نفسيته ، لأن الجو كان نشطا و مفعما بالانتصارات التي لم تعهدها الجزائر قط.

رأى كلكال بأن شباب الجزائر يحتاج إلى التذكير و التوجيه و التوعية ، فهو مطالب بإدراك عظمة و ثمن الحرية الباهض .

الفرحة بالاستقلال في نظر كلكال لا تنسينا أبدا تلك الحصيلة المسجلة في صفحة تاريخ الثورة الجزائرية الكبرى ، إنها المليون والنصف مليون شهيد ، و الكثير من المعطوبين و المجروحين ، فمن مات أثناء الثورة فهو شهيد و قدوة للشباب و رمز للتضحية ، و من عاش بعد الاستقلال تألم و ما يزال لما حدث لهذا الوطن حينما تغزوه الذكرى و تستوقفهم الأحداث و الشاعر كلكال واحد من هؤلاء .

ثمن الاستقلال 1962 :

1. لجبال تنـــــــــادي و تقول ارواحوا — او طـــلعوا لجبال في غاشيهم سمحوا
2. أيحاربوا لاستعمـــــار كل واحد بسلاحو — كــــان لازم عـــلـــيهم باه يكافحوا
3. و اتجمعوا المجاهدين و اقعدوا يشرحوا — لاستقـــــــلال لازم يجي باه نفرحوا
4. و اعطاوا القرار فـــي يوم و صفحوا — و دخـــــــلوا لجبال من و من راحوا
5. لاستعمار يدور و الكــــــلاب ينبحوا — و كثر القتـــــــال فـــي يوم نفضحوا
6. و اشعال من موتى و اشعـــال نجرحوا — و شعال مبليسي ما طـــلق ســـلاحو
7. مليون و نص مالشهدا راحــــــــــوا — و على لاستقـــلال شعال راهم ضحوا
8. جابوا لاستقلال و من بـــــعد راحوا — كاين إلي يبقى منهم في قلوبهم انجرحوا
9. عيشوا يا شــــباب عيشوا و فرحوا — لستقلال ليـــكـــم اضحكوا و امرحوا

شرح الألفاظ:

غاشيهم : أهلهم

باه : كي

أشعال : كم الخبرية

جابوا : جاءونا

المناسبة :

لا يخلو شخص من علاقة الصداقة في حياته ، و قد يبتلى البعض منهم بكثير من المحن و الهموم جراء هذه الصداقة ، و كان للشاعر كلكال القسط الوافر من هذه المحن لا سيما مع أحد الأصدقاء إنه المبروك الذي قضى رفقته معظم شبابه و عاشره بنية و إخلاص و قاسمه الهم و العناء ، و وقف معه في كل المواقف في الشدة و الرخاء ، و لكن ماذا حدث لهذا الصديق ، و ما مصير هذه الصداقة ، و ما موقف كلكال منهما ؟

لم يكن من العبث أبدا أن يتجاوز كلكال هذا الحدث دون أن يترك بصماته الجلية في هذا الأمر ، إذ يرى بأن التغير الطارئ على صديقه ، و السبب المؤدي إلى التحول و إعلان القطيعة لو تشتيت عقد الأخوة ، بأنه موقف طبيعي باعتبار أنك إذا عرفت السبب بطل العجب ، فحب المال و انشغال الصديق بجمعه و خوفه من طمع الغير فيه، فانزوى بعيدا عن كل شخص له علاقة به من قبل ، و كلكال واحد من هؤلاء المبعد عنهم ، الأمر الذي أثار حافظته ، و هيَّج شاعريته و حرك مواقفه.

إن الشاعر يحز في نفسه أن يضيع الرجل شيئا نفيسا ، إنه كنز الصداقة و الأخوة و الإخلاص و الوفاء و المحبة ، و هو يؤمن بأن الصداقة الحقة التي لا تشوبها شائبة و لا يكدر صفوها مكدر هي التي تثبت أمام زعزعة الدهر و كيد الشيطان و المال ، و مكر و غيرة الحساد و غيظ الوشاة .

هذه الرؤية هي وليدة قناعة و إيمان و كثرة احتكاك و تمرس بشؤون الحياة ، إنها حكم قائمة في معظمها على شكوى الدهر و ذكر فساد النفوس لأقرب الناس إليه و مجتمعه .

الصحبة 1964:

1. يا فاهمني يا لي راك هنا — يا سايلني ممتى تتهنى
2. لازم نقولك الحاجة لزينة — شوف يا خويا واك ازهر هنا
3. يا راجل مسكين ممتى تتهنى — ياك رانا خوت و اليوم توالفنا
4. و ايجي نهار و تقول تفارقنا — ماني بعيد عليك أنا بالسكنه
5. ما نجم نقول هذا القول شينة يا حبيبي — خويا اليوم أتلاقينا و المكتوب اجمعنا
6. قولي يا خويا وين العاهد اللي درنا — حتى انهار ما فكرت توصلنا
7. يا حسراه على ليام و على ذيك القانا — ياك كنا اصحاب و للصحبة معنى
8. نقدر أنقول موس واحد يذبحنا — بصح اليوم أنسيت واش فوتنا
9. أنسيت العشرة و الملح الي كلينا — أنسيت من كنا اصغار شالعبنا
10. و انسيت ليام ألي فيها ادابزنا — و انسيت على الخدمة شا جرينا
11. أنفكرك بلاك تتفكر و تتفكرنا — يا صاحبي المبروك كوليت لنا
12. واش هوالشي اللي نساك علينا — راك اقلعت على روحك ضيقة الغبينة
13. وليت مولى مال و انسيت صحبتنا — المال أيبدل و ما يديش للجنة
14. اتمتع و ازهى الخير من مولانا — العلي العظيم هو ليغنينا
15. هو ليفقرنا من غيره ما كان ليرزقنا — عالم الدرجات سيدي مولانا
16. نطلب مالرحمن مالصحبة ايهنينا — نقعد غير وحدي صاحبي هو أنا

شرح الألفاظ :

1 – راك : إنك ، ميمتى : متى

5 – أنجم : أستطيع ،

7 – القانة: الجماعة و يقصد بها الصحبة و المعاشرة.

8 – موس : سكين و خنجر

9 – شالعبنا : كم لعبنا و مرحنا

10 – أدابزنا : تصارعنا و تنازعنا ، شاجرينا : كم سعينا إلى طلب العمل.

11 – بلاك : ربما ، كوليت : كيف صرت

13 – ما يديش : لا يأخذ بصاحبه.

16 – أيهنينا : يخلصنا و يريحنا

المناسبة :

كان للأحداث المتوالية و صروف الدهر أثرها على حياة الشاعر ، إذ كابد في حياته مرارة الهم و الضيق ، و كان بؤسه و شقاؤه يتسرب في قلبه ، و هو يتعجب كثيرا فيما آلت إليه حالته الاجتماعية بعد الاستقلال .

كانت حياة الشاعر لا تخلو من المرارة مما أدى به إلى توقد شاعريته أمام مثل هذه التفاعلات الاجتماعية داخل بيئته ، فهو واحد من الذين يركنون مع أفراد أسرته ، و قضى عليه التفكير و التدبير في حالته المزرية التي آل إليها من بعد الاستقلال و هو الذي تحمل في سبيل حرية الوطن التعذيب داخل السجون و خارجها .

في القصيد الموالي (واش صرّا بيا) التي أنشدها في سنة 1965م تظهر رؤية من رؤى الشاعر كلكال ، إذ لا يخفى علينا أن لكل شاعر آراءه الخاصة به في الحياة الاجتماعية ، و كل واحد يتوكأ في معظمها على التجارب المكتسبة و مدى صقلها مع شخصيته ، و كان مذهب كلكال في هذا المجال ناتج عن معرفته العميقة ببواطن الأمور و خبايا الحياة .

واش صرا بيا 1965 :

1. في يوم نعيد لــــك واش صـــرا بيا — كـــــذا مـــن هـــموم فاتت أعلي
2. أمحاين و اغبينة أو زيـــــــد الكي — الضيق ألي في قلبي و الــــميزيرية
3. شوف بالعيـــن و انظر صحح فالدنيا — أو قول فيـــها أهمـــــوم أفـــويه
4. ما بقا لينا ما نـــــديـــــروا النية — النيـــــة راحـــــت مع ناس البكرية
5. أو هذا الشاعر كل يوم ايجيـــب أقصيه — و اقصيته اليوم في بـــــــلاد مرميه
6. مع أولاده عايش أو زيد الأهـــــــليه — ايخمم غ البعيد أيخمـــــــم بــــــشويه
7. معظمها على ذا الشاعر معظمها أقصيه — على التخمام و الهـــم إلي شت أبعينيه
8. ما عشت في أبروج و لا اقصور ذهبية — ما أتغطـــيت بالريـــش ما عندي حيه
9. اخدمت أو ما كانت و ادخـــلت الثورية — أو ثمرة خـــــــــدمتي رجعت مضويه
10. ما اسماطت في حقي اودرت الي اعلي — و الباقي كـــــان على ربـــــي مولايا
11. نطلب من خالقي يقبل لي امـــــــنية — يهديني و ايدخـــــــلـــــني جنة الأوليه

شرح الألفاظ :

2 – أمحاين : هموم و متاعب ، الكي : الألم و الضرر.

4 – البكرية : الناس الأولون

6 – بشوية : برزانة و تريث

10 – ما اسماطت : ما قصرت في حق و واجب

11 – الأولية : يقصد بها الرجال الصالحين

المناسبة :

القصيدة تندرج ضمن الشعر الاجتماعي ، و قد أنشدها في سـنة 1965م، حينما رأى تدهور الحالة الاجتماعية لوطنه ، و لما شاع فيها من مكر و حيل و غش ، فحاول في هذه القصيدة أن يصور المراحل التي يجتازها الإنسان في حياته ليصبح في آخـر المطاف إنسانا ضارا لمجتمعه و عضوا فاسدا في جسد أسرته، مما يستوجب استئصاله.

فالشاعر يرفض رفضا قاطعا وجود هؤلاء الأشخاص في مجتمعه ، لأنهم السبب المباشر في التأخر و التقهقر سيما و نحن مجتمع قد خرج في الأمس القريب من بوتقة الجهل و الظلم و السيطرة التي فرضها المستعمر .

فكلكال في هذا القصيد ينعي على هذا الشعب رضاه و جهله لما آلت إليه حالته ، دون مجاملة و تملق لهؤلاء الأنذال ، و لا خائف منهم ، فهو يكره أن يكون مضطـرا إلى المجاملة حتى و لو إلى من أحسن إليه ، فهو ينقم على هذا المجتمع الموبوء بشـتى الآفات الاجتماعية ، و على هؤلاء الانتهازيين الذين يظهرون في المجتمع بمظاهر عدة توحي كلها بالأنانية و المكر و الغش و عدم الإخـلاص للوطـن و لا للشـعب الـذي يساعدهم في ذلك عن قصد أو غير قصد مسؤولون عن ذلك .

كلمة الحق الصادعة هي صفة الشاعر، و لا يكون المجتمع مثاليا على حد رأيـه إلا إذا كثرت فيه الأصوات الصادعة بكلمة الحق ، و إصلاح المجتمع يتطلب أكثر مـن هذا موقفا.

فارحة ميمته 1965:

1. فـــارحة ميــمــته أوليدي أنربيه — مـــا دراتـــشي بالــعلة مين يكبر
2. أدخـلـه ليـــكــول زعم أتــقريه — أ تعمه الحرفه و ايـــولي يــشــفر
3. هذا الـــوقت الصاعب راني نقول — عليه هذا الـــكلام الشاعر كلامه معبر
4. الصبي تـــارك البــزولة و القرعة — أتربيه عيشته الـــسكر وجهه أصفر
5. هذا الجيل الصاعد يا ربــي الُطف به — أمقابل النميمة و شـــــرب الخمر
6. الفكرون و لا عالم الهـــامة أتقريه — العقاب شارد منـــهــم هارب للوعر
7. السبع مكتف أيشوف غير بـــعينيه — ليا يشوف شواده يرفــــد بالحجر
8. ألي يقول الباطل أيديـــروه راجل — أيقولوا راجل افـــحل و أيعود ينشكر
9. وين ما كان الســـارح اليوم راه — فارح راه مسؤول او عــنــده قدر
10. يلغوله "سي" شرّابين المرسيو من بعد — كان أيساسي و كاتـــــله الشر
11. البحر أتهلك يا ربي أتســـالك — الشـــعـب مسكين ما جايب اخبر
12. أتعاندوا على الهمه او ما كان خدمه — غير اقبال الخيـــمة و ايطـلّع الشهر
13. شوفوا الشعب المدبـــول كل يوم — مغبون راه ولى فكرون عاطــي للوعر
14. فالوا عشر أيام أيجيــــبها الخدام — و ليا زدت القدام يجمـــعوا أشهر
15. دايرين القانة و امعيـــنين لجنة — ويـــن نـــوعد أنا يا خـالقي دبر
16. أمنظمين الحالة ما ثم اطـــباله — أبريـــزيدان دار نعـــاله قداه تنجر

شرح الألفاظ:

يلغوله : ينادونه و يدعونه.
كاتله : قاتله
المدبول : الذي يعاني المحن و الأحزان
أيجيبيها ك تعني هنا يتحصل عليها
أطباله : تتعني حالة أو قيمة
قداه تنجر : دلالة على سوء المنظر.

المناسبة :

تعلم كلكال حرفا كثيرة في حياته بفضل الممارسة و الحرص ، و كان من بين هذه الحرف و المهن ، الزراعة و شؤونها ، إذ منذ نعومة أظافره و هو يقوم بالزرع و الحرث و الحصاد وغير ذلك ، لا سيما حينما كان عاملا في مزرعة المعمر الفرنسي (فرنسوا ساردون) أيام الاحتلال الفرنسي .

و في سنة 1970م ، شاء القدر أن يستدعيه أحد المزارعين بالقرب من ضاحيته ليقوم بشؤون الحصاد في زمن الصيف ، و ما يعرف عن صاحب المزرعة أنه ذو مال كثير و أملاك لا تعد و لا تحصى ، و هو رجل معروف في تلك الضاحية ، و حتى الدوار الذي يسكنه (دويعيسى) فيه اسر ميسورة الحال.

غير أن كلكال حينما توجه إلى هذه الضاحية ، لم يحظ بالحظوة اللائقة ، و لم ير في صاحب المزرعة و لا أهل الدوار ما كان قد سبقه من معلومات تدل على الرفعة و الجاه ، فلم يقدموا للشاعر و رفاقه العاملين بكد و تعب و صرامة طوال النهار تحت لفحة الشمس وشدة حرارتها ن ما يجب أن يقدم من كرم ، طالما هم ضيوف عندهم ، أو هم عمال في مزارعهم سوى بعض الحساء المالح و الماء و قليل من الخبز ، حتى القهوة فهي بمقدار جد محدود .

هذا التصرف الوضيع حرك شاعرية كلكال و أثار حافظته و جمع سخطه على كل أهل الدوار لما رآه فيهم من غرابة الطبع و بخل و شدة التقزز إزاء الشاعر و رفاقه.

هذا القصيد دل على قدرة الشاعر على الهجاء و صنع رماح الهجاء و شهابه النارية صنعا بديعا رائعا صبها في قالب قصصي وجيزة الأحداث يضمنه السخرية اللطيفة و السخط و كثير من التقريع للذين ضنوا به ، و فيه إنذار و وعيد لهم ، فهو يفيض سخطا و لوما على أهل دوار دويعيسى ، إذ بغرض الهجاء تمكن من إذكاء النار المتأججة بين ضلوعه و في قلبه ، فانهال على تلك الوضعية غضبا ، فأظهر خطر شخصيته كشاعر لا كعامل على من يجهلون مكانة شاعر بينهم ، فبطشه على هؤلاء الناس كان نتيجة ما وجد عندهم من بخل و شح و رغم غناهم و يسر حالهم .

بخل دويعيسى 1970 :

1. هذاك الشاعر كلكال	كل يوم أيجيب أقصيدة
2. سولوا عليه في بن ديدة	الوهابية و أصحاب العشرة
3. أ خاوتي ما حتاها قصة	واش أداني لدويعيسى
4. ربعة في خبزه كسره	طوماطيش و امعاها بصلة
5. هذا الشيء ليكم أحشومه	ما اتخافوش مالّومة
6. ما شبعوش الخدامه	لو كان جبتوا غير بشيشه
7. احنا ناس براويه	أكتلتونا غير بالكابويه
8. و الما مالح مرويه	أتفسموه علينا بالطاسه
9. هذا الشي عيب عليكم	كل واحد أيهاتي بيكم
10. غير ألي أيجيكم	يهدر غير بكم
11. قوم بخلة دويعيسى	فيلاج ما فيكم تاليه
12. واحد ما جاني و لا قالوا	براني نعرضوه الليلة يتعشه
13. امشينا عند عمي بن قعفور	قالوا لي رجل مشكور
14. بشكارته أيظل ايدور	فالسربيته لحق قرصه
15. عمري ما جيت أهنا	ما قلت هذي الدشره
16. على فنجان قهوة فالغلايه	قالي خليها حتى ترسه

شرح الألفاظ:

1 – أيجيب : يقول و يبدع 2 – سولوا : اسألوا عنه و هي دلالة على الافتخار
3 – ما احتاها : ما أعظمها 4 – كسره : نوع من الخبز ، طوماطيش : طماطم
5 – أحشومة : عيب و عار 6 – غير بشيشة : قطعة لحم
7 – براوية : غرباء عن المنطقة ، الكابوية : نوع من الخضر يستعمل بخاصة مع الكسكس.
9 – أيهاتي : يهتف و يهذي 14 – شكارته : دلالة على السعة و كثرة المال.
16 – الغلاية : وعاء خاص بتسخين القهوة ، ترسى : ترسب و تصفو من كدرها

المناسبة :

القصيد من الشعر السياسي الوطني الذي نما في رحم وطنية الشاعر و شدة تعلقه بوطنه و غيرته عليه و حرصه على نجاح شبابه و أبناء وطنه ، كان من الهوى منافيا لما سواه ، فبلغ به الأمر إلى حد أن رأى في المستعمر الكراهية و الخداع و الذل و الهوان ، و في المقابل دفعت بالشاعر إلى أن يخلد كفاح و نصر شعبه و يتتبع مشاعره و يختار ألفاظه ، فألقى هذا القصيد في سنة 1975م حيث استغل الشاعر فرصة احتفال الوطن بعيد الاستقلال أيام الرئيس الراحل هواري بومدين و في إحدى دوائر[1] مدينة سيدي بلعباس حيث كان الحشد كبيرا و الجو مفعما بالفرحة و الاحتفال ، فألقى بين مسامعهم و بكل ارتجال هذا القصيد ، مرحبا بالشباب و الحاضرين ، و مذكرا بتلك الأيام العصيبة التي اجتازتها الجزائر ، و بمرحلة المخاض التي أنجبت شعبا و جيلا بطلا مملوءا بالشجاعة و المروءة قام بواجبه على أحسن وجه .

و عليه فنحن مطالبون بالجذر من كيد الأعداء لأن نواياه دوما خبيثة كما علمنا ذلك التاريخ ،فلا مناص من التمسك بالدين الإسلامي من أجل التوحد أكثر و أكثر.

يبدو كلكال ذا نظرة بعيدة و على اطلاع غير قليل بما كان يجري في الساحة السياسية في عهده ، و هو خالٍ من الأنانية وعلى نضج سياسي في مطالبة الحرية .

[1] -دائرة ابن باديس تقع جنوب غرب مدينة سيدي بلعباس ، و ألقى فيها القصيدة مفتخرا بالوطن و مشيرا إلى الانتصارات المحققة .

يا شباب 1975:

1. بسم الله و الشاعـــــــر يــكتب / و الـــصــلاة عـلـى أشرف المرسلين
2. مرحبا بكم يا شــباب و يا ذا الــشعب / و يا خـــاوتـــي الـمــنــاضـلين
3. لستعـــمـــار أطـــردنــاه اهــرب / و مــســتــقــبل أولادنا كــجانا زين
4. ها هي الرايـــة فوقكم خضرة تعجب / قــــولـــوا الله يـــرحـــم المجاهدين
5. الفلاح أصبح مـــلاك في أرضه أيقلب / قـــاس المحراث راه دار جرار متين
6. كل ما تـــحــقــق هــذا ملك الشعب / جمهورية فــي بلادنا ماهوش سلاطين
7. رايـــســـنـــا يـأكــد و يخطب / و أيقـــــول كــونـــــوا متحدين
8. شــعــب الــجزائر كونوا في مضرب / أبنوا ساســــكـــم الأرض امتين
9. لـــســتعــمـــار فــيــكــم اتخــرب / اليوم هنــــا و غــــدا في لخرين
10. احــنـــا مــســلمين و اللغة تجلب / أقـــــروا مـــا قــال رب العــالمين
11. الجزائر واعـــيه و الشهيد بدمه اكتب / أحـــنـــا مـع النــاس المظلومين
12. اجميـــع مـــن ايـــنوض ايحارب / شعـــب الصحـــرى أو زيد فلسطين
13. أو بعض الجـــيـــران فينا اتظل اتسب / أحنـــــا ما انـــمـــدوش اليـدين
14. ما دخلـــنــــا دول فــيــنــا تتسبب / ما درنـــا أحـــبــاب اســرائليين
15. ســبع أسـنين او نــص فوتناها حرب / الجزائـــر ضـــحـــت بــملاوين.

شرح الألفاظ :

12 – اينوض : ينهض للمواجهة ،شعب الصحرى : يقصد شعب الصحراوي (البوليزاريو)

13 – بعض الجيران : يقصد المغرب

15 – الملاوين : يعني الملايين (إشارة إلى عدد شهداء الجزائر)

المناسبة :

لم يكن من العبث ألا تحظى المرأة الجزائرية بالاهتمام في شعر كلكال ، ليس لغرض الغزل أو التشبيب ، بل لغرض آخر أكثر من ذلك أهمية ، إنها الوضعية التي آلت إليها المرأة الجزائرية بعد الاستقلال و تغير طريقة التفكير في حياتها بسبب ما تعرضت له من تأثير حضاري غربي كان له الحيز الأكبر في ضياعها و تشتت آرائها.

يظهر لنا في القصيدة المعنونة ب(بنت اليوم) التي أنشدها في سنة 1976م دور الشاعر في لقف كل ما تضمنه المجتمع الجزائري من عقليات و عادات بخاصة مجتمع ما بعد الاستقلال حيث تجلت فيه أثر المستعمر على الذهنيات ، الأمر الذي لم يفوته الشاعر دون الإشهار به بين الأوساط الشعبية .

في هذا القصيد يشير كلكال إلى ظاهرة انتشرت و عمت المجتمع بأكمله و هي أخطر الظواهر الاجتماعية ، طالما البنت هي شمس الأخلاق و ركيزة الأسرة و دعامة من دعائمها ، هذه الفتاة غمرتها حضارة الغرب و سلبياتها ، فسلبت منها عروبتها و دينها.

هذا الحال دفع بالشاعر للتحسر على حالة الفتاة الجزائرية ، و هو يتمنى لها وضعية أحسن مما هي عليه ، ما كان ليكون كذلك ، لو لم ينظر الشاعر إلى القضية نظرة أكثر اتزان و حكمة و تعقل تحكمت عليه المسحة الدينية طغت عليها صبغة التفاؤل و الواقعية ، و هي عموما نظرة مستوحاة من عمق المجتمع الجزائري و حالة المرأة الجزائرية و الغاية الأكيدة من كل هذا الإصلاح و الغيرة على بنت وطنه، و ذلك ما يتجلى في القصيد.

بنت اليوم 1976

1. راها انقلبت لامودة ، لبنات ولاو قرودة — عبايتها بشبر مرفودة شادي فالجبـــــال
2. الراجل يحسن عونه بن عمي لاه تلوموه — تتمشى و تتموج أقباله اللفعه القتــــال
3. استر ربي فالباديه و مالمدن ما كان حْيا — باش انفرز العربية زادت الســـــروال
4. لابسه لك السفيليزي و السباط الفنطازي — تشرب معه الروزي في وسط الحلحـال
5. كتشور لباباها أيزيد هـــــو يفرح بها — بنتي مانبغيش عليها فيها القتل أحــــلال
6. وين بتي واك لبارح تعرف بنتك توضح — بابته تقرا و تريح و حتى بان الحــــال
7. ما دراش ذاك الجايح باتت علىالقاشوش — أيفوح القصبة واك اتصيح و معاها قـــلال
8. أتقوله راني متقدم ماشيه للبـــيرو نخدم — بالحمير أتنوض أترقم قبل بيان الحـــال
9. أتقوله راني حرية أبا و مايحـــكمش فيا — لابسة كسوة روميه أو تقرا فالجرنــــال
10. ما تبعوا فرض و لا سنة يالخالق ألطفبنا — في هذا الجيلات بهدلونا فاتوا الرجـــال.

شرح الألفاظ :

1 – عبايتها: لباسها ، مرفودة: مرفوعة ، شادي : قرد
3 – انفرز :تفرق و تميز
4 – الروزي : نوع من الخمر ، الحلحال : نوع من النبات ينبت في الخلاء
5 – كتشور : حين تعود ، ما نبغيش: لا أحب
7 – الجايح : الارجل الديوث ، القاشوش : ما يشوى من لحم الخروف
8 – الحمير : أحمر الشفاه ، أترقم : تتزين

المناسبة :

كلكال شاعر و مجاهد و مخلص لوطنه ، فقد آلمه كثيرا أن يرى الأمور تسير على غير ما يشتهي رجل غيور على وطنه ، محب للخير لا سيما و أن الطفيليين قد احتالوا على الدولة و الشعب من أجل نيل أعلى المراتب في مصالح الغدارة ، فيقوموا بالسرقة و التحايل بحكم مناصبهم.

و قد اختار الشاعر عنوان "الدنيا انقلبت" ليدل على مدى خبرته بأمور الحياة و شؤونها ، و أن له الحق كله في الإشهار بما هو سيئ و بما هو خير ، فهو يحنو على الفقير و المسكين و المظلوم و المقصى ، و يشفق على ضعفه و ينعي على الغني و الظالم و المتعدي قسوته و ظلمه و جبروته لهذه الشريحة إلى معاملتهم بالحسنى ، و يقبح الفوارق الاجتماعية إذا جاءت عن غش و مكر و تحايل .

تظهر في هذه القصيدة اجتماعية كلكال و هي مرتبطة ارتباطا وثيقا بالبيئة الجزائرية ، و الرجل الجزائري المسلم و المرأة المسلمة ، فالغاية التي يرمي إليها هي إصلاح المجتمع الجزائري من المفاسد الدخيلة عليه، ذلك ما يوضحه القصيد الموالي الذي أنشده في سنة 1976م.

الدنيا انقلبت 1976

1. يا خويا شوف الحالة سبقونا في كل مسالة	من بعد كنا جهالة رانا اسيـــاد و ارجال
2. احبيبي واش نواسي بغيت زعم لك نقاصـــي	راني شايب من راسي شوفوا لــــلمحال
3. ألي يقول الحق يفارق يدخل في البحرالغامق	أيقولوا له انت حامـــــق تندار فيه اقوال
4. مول هذي القصيدة ما هوش من بلاد بـعيدة	كان عاشر في بن ديدة الشـــــاعر كلكال
5. رايسنا و ايظل اياكد عاطي حق للمــــجاهد	ألي كان مغبون ، في وسط الغــــــوّال
6. أليك من الوقت تقبح شعال كثرت فيه فضايح	المسكين وين أيـــــــروح ما داروله بال
7. راني باقي متعجب ولد النظـــام باقي يكرب	البياع أدخل للمكتب دخـــــل روحه مال
8. عاشوا فيها صحاب ستيلو يلبسوا من غيرالنيلو	بصح ما غاديش أيطيلوا هذا الشي محال
9. ألي ما عنده أهليه داخله في الـــــمسؤوليه	اه ما يســـــواش أوقيه مالخدمة بطال
10. أليا تمشي للبيرو كيما دار الوقت أيـــسيره	أو كل شيء ولى ديـــنيرو الحق ولى مال
11. يسرقوا في أموال الدولة ما خافوا من اعقاب	المال أو عاهد أصحاب البطولة الشهدا لبطال
12. راه الدولة فاقت بهم ذنوب الشعب يحكم فيهم	و الشهيد أيحاسب فيهم على احساب لفعال

شرح الألفاظ :

9 – أوقيه : وحدة وزن أقل من الربع

11 – أصحاب البطولة : الذين ضحوا بأنفسهم في الثورة الجزائرية الكبرى

المناسبة :

القصيدة التالية من الشعر الاجتماعي ، يصف فيها الشاعر قضية اجتماعية تتعلق بالجيل الجديد الذي رأى فيه ما يثير العجب و الغرابة .

إذ في سنة 1995م كان مارا بالصدفة في شوارع بلدته ، فالتقى بزرافة من الصبية من أهل البلدة يرشقون بالحجارة الإنارة الخارجية و هم يفعلون بكل اغتباط و عناد فيما بينهم ، فتعجب لما يحدث في هذا الوقت من الحياة ، و كيف أن هذا الصبي يقوم بأفعال قد تغيب عن الشيطان نفسه ، و أن الوالدين قد تخليا عن دوريهما في مراقبة الأبناء و حسن تربيتهم ، فكانت النتيجة الضياع.

فالشاعر يتعجب ثم يتساءل كيف أن الزمن قد تغير بهذه السرعة و التفاهة؟ و يعرض المشاكل و الهموم في حدود تصوره و إدراكه لأسباب القضايا التي يطرحها.

و تبدو في القصيدة شخصية الشاعر جلية واضحة ، فهو بعيد عن الأساطير و الخرافات و المبالغات التي لا يؤمن بها العقل و لا المنطق ، فهو في القصيد أيضا يعتمد على واقع الحياة الاجتماعية ، و ما يعانيه المجتمع متعدد آفاته بسبب سوء العادات و سلبياتها المخلة بالآداب و السلوك الحضاري ، و يكتفي الشاعر بالعرض الساذج ، مع الرفض القاطع لكثير من الأوضاع ، و الدعوة الصارمة إلى تغيير الواقع بوضع جديد مشرق فيه تفاؤل ، يستهدف مصلحة المجتمع و سعادة الطبقات الشعبية على اختلاف مستواها المعيشي.

هذا الجيل 1995:

1. هذي قصة قالها كلكـــــال و ارعوا — المحـــال أليـــا رانـــي خـــاطيه
2. هذا الجيل اعصى على الصلاة الخمسة — أكـــلام الســـادات رانا ألــحقنا بيه
3. الصبي عـــــريان كـــيـهدر — بلـــسان تـبـقـى حـايـــر فيه
4. هذا الجيـل أشـــيـــان أو قـــل — المـــان يـــا ربـــي تـــهـديـه
5. ما نـيـش واهـــم شـوف يا بونادم — الــــرومي ما المسلم واش اتفرز فيه
6. ألي أيقول البـــاطـــل هـــو الراجل — و النـــاس اتـــعـورط بـــيه
7. والي ايقول الصـــح اتسمى دار فضايح — النـــاس فسه تجرح أو واحد ما يبغيه.

شرح الألفاظ :

1 – ارعوا المحال : انتظروا المحال ، خاطيه : مخطئ
3 – غريان : طفل صغير ، يهدر : يتكلم
4 – أشيان : ساء و بخس
6 – تعورط : تتحدث به ، تتناوله الناس على الألسنة.

المصادر و المراجع

المصادر المعتمدة :

1.الشاعر كلكال بخالد

2.أهالي بلدية بوخنفيس.

3.ابن الأثير (ضياء الدين ت637 ه) المثل السائر ، تحقيق أحمد ظرفي و بدوي طبانة نهضـــة مصـــر القاهرة 1379ه.1959م . 1965 أربعة أجزاء.

4.ابن رشيق القيرواني ت 456هـ) العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده. تحقيق محمد محي الديـــن عبد الحميد ..دار الجيل ..بيروت.لبنان 1972م جزءان.

5.ابن هشام الأنصاري قطر الندى وبل الصدى دط دت دار الهدى الجزائر

6.أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل ت 395هـ الصناعتين تحقيق علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل ابراهيم. عيسى البابي الحلبي و شركاه. القاهرة 1971م مصر.

7.الجـاحظ (أبوعثمـان عمـرو بـن بحـر ت255ه)

الحيوان : تحقيق عبد السلام هارون ، مصطفى البابي و أولاده القاهرة 1948م ، ثمانية أجزاء.

8.الجرجاني (عبـد القـاهر ت471ه)

أسرار البلاغة . تحقيق ه . ريتر ، وزارة المعارف ، إسطنبول

المراجع المعتمدة

- نسخة من سجل الحالات المدنية ببلدية بوخنيفيس
- إحسان عباس تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف و المرابطين ط5 دار الثقافة بيروت لبنان 1987
- التلي بن شيخ

*منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر رقم النشر 2269/86 سنة 1990

*دور الشعر الشعبي في الثورة 1830-1945 المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1988

- صبحي التميمي إرشاد السالك إلى ألفية ابن مالك ج1 دار الشهاب الجزائر
- عبد الحميد حاجيات : مقدمة كتاب الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان الشركة الوطنية للنشر و التوزيع 1974
- عبد القادر عزة

مصطفى بن إبراهيم ، شاعر بني عامر و مداح القبائل الوهرانية .الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر رقم النشر 77/528

- العربي دحو

الشعر الشعبي و دوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس .الجزء الأول المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر رقم النشر 2128/85 سنة 1989

- عبد العزيز عتيق علم البديع دت دط دار النهضة العربية للطباعة و النشر بيروت لبنان
- عبد العزيز المقالح شعر العامية في اليمن دار العودة بيروت لبنان 1978

• عبد الله الركيبي : الشعر الديني الجزائري الحديث الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر

• عمر فروخ المنهاج في الأدب العربي ط2 منشورات المكتبة العصرية بيروت صيدا 1974

• عوض محمد القوزي المصطلح النحوي نشأته و تطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري ديوان المطبوعات الجامعية

• ولتر ج أونج الشفهية و الكتابية ترجمة:د حسن البنا عز الدين مراجعة د.محمد عصفور سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب .الكويت ، طبع في مطبعة دار السياسة .الكويت

• د . مجيد عبد المجيد ناجي

الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع القاهرة مصر 1984

• د السيد أحمد خليل

المدخل إلى دراسة البلاغة العربية دار النهضة العربية للطباعة و النشر بيروت لبنان 1968

الدوريات و المجلات:

• المجلة الأصالة العدد 24 وزارة الشؤون الدينية 1977 الجزائر.

فهرس الأماكن و الأسماء و الألفاظ الأجنبية و الموضوعات :

فهرس الأماكن

- مسرغين : بلدية بضواحي مدينة وهران بغرب الجزائر.
- الكدية : ضاحية ببلدة مسار.
- السدرة : نبات شوك جعله الشاعر علامة يهتدي إلى قبر الحبيبة (الزهرة)
- سيدي مروان : ضريح ولي صالح بضاحية مسار.
- فرندة : بلدية بضواحي مدينة تيارت بغرب الجزائر
- سعيدة : مدينة بغرب الجزائر.
- بلعباس : يقصد سيدي بلعباس المدينة.
- طريق ترمان : الطريق الرابط بين مسار و بلدة تلاغ التابعة لمدينة سيدي بلعباس جنوبا.
- وهران : المدينة.
- سيدي بلعباس : الولي الصالح المدفون في المدينة التي أخذت اسمه.
- طريق الضاية : هي طريق يؤدي إلى إحدى بلديات مدينة سيدي بلعباس قريب من ضاحية مسار.
- مسار : الضاحية التي ولد فيها الشاعر.
- مول العلامات : ضريح ولي صالح بضاحية مسار .
- سيدي بويحي : .. ..
- سيدي عيسى : .. ..
- سيدي زواوي : .. .. ببلدة مسار.
- سيدي اعمر : ضريح ولي صالح بضاحية مسار
- سيدي خالد : ضريح ولي صالح بضاحية مسار : و قد أخذت اسمه إحدى البلديات المجاورة لمسار. و يقال لها بن ديدة الوهابية.
- دويعيسى : اسم أطلق على مزرعة نسبة إلى سكانها دويعيسى و هي مجاورة لبلدة مسار.

ولاية سيدي بلعباس

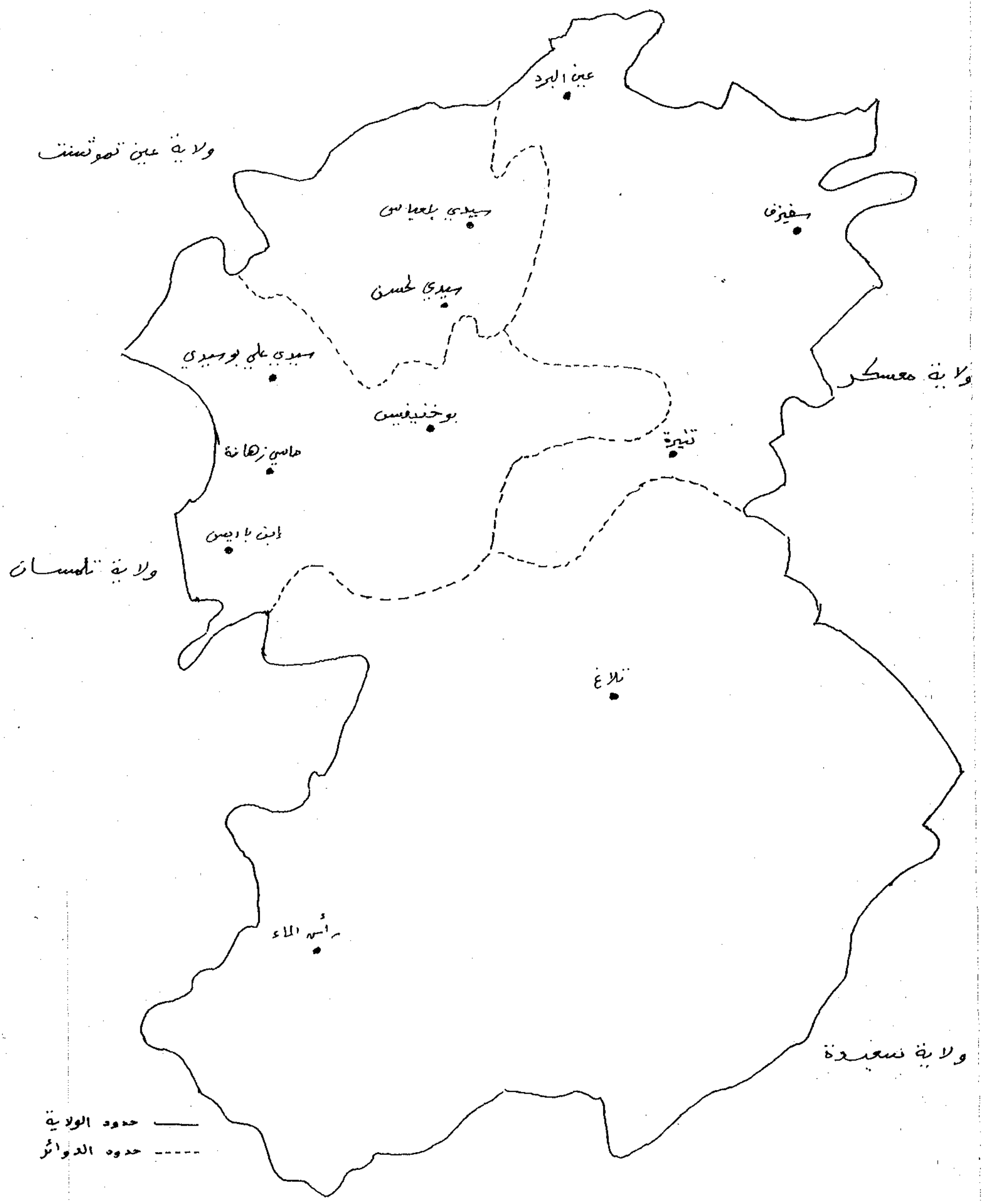

فهرس الأسماء :

- أصحاب بوحريز : سكان قرية إقليم بلدة مسار .
- بابور المنصور : السفينة التي تنقل عليها الشاعر من وهران إلى فرنسا.
- أعينة : فتاة بنت الجيران في بلدة الشاعر .
- مامة : أيضا فتاة بنت البلدة.
- الزهرة : من البلدة نفسها و هي أحبهن إلى قلب الشاعر.
- زوج نسا : هما زوجتا الشاعر (عينة بنت احمد بن ماحي ، خيرة بنت محمد قبان)
- العقال : أخو الشاعر من أبيه .
- محمد : الابن البكر للشاعر.
- الفلاقة : اسم أطلقه المستعمر على الجاهدين و الثوار .
- عبابسة و معسكرية : سجناء من مدينتي سيدي بلعباس و معسكر.
- ولد الهاشمي : صديق الشاعر في السجن و هو ابن بلدته.
- رايسنا : إشارة إلى الرئيس الراحل هواري بومدين.
- شعب الصحرى: يقصد بها شعب الصحراء الغربية (بوليزاريو).
- فلسطين : إشارة إلى ثورة الشعب الفلسطيني و تأييد الشعب له.
- ولد النظام : المجاهد الجزائري.
- البياع : الذي خان الثورة.
- دويعيسى : سكان قرية فلاحية مجاورة لبلدة مسار.
- بن قعفور : صاحب مزرعة كبيرة في بلدة دويعيسى.
- الرومي : الرجل الإفرنجي.
- المسلم : إشارة إلى الجزائري.

فهرس الألفاظ الأجنبية

1. التيفيس :tifis
2. السيرو : le sirop
3. ديفان : du vain
4. لاكبات :la cave
5. فوارم : les fermes
6. بابور :le bateau
7. الديبار : le départ
8. تيليفون : le téléphone
9. البلان : le plan
10. المشينة : la machine
11. البازرات : les bazards
12. الفورارات : les foulards
13. فاطون ديسي : vas-t-en d'ici
14. بوليسي :policier
15. بروسي : procès
16. زلاميت : allumette
17. البيدو : le bidon
18. القازوز: limonade gazeuse
19. ألي : allez
20. لوطويات : les automobiles
21. بالفيس : le vice
22. الباروار : le paroie
23. القارديناث : les gardiens
24. فاص أو مير : face au mur
25. الفلاقية : les falagas
26. لا فيزيت : la visite
27. الصبة : la soupe
28. الرسيون : le rationnel
29. السيلون : silo
30. كاشي : cachet (comprimé)
31. الصالة : la salle
32. الراية : une rai
33. مبليسي : les blessés
34. ليكول : l'école
35. المارسي : le merci
36. بريزيدان : le président
37. الستيلو : le stylo
38. البيرو : le bureau
39. السفيليزي : un civilisé
40. الفنطازي : la fantaisie
41. الروزي : le rosie
42. الجرنال : le journal
43. طوماطيس : la tomate
44. الطاسة : une tasse
45. فيلاج : le village

فهرس الموضوعات :

الإهداء :

الشكر :

المقدمة : 1

- الفصل الأول : حياة كلكال داخل بلدة مسار 2
  - اسمه و نسبه 2
  - مولده 2
  - تأثره ببيئته 2
  - أسرته : عائلته (أمه ، أبوه ، أخوته) 3
  - زواجه 6
  - ثقافته 6
- حياته خارج بلدة مسار 8
  - سجن بوخنيفيس 9
  - سجن سيدي بلعباس 9
  - سجن وهران 10
  - سجن الأصنام (شلف) 12

نظمه الشعر 13

أخلاقه و صفاته 15

ميزته 16

أغراضه و خصائصه 17

منزلة الشاعر 18

الفصل الثاني : الدراسة الموضوعاتية 19

- الوطنيات 20
- الاجتماعيات 22
- الاسلاميات 28
- التاريخ 31
- الغزل 33

• الحكمة 36
• الوصف 38

الفصل الثالث : الدراسة الفنية 41

• المستوى التركيبي : 42
• اللغة 42
• الحذف 45
• التوكيد 48
• التقديم و التأخير 51
• التعريف و التنكير 54
• الايجاز 56
• الاطناب 59
• الخبر و الانشاء 63
• المستوى الدلالي : 70
• التشبيه 70
• الاستعارة 75
• الكناية 79
• المستوى الإيقاعي 84
• الموسيقى الداخلية : الجناس 84
• الطباق 86
• المقابلة 88
• التورية 90
• الموسيقى الخارجية : الوزن 91
• القافية 94

الخاتمة : 96

الملحق : مناسبات و قصائد 97

المصادر و المراجع : 142

فهرس الأسماء و الأماكن و الألفاظ الأجنبية و الموضوعات : 145